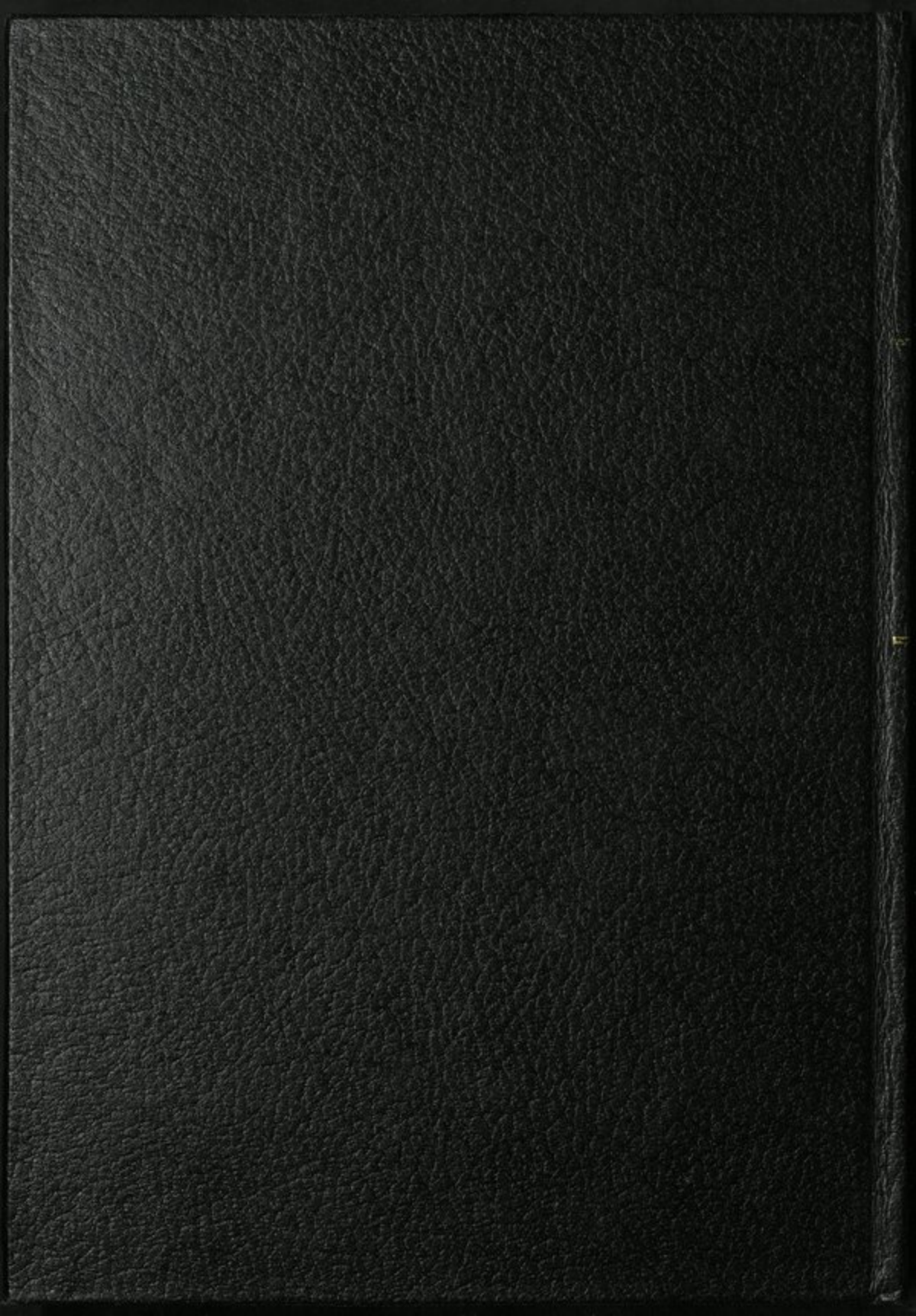




A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.A.U.B. LIBRARY

عَمَّالُ ابْنِ أَبِي بَيْعَةَ

وَهُوَ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ تَبَحُّثُ فِي
عَصْرِهِ وَحَيَاتِهِ وَشِعْرِهِ

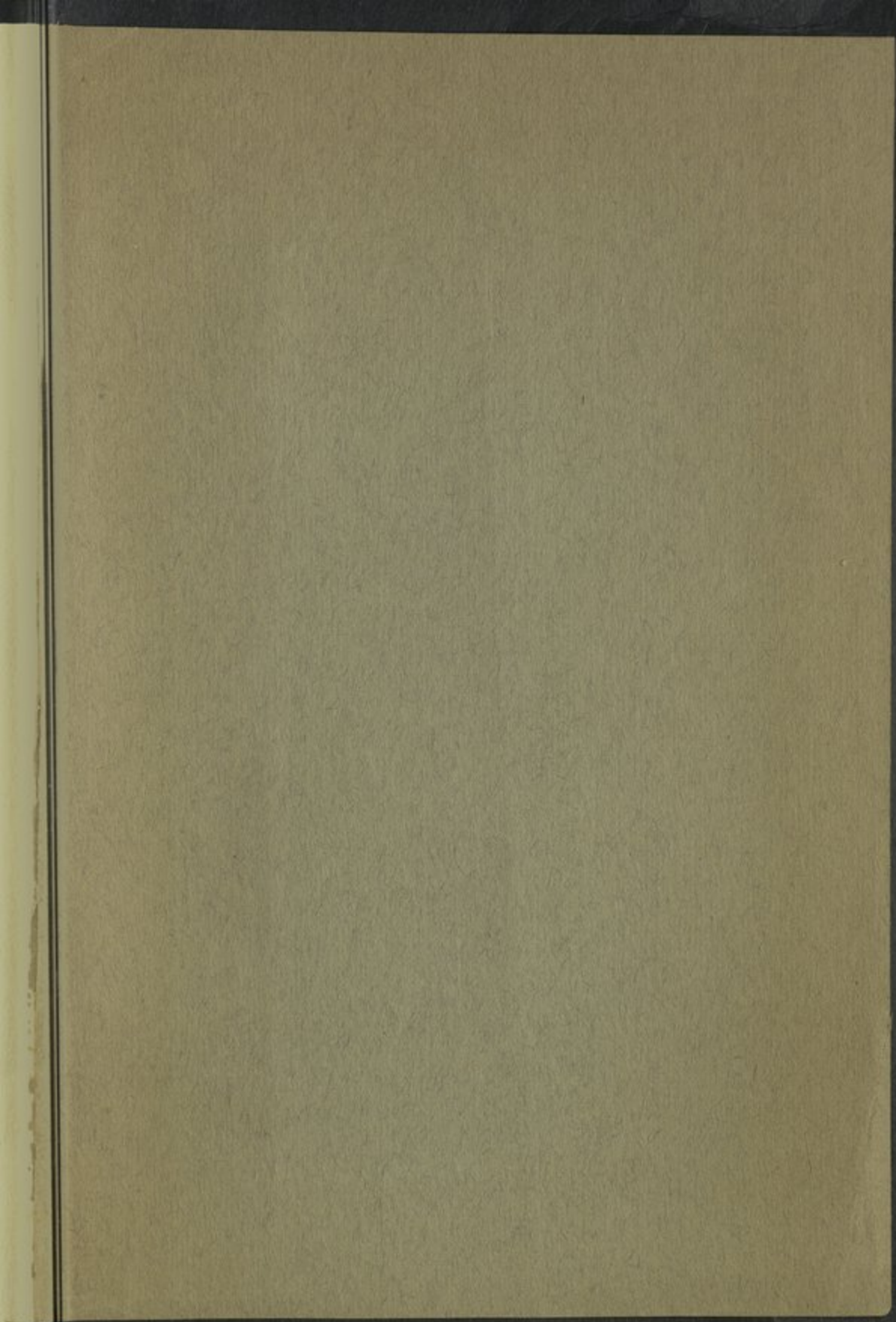
الجزء الثاني

حَيَاةُ ابْنِ أَبِي بَيْعَةَ

بقلم

جبرائيل سليمان جبور

أحد أساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الأمريكية



الجامعة الأميركية في بيروت

مِنْشُورَاتُ كَلِيَّةِ الْعُلُومِ وَالْأَدَبِ



سِلْسِلَةُ الْعُلُومِ الشَّرْقِيَّةِ : الْحَلَقَةُ الثَّالِثَةُ عَشَرَ

سلسلة العلوم الشرقية :

- (١) - (٣) مجموعة الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا
للدكتور اسد رستم المجلدات الاول والثاني والخامس . سنة ١٩٣٠-١٩٣٣
- (٤) امراء غسان لثيودور نولدكه . ترجمة الاستاذين بندلي جوزي وقسطنطين زريق
سنة ١٩٣٣
- (٥) مجموعة الاصول العربية ٠٠٠٠ المجلد (الثالث والرابع) . سنة ١٩٣٤
- (٦) اليزيدية قديماً وحديثاً للامير اسماعيل جول . نشره الدكتور قسطنطين زريق
سنة ١٩٣٤
- (٧) عمر ابن ابي ربيعة : عصره وحياته وشعره . للاستاذ جبرائيل جبور
الجزء الاول . عصر ابن ابي ربيعة
سنة ١٩٣٥
- (٨) اسباب الحملة المصرية على سوريا كما تظهر في سجلات عابدين الملكية
للدكتور اسد رستم
سنة ١٩٣٦
- (٩) تاريخ ابن الفرات : لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات
المجلد التاسع ، الجزء الاول . نشره الدكتور قسطنطين زريق
سنة ١٩٣٦
- (١٠) تاريخ ابن الفرات : المجلد التاسع الجزء الثاني لنشره الدكتور قسطنطين زريق
والدكتورة نجلا عز الدين
سنة ١٩٣٨
- (١١) الاضطرابات في فلسطين سنة ١٨٣٤ كما تظهر في سجلات عابدين الملكية
للدكتور اسد رستم
سنة ١٩٣٨
- (١٢) ديوان ابن الساعاتي . غني بتحقيقه ونشره الاستاذ انيس المقدسي
الجزء الاول
سنة ١٩٣٨

الى استاذي الفضل الدكتور فيليب متى مع احترامي وعفسي

جبرائيل

CA

AUB

892.78

U48Y8A

v.2

c.1

عماد الدين بن أبي ربيع

وهو دراسة تحليلية في ثلاثة أجزاء تبحث في

عصره وحياته وشعره

الجزء الثاني

حياته ابن أبي ربيع

بقلم

جبرائيل سليمان جبور

أحد أساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الأميركية

رَغِيَا لَذِكْرِي وَالِدِي
وَاقْرَأْ بِفَضْلِهِ وَفَضْلِ أَبِي عَلِيٍّ

Philippe Bami

فهرس المحتويات *

٩٥-٨١	رحلاته	٢-١	توطئة عامة
١٠٤-٩٦	عمر والخلفاء	١٠-٣	قبيلته ومكانتها في الجاهلية والاسلام
١٠٨-١٠٥	عمر وازواجه واولاده	٢٣-١١	اهله
١٣٦-١٠٩	سبل اللهو التي سلكها	٣٠-٢٤	مولده
١٨٠-١٣٧	اخلاقه	٣٧-٣١	هيئته ولبسه
١٨٨-١٨١	فسقه	٣٩-٣٨	غناه وثروته
١٩٥-١٨٩	توبته ونسكه	٥١-٤٠	نشأته
٢٠٣-١٩٦	موته	٥٤-٥٢	حياته في المدينة
٢٠٨-٢٠٥	جدول المآخذ	٦٨-٥٥	اصحابه في المدينة
٢١٦-٢٠٩	فهرس مفصل لحياة عمر	٨٠-٦٩	انتقاله الى مكة

فهرس عام للأسماء والاعلام ٢٢٧-٢١٧

المقدمة

كان ذلك في ربيع سنة ١٩٣٠ وكنت في حلوان ازور استاذي المستشرق السر توماس أرنولد، وكان يعلم أنني أعد بحثاً في عمر ابن ابي ربيعة، فاستقبلني في حديقة التزل، وكانت اول كلمة بدأ حديثه بها اليّ: ألا تشعر وأنت تدرس عمر انه قريب منك؟ ألسن تراد يدك يداً فوق هذه الحقب ليصالحك ويحييك؟ قلت بلى! وازعم الآن أنني ما فتحت ديوان عمر مرة وقرأت فيه إلا أحسست ان عمر قد بدا أمامي طويلاً هذه الثلاثة عشر قرناً التي تفصله عني، ثم لا اكاد أندفع في قراءة شعره حتى يحملني معه وينقلني بطرفة عين الى مرابع انسه، ومجالس سميره، ومغاني طربه، فاشاطره لذة عيشه، وأراقفه في مغامرات حبه حتى لكأنني انهمز معه بدلوه وأسيم سرح لهوه، فاذا قصد العقيق قصدت العقيق، واذا استمع الى الغناء استمعت معه الى الغناء، واذا دنا موسم الحج وهياً نفسه له هيأت نفسي وسرت معه بين مواكب الحجاج نتصفح الوجوه الباسمة وزنو الى العيون الفاتنة، نوكل معاً بالجمال ونستجلي منه السحر الخلال.

وكانت هذه السنوات التي قضيتها برفقة عمر من امتع الاوقات وانفعها، عرفني عمر فيها على عصره وحياة مواطنيه في الحجاز وبواديها فاصدرت في ذاك الجزء الاول من كتابي عنه وأسميته «عصر ابن ابي ربيعة»، درست فيه نواحي الحياة المختلفة عند العرب في ذلك الزمن، وجعلته توطئة لدرس عمر نفسه.

ثم حملني عمر الى بيئته الخاصة فعشت معه بين اهله واصحابه ولازمته في جميع اطواره فاستطعت ان افهم حب الناس له وتعلقهم به وسمعت صديقه ابن ابي عتيق يقول له: أفرد الدنيا بعدك يا أبا الخطاب. وادركت خطر هذا الشعر وفنتته حين كان يُغلي على عامر

ابن صالح فيكتبه ويده تُرعد من الفرح ، او يُنشد امام طلحة بن عبد الله بن عوف وهو راكب ناقته فيقف وما يزال شائناً ناقته حتى يُكتب له ، او يفد به صاحبه على عبد الله بن عباس وعنده ناسٌ من الخوارج قد ضربوا اليه اكباد الإبل من أقاصي البلاد ليسألوه عن الحلال والحرام فينصرف عنهم ويتثاقل ويقبل على منشده ويستمع اليه ، حتى اذا لِم في ذلك قال : انها «أمن آلِ نعم» وانا نستجيدها .

وها انا الآن وانا اقدم عمر الى القارى في هذا الجزء الذي يدور على حياته أنظر فارى عمر بجاني شاباً غضّ الشباب مُنعمه ، بقامة طويلة ناحلة ، ووجهٍ وسيمٍ أكسبته شمس الحجاز سمره جذابة ، وفمٍ يَسَام يفتّر عن ثنيتين أصابتها ضربة من يد حبيب فنفضتا ثم ثَبَّتتا واسودّتا ، ونفسٍ مَرِحَةٍ مَحْبِيَةٍ رَضِيَةٍ هَنِيئةٌ يروق للناس اصطحابها .

وانها حلفت بالله جاهدةً وما أهلّ له الحجاج واعتمروا
ما وافق النفس من شيء تُسرُّ به واعجب العين الآ فوقه عمرُ

وسيرى القارى اني عرضت في هذا الجزء الذي بين يديه الى جميع ما له صلةٌ بعمر من جدّ الحياة ولهوها . درست عشيرته وأهله ، وهيئته ولبسه ، وعزه وثروته ، ومولده ونشأته ، وأشرت الى الثقافة التي تفقها ، والعلوم التي لقنها ، واستعرضت حياته في المدينة وفي مكة واصحابه فيهما ، ورحلاته التي قام بها ، وسبل اللهو التي سلكها في مرابع الطرب ومجالس السمر ومواسم الحج ، ووصفت اخلاقه وفسقه وتوبته ونسكه غير أني أبقيت شيئاً لا ينفصلان الواحد عن الآخر هما حبّه وشعره وموعدنا لبحثها الجزء الثالث .

جبرائيل جبور

جامعة بيروت الاميركية

في ٢٥ حزيران سنة ١٩٣٩

توطئة

دنا موسم الحج عام ثلاثة وعشرين للهجرة ، وكان موسماً حافلاً ، فقد كان عمر بن الخطاب قد وُطد أركان الخلافة وثبت دعائم الملك ، وكان العرب قد اخضعوا الفرس والروم وغلبوهم على ممتلكاتهم في العراق وفارس والشام ومصر ، وكان قد تحدر الى الحجاز سيل كبير من سبي هذه الاقطار فُرق في اهليه واخذوا يقومون لهم في مختلف الاعمال .

وشرعت وفود الحجاج تؤم بيت الله الحرام قادمة من بلدانها المختلفة يتقدمهم عمال عمر عليها ، وكان من سنته فيما يروون ان يأخذ عماله بوفاة الحج في كل سنة ، فيحاسبهم ويناقشهم في سياستهم ويفسح لرعاياهم مجالاً لشكايتهم ووقتاً ينهونها فيه اليه .^(١) وانسلخت ايام الحج بهدوء وسلام ، فنفر الناس الى اوطانهم وغادروا مكة الا من آثر البقاء فيها للتبرك بمشاهدها والعيش في حماها ، وعاد عمر الى المدينة مقر خلافته مع من عاد اليها من عماله واتباعه وشهر ذي الحجة لم ينسلخ بعد .

وكانت ليلة السادس والعشرين من الشهر نفسه ، القمر في اواخره ولم يبق له الا ايام اربعة حتى يولد من جديد ، وقد وافقت ليلة الرابع من تشرين الثاني سنة ٦٤٤ م . فكانت ليلة من ليالي قلب الحريف الثقيلة المظلمة ، وقد رقدت يثرب مدينة النبي في هدوء ذلك الظلام واجمة ساكنة غير عالمة بما خبأ لها من الامر صبح ذلك الليل .

هوذا الفجر يتنفس فينعش طيب انفاسه ما حول المدينة من ربي واودية ، ثم هوذا هو يتحرك فيبرز أحد ويظهر العقيق ، وتدب الحياة في ساحات طيبة فيتنفض المصلى والبلاط والبقيع ، وقد نهض الخليفة عمر باكراً الى الصلاة كعادته ، واخذ الناس يتهافتون افواجا متراخمة الى مسجد النبي ، فوكل بالصفوف رجالاً حتى اذا استوت تقدم هو فكبر .^(٢)

ودخل في هؤلاء الناس رجل فارسي ، مولى للغيرة بن شعبة ، لعله لم ينم تلك الليلة ، او لعله كان يرقب مثل تلك الليلة المظلمة ويعد عدته لينفذ في فجرها جريمته النكراء .

(١) الطبري ١ : ٣٨

(٢) الطبري ١ : ٣٧٣

واستوى متنكراً بين المصلين في الصف الاول ملفع الراس . وقد أخفى في ثيابه خنجراً طويلاً له رأسان مقبضه في وسطه ، ثم هوذا هو يبدر من صفه والخنجر بيده فيقطع الخليفة فيقع عمر يتخبط بدمائه ثم يتجلد قليلاً وينادي بأبن عوف ان يتقدم الناس بالصلاة فيصلي ابن عوف وعمر يعالج الموت .^(١)

مات الفاروق وذاع النبا في المدينة فاستسلمت الى حزن عميق . وانها لفي حزنها ، وصوت النعي بمقتل الخليفة يتردد في بيوتها لينقله الركبان الى سائر اقطار الجزيرة والبلاد المحتلة ، اذا بصوت البشير في بيت صحابي قرشي من بني مخزوم يؤذن بولادة صبي له . قالوا : فستعي الصبي باسم الخليفة المقتول وكني بكنيته .^(٢) ترى أنال عمر شيئاً من بركة هذا الاسم ؟ ترى أعوضت قریش شيئاً بولادة هذا الصبي عن فقد زعيمها ؟ ليس هنا موضع بحث هذا ، ولكن الرواة ذكروا ان بعضهم سمع بهذا التصادف فيما بعد فقال : اي حق رفع واي باطل وضع .^(٣)

ولعل من الخير الآن ان نترك هذا القرشي الصغير هادئاً في مهده وننطلق نتعرف الى عشيرته واهله . فقد ييسر ذلك علينا فهم المحيط الذي نشأ فيه ويهيئ امامنا السبيل لدرس الحياة التي عاشها بين ذويه ومعاصره .

(١) الطبري ١ : ٢٧٢٢ والواقدي (ف) ١٢٣ وفي الاخير ان القاتل شق الناس ووثبوا يتعادون خلفه فكان كلما لحقه رجل منهم ضربه بخنجره حتى جرح من المسلمين ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ستة وأتاه رجل من ورائه فالتقى عليه برنساً فاخذه فلما علم ابو لؤلؤة انه مقتول وجى نفسه بالخنجر فقتل نفسه .

(٢) الاصبهاني ١ : ٢٤ ؛ وابن خلكان ١ : ٥٢٩ و ٢ : ١٥٩ ؛ والبغدادى ١ : ٢٤٠

(٣) الاصبهاني ١ : ٢٤ ؛ والعيني ١ : ٢١٥ ؛ والدميري ١ : ٢٢٦

قبيلته ومكانتها في الجاهلية والاسلام

من قريش

« اولئك قومي لا وجدك لا ارى لهم شياً فيمن على الارض معشرا »

هو من قريش ذلك القبيل الذي انجب محمد بن عبدالله نبي العرب وموحد كلمتهم . وكانت قريش في قديمها قد استقرت في بلدة تقع على مفترق الطرق التجارية العربية ، هي مكة . ثم لم تلبث هذه الجالية الجديدة ان تولت الزعامة فيها وحملت عبء المسؤولية الكبرى ، فسارت بتجارة البلد احسن سير ، واحكمت ربط العلاقات مع مجاوريه ، فنفذت منه الى اليمن حتى شواطىء البحر الهندي ، واتصلت ببابل وسورية ، وعبرت البحر الاحمر الى افريقية ، وعقدت التحالفات مع اقبال اليمن وشيوخ نجد وامراء العراق وزعماء سورية ورؤوس الحبشة . وكان لهم متجر عظيم ومضطرب واسع يتنقلون بين اطرافه في رحلات خاصة فيشترون السلع من قطر ثم يبيعونها في اسواق القطر الآخر .^(١) « لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »^(٢)

وكانت قريش فريقين : فريقاً حلّ ببطحاء مكة فكانت بيوتهم حول بئر زمزم ، وقرب ساحة الكعبة ، فعرفوا بقريش البطاح ، وفريقاً استقر في ظواهر البلد ، فعرفوا بقريش الظواهر .

وكانت قريش البطاح عشرة بطون^(٣) لها شرفها ومكرماتها . وقد وزعت على رؤساء هذه البيوت الكبيرة مصالح الحكم والسلطان فكانوا اصحاب النفوذ في مكة وكان اعظم هذه البطون مكانة ثلاثة : هاشم وامية ومخزوم .

(١) راجع اذا شئت التوسع مقالتي الاب لامنس في الموسوعة الاسلامية تحت Mecca و Kuraish

(٢) القرآن ١٠٦

(٣) هاشم ، وامية ، ونوفل ، وعبدالدار ، واسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعدي ، وجمح ، وسهم .

راجع ابن عبد ربه ٢ : ٤٥

من مخزوم

وكان حظ هذا الصبي ان يتحدّر من مخزوم . ومخزوم ربيعة قريش ^(١) ، وببيت من بيوتها الاولى في الشرف والجاه والعزّ والمنعة والجلود . ^(٢) يرجع نسبهم الى يقظة بن مرة ، ثم الى قريش دون ان يتصل بقصي . ^(٣) ويّزعم الرواة ان نصيب مخزوم من مكرمات قريش في الجاهلية كان القبة والاعنة ، ويذهب البعض الى ان هذه المكرمة ظلت لهم في الاسلام فكان منهم خالد بن الوليد الذي انتهى اليه شرفها في الجاهلية فوصله بالاسلام . ^(٤)

غنى بني مخزوم

ولقد عرف بنو مخزوم بالثروة والغنى في جاهليتهم ، فكان منهم التجار المتمولون امثال الوليد بن المغيرة وقد قال فيه القرآن فيما يقول المفسرون « ذري ومن خالقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطعم ان ازيد كلاً انه كان لا يأتنا عنيداً . » ^(٥) وعكرمة ابن ابي جهل ، وقد روي عنه انه لما وفد على النبي مسلماً قال له النبي : « ما انت لتسألني اليوم شيئاً اعطيه احداً من الناس الا اعطيتكه . » قال عكرمة : « فقلت ما انا لأسالك مالا ، اني لمن اكثر قريش مالا . » ^(٦) وقد كان لهذه العشيرة المخزومية من الاموال في قافلة بدر ما قيمته نحو خمسة الاف مثقال من الذهب . ^(٧) وما يؤيد انه كان في حوزتهم كثير من النقد انهم عرضوا على النبي ، فيما

(١) ابن عبد ربه ٢ : ١٥٤ وابن ابي الحديد ٤ : ٢٩١

(٢) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٢

(٣) وستنفلد G. T. II, S.

(٤) ابن عبد ربه ٢ : ٤٥ وفيه : « اما القبة فاحم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش - جيش قريش - واما الاعنة فاحم كانوا على خيل قريش في الحرب . » غير ان الاب لامنس يشكر ان يكون لهاتين المكرمتين هذا المعنى الحربي ، ويّزعم ان القبة من بقايا تقاليد القوم في الجاهلية ، وانها كانت تحوي رموزاً لمعبوداتهم وتوضع كهودج على حمل وتتناوب الاشراف والاميان قيادة الجمل من عنانه . وبني ان يكون ابن الوليد قد احتكر هذه المكرمة (الموسوعة الاسلامية ، تحت Mecca ، ص ٤٣٨)

(٥) القرآن ٧٤ : ١١-١٦ ؛ والبيضاوي ٢ : ٣٦٨

(٦) الطبري ٣ : ٢٢٨٦

(٧) لامنس : الموسوعة الاسلامية ، تحت Makhzum ، ص ١٧٣

يروى ، ان يبيعهم جسد قتيل واحد من قومهم قتل يوم الخندق ، واعطوه بجسده عشرة آلاف درهم ^(١) . وقدموا في فداء اسراهم في واقعة بدر ، فافتدوا كل اسير باربعة آلاف درهم ^(٢) . واستسلف النبي من احدهم بعد فتح مكة بضعة عشر الفا ، فلما رجع من حنين دعا به فردّ عليه ماله وشكره ^(٣) .

وظأت العرب تتحدث بغناهم حتى زعموا ان معاوية قال لجلسائه ذات يوم : « اذا جاءت هاشم بقديميا وحديثها ، وجاءت بنو امية باحلامها وسياستها ، وبنو اسد بوافدها ودياتها ، وبنو عبد الدار بججايا ولواتها ، وبنو مخزوم باموالها وافعالها ، فن ذا يحمل مضارها ويجري الى غايتها ؟ » ^(٤)

تجارتهم ونفوذهم

وكانوا اهل نشاط وهمة ، ويظهر انهم هم الذين فتحوا الخطوط التجارية المكية الى مختلف الجهات لذكائهم ونشاطهم وحدتهم ، وقد قيل فيهم انهم كالنار :
ابناء مخزوم الحريق ، اذا حركته تارة ترى ضرها
ينخرج منه الشرار مع لب من حاد عن حده فقد سلا ^(٥)

ويشير الاب لامنس الى انهم في منتصف القرن السادس للميلاد كانوا مالكي زمام اهم امور مكة لا يستثنى الا الدينية ، وانه لم يكن هناك غيرهم يستطيع حفظ التعادل مع قوة الامويين التي كانت تزداد . ويذكر ان اسمهم في هذا الزمن اخذ يعرف ويشتهر حتى صار مرادفاً لقريش ^(٦) .

المفخرة وابناؤه

وظهر في مخزوم المفيرة بن عبدالله ؛ وكان معاصراً لعبد المطلب ، جد النبي العربي ^(٧) فكان سيداً في عشيرته . واخذ ابناؤه ينتسبون اليه حتى صارت كلمة المفيري مرادفة

(٢) الواقدي (م) ١٣٦

(٤) ابن عبد ربه ٢ : ١٣٥

(١) ابن هشام ٢ : ٦٩٩

(٣) الطبري ٣ : ٢٢٨٦

(٥) لامنس : الموسوعة الاسلامية تحت Makhzum ، ص ١٧١

(٦) " " " " " (٦)

(٧) " " " " " (٧)

للمخزومي^(١). بل كان عمر فيا يظهر من شعره يؤثر الانتساب الى المنيرة ، وقد قال :
 قني فانظري اسماء هل تعرفينه ؟ اهذا المنيري الذي كان يذكر^(٢)
 وكان للمنيرة من الابناء احد عشر ذكراً^(٣) كثر بهم قريشاً ، ولعلهم كانوا عاملاً في
 عزه ومناعته .
 ونسب منهم ثلاثة : هشام ، والوليد ، وابو ربيعة . اما هشام فقد كان سيداً مطاعاً ،
 طغى اسمه على اسماء معاصريه من رجال قريش بحيث نسب بعض الشعراء قريشاً اليه
 احاديث شاعت من معدّ وجير وخبرها الركبان حي هشام^(٤)
 وعزّ حتى لقب بربّ مكة فيما يزعمون .^(٥) وضرب ببأسه المثل ، وتقنّى ببجده الشعراء ،
 فقال ابن غزالة الكندي ، وهو يدح بني شيبان ولم يكن في موضع رغبة الى بني مخزوم
 ولا في موضع رهبة :
 كأنّي اذ حططت الرحل فيهم ، بمكة ، حين حلّ جا هشام !^(٦)
 وقال آخر :

واصبح بطن مكّة مقشعراً ، كأن الارض ليس جا هشام !^(٧)

حتى اذا مات نادى مناد بمكة - فيما يروي ابن دريد - اشهدوا جنازة ربكم^(٨) . واخذت
 قريش تؤرخ بوفاته لاعظامها اياه .^(٩)

واما الوليد اخوه فقد رووا عنه انه كان سيداً من سادات قريش ، وجواداً من
 اجوادها ، وكان يلقب بالوحيد ، وزعموا انه كان يجلس بذى المجاز فيحكم بين العرب
 ايام عكاظ .^(١٠) وادرك محمداً نبياً فانكر عليه رسالته وقال : « اينزل على محمد واترك ،
 وانا كبير قريش وسيدها ، ويترك ابو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظماء

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١٨٢

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٢

(٤) ابن دريد ٩٤

(٣) وستفلد G.T. Part. II, S

(٦) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٢

(٥) ابن دريد ٣٣ و ٩٤

(٨) ابن دريد ٦٣

(٧) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٣

(٩) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٢ قالوا : كانت قريش وكثانة ومن والا هم من الناس يؤرخون
 بثلاثة اشياء : كانوا يقولون : كان ذلك زمن مبنى الكعبة ، وكان ذلك من مجي الفيل ، وكان
 ذلك عام مات هشام بن المنيرة .

(١٠) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٤

القريتين ؟ » . قالوا : فزل فيه : « وقالوا لولا نُزلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيمٍ . » ^(١) وهو الذي قال فيه القرآن : « ذرني ومن خلقت وحيداً . . . » الى آخر الآيات ^(٢)

واما ابو ربيعة فقد كان فارس بني المغيرة . قاتل يوم عكاظ برمحين فسُمي ، فيما يزعمون ، ذا الرمحين . ^(٣)

وقد قال الشعراء كثيراً في هؤلاء الثلاثة وتغنوا بمجدهم :

وبلّغ ان بلغت بنا هشاماً وذا الرمحين بلّغ والوليد
اولئك ان يكن في الناس جوداً فان لدجم حبساً وجوداً
هم خير المعاشر من قريش واوراهما اذا قدحوا ، زنوداً ^(٤)

وخلف هشام ابا جهل فكان هذا من اشد خصوم النبي ، ^(٥) وكذلك كان ابنه عكرمة ، فلما وفد الأخير على النبي بعد فتح مكة داخلًا في الاسلام ، استبشر محمد بقدمه ، ووثب ، فيا يقول الطبري ، قائماً على رجليه ، وما عليه رداء ، فرحاً بعكرمة ، وقال له : مرحباً بالراكب المسافر او المهاجر . ^(٦) وقال ابن ابي الحديد : « لم يقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله لرجل داخل عليه من الناس شريف او مشرف الا عكرمة ، وهو بعد مشرك ولم يسلم . » ^(٧)

وخلف الوليد عمارة فكان هذا فيما يروون احد ازواد الركب ، وهم قوم كانوا لا يمر عليهم احد الا قروه واحسنوا ضيافته وزودوه ما يحتاج لسفره . ^(٨) ويزعم بعض الرواة انه هو الذي كان يلقب بالوحيد ^(٩) وكان يشرب الخمر وينظم الشعر . ^(١٠) وخلف الوليد ايضاً خالد الشهير ، فكان خالد اول امره كالي جهل من اشد الناس خصومة للنبي العربي ثم أسلم قبل فتح مكة ، كما هو معروف ، واشترك بعدئذ في الفتوحات الاسلامية ، فكان من اشهر القواد المسلمين على الاطلاق . وقد اسلفنا ان بعض الرواة يزعم ان خالداً

(١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٥ ، والاصماني ١٥ : ١١ وابن هشام ١ : ٣٢٨

(٢) البيضاوي ٢ : ٣٦٨ (٣) الاصماني ١ : ٢٠

(٤) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٥ (٥) ابن هشام ١ : ٢٦٣

(٦) الطبري ٣ : ٢٢٠ (٧) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٦

(٨) الاصماني ١٦ : ١٥٨ (٩) الاصماني ١٦ : ١٥٨

(١٠) الاصماني ١٦ : ١٥٨

هذا هو الذي انتهى اليه شرف المكرمة التي كانت لبني مخزوم في الجاهلية فوصله بالاسلام . وكان لخالد من الشهرة بصحبة محمد والفتنة في حروبه المحلّ المعروف حتى لقبه محمد بسيف الله . ويروى انه لما هاجر الى النبي محمد قبل فتح مكة هو ونفر من صحبه قال النبي لما رآهم لجماعته : « رمتكم مكة بافلاذ اكبادها . »^(١)

وكان عبد الرحمن ابنه ، فيما بعد ، مع بني امية في الشام . ورؤي ان معاوية لما اراد أن يظهر العقد ليزيد قال لاهل الشام : ان امير المؤمنين قد كبرت سنه ويريد ان يستخلف عليكم فن ترون ؟ قالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكت واضمروا .^(٢) وزعم بعضهم ان شأن عبد الرحمن هذا عظم بالشام قال اليه اهلها لمكانة ابيه وغناؤه عن المسلمين في ارض الروم خافه معاوية وخشي على نفسه منه . وزعموا انه دس ابن اثال الطيب اليه فسقاه سماً فمات .^(٣)

وخلف ابو ربيعة عبد الله والد شاعرنا وعياًشاً وكان من السابقين الى الاسلام . وكان بنو المغيرة اعزاء في قومهم ، حتى زعم الاصهاني انه ضرب بعزم المثل ، وذكر بيتاً من شعر أبي ذؤيب الهذلي في مرثاته الشهيرة دليلاً على شهادة الناس بعزمهم :

صخب الشوارب ، لا يزال كانه عبد لآل ابي ربيعة مسبح^(٤)

ومأ يشير الى عزهم ما رواه ابو الفرج من ان احد المخزوميين من بني المغيرة قدم من البحرين فقتل على الزبرقان بن بدر بمائه فخلّاه ، فقتل على بني انف الناقه فأكرموه ، وذبجوا له شاة وقالوا : لو كانت ابلتنا قريبة منا لنحرنا لك منها . ويظهر انهم لم يكتفوا بهذا بل انبرى احد شعرائهم يمدح ضيفه ورهط ضيفه ويعير الزبرقان بن بدر :

اتدري من منعت ورود حوض ؟	سليل خضارم منعوا البطاحا
ازاد الركب تمنع أم هشام	وذا الرحين امنهم سلاحا
هم منعوا الاباطح دون فهر	ومن بالحنيف والبدن اللقاحا
بضرب دون ييضهم طلخف	اذا اللهوف لاذجم وصاحا ^(٥)
وما تدري بايهم تلاقي	صدور المشرفية والراحا ^(٦)

(٢) الاصبهاني ١٥ : ١٣

(١) الاصبهاني ١٥ : ١١

(٣) الطبري ٢ : ٨٢ والاصبهاني ١٥ : ١٣

(٤) الاصبهاني ١ : ٣١ وانظر القرشي ٢٥٦-٢٥٧ حيث ترى الايات التي تنصل باليت المذكور

(٥) ييضهم : حوزهم وسلاحهم . طلخف : شديد

(٦) الاصبهاني ٢ : ٥٩ وابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٤

وعرفوا بالبأس والشدة في الحرب . وفي هذه الابيات التي ذكرنا اشارة كما يرى الى بعض مآثرهم فيها . ويظهر من اقوال الرواة انه كان لبني المغيرة مكانة واثر في ايام العرب الاولى . فقد نقل عن ابي عبيدة انه ذكر في تاريخ ايام العرب في الوقائع بين هوازن وكنانة خبر يوم شرب . قال : ولم يكن بينهم يوم اعظم منه ، فحيت قريش ، وصابت بنو مخزوم وبنو بكر . فانهمزمت هوازن وقتلت قتلاً ذريعاً . وقال احدهم يمدح بني المغيرة :

الا فله قوم و - لدت اخت بني سهم
هشام وابو عبد مناف ، مدره الحصم
وذو الرمحين أشياك من القوة والحزم
فهذان يذودان وذا من كئيب يرمي^(١)

ويروي ابن سلام الجعفي انه كان لبني المغيرة بلاء في الفجار .^(٢) ويروي ابو الفرج ان بني مخزوم كانت تلي كنانة يوم عكاظ ، حافظت حفاظاً شديداً وكان اشدهم يومئذ بنو المغيرة فانهم صبروا وابلوا بلاء حسناً .^(٣) وزعم بعض الرواة ان ذا الرمحين سبي كذلك لانه قاتل يومئذ برمحين .^(٤) اما في الاسلام فحسبهم خالد بن الوليد وما كان له من الاثر والبلاء في حروب الردة وفتوحات العرب في العراق والشام .^(٥) ويذكر الاب لأمانس انه كان لهم التأثير الاكبر في مجلس كبار مكة « الملاء » . قال : وكان في الغالب يتكلم مخزومي بالنيابة عن « الملاء » كما جرى يوم مفاوضة محمد في اول دعوته .^(٦)

وكانوا فيما يظهر من اشعارهم ومن اقوال الرواة عنهم جد معجبين بانفسهم . ولعلمهم قد احسوا بقديمتهم ومكانتهم وصيتهم فنشأوا فخورين ، او كما قال الجاحظ ، تيأهين .^(٧) وذكر القالي في آماله ان ام المغيرة ابن سلمة قالت وهي ترقصه :

نمى به الى الذرى هشام ، قرم ، وآباء له كرام
جحاجح خضارم عظام من آكل مخزوم ، هم الاعلام
الحامة العليا والسنام^(٨)

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٣٧٢ ؛ والاصمعي ١ : ٢٠ و ٢١ (٢) ابن سلام ٥٨

(٣) الاصمعي ١٩ : ٧٩ (٤) الاصمعي ١ : ٢٠

(٥) يرى بعض المستشرقين ان اخبار بأس قريش وسطوحها وشجاعتها في الحرب مبالغ فيها : راجع

المشرق ١٩٣٦ ١ : ١-٢٢

(٦) لامنس - الموسوعة الاسلامية ، تحت Makhzum

(٨) القالي ٢ : ١١٨

(٧) الجاحظ (ب) ٢ : ١٧٧

ويظهر انهم فقدوا كثيراً من زعمائهم ورجالهم في واقعة بدر ، فاديل منهم واضطروا فيما بعد ان يتخلوا عن الزعامة لغيرهم من زعماء بيوتات قريش .^(١) ويابح لنا انه مما اضر بشهرتهم وسمتهم في اخبار المؤرخين المسلمين انهم كانوا اسد من ناصب النبي محمد العدا . وان الاخبار المسطورة في كتب التاريخ العربي تتخذ من شخص ابي جهل عدواً كبيراً لمحمد والاسلام . ولعل مقاومةهم للاسلام ، هم وبنو امية ، كانت من الاسباب التي دعت البعض ان يسمي القبيلتين « بالافجرين » ،^(٢) وحملت بعض المؤرخين على الغضب من مكاتبتهم قبل الاسلام وبعده . ومهما يكن من الامر فقد حافظ بنو مخزوم في الاسلام على شيء من مكاتبتهم وجاههم ووجد بين المؤرخين من انصفهم . ولقد وضع ابن ابي الحديد في شرحه لنهج البلاغة فصلاً في فضائل بني مخزوم ، فيه قصة تصح ان تكون ملخصاً له . قال :

« سال الحجاج اعشى همدان عن بيوتات قريش في الجاهلية . فقال : اني قد آليت الا انفر احداً على احد . ولكن اقول وتسعون . قالوا : فقل . قال : من آيهم المحبب في اهله ، المؤرخ بذكره ، محلي الكعبة ، وضارب القبة ، والملقب بالخير ، وصاحب الخير والمير ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال : فن آيهم ضجيع بسباسة ، والمنحور عنه الف ناقة ، وزاد الركب ، ومبيض البطحاء ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال فن آيهم كان المقنع في حكمه ، والمنفذ وصيته على تهكمه ، وعدل الجميع في الرفاة ، واول من وضع اساس الكعبة ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال : فن آيهم صاحب الاريكة ، ومطعم الحريرة ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال : فن آيهم الاخوة العشرة الكرام البررة ؟ قالوا من بني مخزوم . قال : فهو ذاك . فقال رجل من بني امية : ايا الامير ، لو كان لهم مع قديمهم حديث اسلام . فقال الحجاج : او ما علمت بان منهم رداد الردة ، وقاتل مسيلمة ، وآسر طلحة ، والمدرك بالطائفة مع الفتوح العظام والايادي الجسام ! »^(٣)

(١) الواقدي (م) ١١٧

وفيه : على بدر سرة بني هيص

الا قد ساد بعدم رجال

(٢) الاصبهاني ١٣ : ١٦٦

ومخزوم ورهط ابي الوليد

ولولا يوم بدر لم يسودوا (كذا في الاصل)

(٣) ابن ابي الحديد ٢ : ٢٩٦

اهله

والده - عبدالله ابن ابي ربيعة

اما والد شاعرنا فهو عبدالله ابن ابي ربيعة ، وزعم الرواة ان اسمه في الجاهلية كان بجيرا^(١) وان النبي العربي سمّاه يوم أسلم عبدالله^(٢) . ولكننا اذا رجعنا الى نسبه نرى ان والد جدّه كان يسمى عبدالله ايضاً . ترى اليس طبيعياً ان يكون والده سمّاه باسم جدّه ؟ ويظهر من اخبار عبدالله في جاهليته انه كان تاجراً كبيراً من تجار قريش الاشراف ، موسراً جداً ، وكان اكثر متجره الى اليمن ، واثري حتى صار من اكثر بني المغيرة مالاً ، ويروي الاصهاني عنه رواية مهما يكن شأنها من الصحة فانها تدلّ على ان عبدالله قد عرف في قبيلته بالغنى والمقام قال : ان قريشاً كانت تلقّبه في الجاهلية بالعدل لانها كانت تكسو الكعبة في الجاهلية من اموالها سنة ويكسوها هو من ماله سنة فارادوا بذلك انه وحده عدل لهم جميعاً^(٣) .

وكانت ام عبدالله واسمها أسماء بنت مخزّمة النهشلية زوجاً لهشام بن المغيرة (عمّه)

(١) جاء في ابن دريد ١١٨ ان اشتقاق « بجير » من ثبّين امّا من قولهم بحر الرجل اذا فرق من جنز او غيره او يكون من البحيرة وهي الشاة التي تشق اذا خا . . . ويمكن ان يكون اشتقاق بجير من قولهم لقيته صحرة بحرّة او صحرة بحر أي فجاءة

(٢) الطبري ٣ : ٢٢٨٦ والبغدادى ١ : ٢٤٠ وابن ابى الحديد ٤ : ٣٠٠ والذهبي (مش) ٢٥ وابن سعد ٥ : ٢٢٨ وابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥ وفي الاصهاني ١ : ٣١ و ٨ : ٥٣ ان اسمه كان بجيرا . غير ان ناشري طبعة دار الكتب للآغا في آثروا قراءتها بجيرا ج ١ : ٦٤ وزعموا ان بجيرا تحريف وقد يكون الامر كذلك غير انه لا بد لنا من الاشارة الى ان ابن حجر يذكر في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة ٤ : ٦٤ ان اسم عبدالله كان بجيراً بالموحدة والميم مصغراً .

(٣) الاصهاني ١ : ٣١ وهناك رواية اخرى في المصدر نفسه ١ : ٣٠ تشير الى ان العدل هو الوليد ابن المغيرة ولعلها اقرب الى الصواب فقد جاء في ابن ابى الحديد ج ٤ : ٢٩٤ ثمر يوثقها ينسبونه الى ابى طالب بن عبد المطلب يفخر فيه بخاليه المخزوميين هشام والوليد على ابى سفيان بن حرب وخالي هشام بن المغيرة ثاقب اذا هم يوماً كالحسام المنذر وخالي الوليد العدل عال مكانه وخال ابى سفيان عمرو بن مرثد

فولدت له ابا جهل واخاه الحارث ، ثم غضب عليها هشام فجعلها مثل ظهر امه ، ويقال ان هذا كان اول ظهار ، فجعلته قريش طلاقاً ، ثم ارادت اسماء الانصراف الى اهلها فقال لها هشام : واين الموعد ؟ قالت : الموسم ! فقال لها ابنها : اقبلي معنا . فاقامت معهما . فقال المغيرة بن عبدالله وهو والد زوجها : اما والله لازوجنك غلاماً ليس بدون هشام . فزوجه ابا ربيعة ولده الآخر الملقب بذي الرمحين فولدت له عياشاً وعبدالله .^(١)

ولعل اول ما نسمع بذكر عبدالله في التاريخ الاسلامي كان زمن هجرة المسلمين الاولى الى الحبشة . فقد روى الطبري انه لما استقر بالذين هاجروا الى ارض الحبشة القرار بتلك البلاد واطمانوا غاظ ذلك قريشاً ، فتآمرت فيما بينها في الكيد بهؤلاء اللاجئين الذين ضووا الى ارض النجاشي ، فوجهوا عمرو بن العاص وعبدالله ابن ابي ربيعة الى النجاشي مع هدايا كثيرة اليه والى بطارقتة ، واثاروا عليهما ان يسألا النجاشي تسليم من بارضه من المسلمين اليهم ، فشخص عمرو وعبدالله اليه في ذلك الامر ولم يصل الى ما امل قومهما من الامر ورجعا مقبوحين .^(٢)

ويظهر ان بعض الرواة كانوا مغرمين بسرد القصص الغريبة فلم يكتفوا بهذا الخبر كما هو بل اضافوا اليه ذيولاً وحواشي جعلته الى الاساطير اقرب منه الى الحقيقة فضلاً عن ان بعضها يناقض ما ذكره آخرون عنه .

فقد زعم هؤلاء الرواة ان الذي سافر الى الحبشة مع عمرو بن العاص وراء المسلمين اللاجئين اليها كان عمارة بن الوليد المخزومي ، ورووا ان هذا حاول خيانة عمرو بن العاص في امراته وكانت مع زوجها في تلك الرحلة ، فلم يفلح ، وحفظها له عمرو ، حتى اذا بلغا بلد النجاشي وقابلا النجاشي ونزلا بيته ، حاول عمارة خيانة النجاشي في امراته واستطاع ان يفوز بجنتها ويحتلف اليها ونقل الى رفيقه عمرو اخبار تردده اليها ، فوشى عمرو به الى النجاشي وقدم له ادلة - ليس هنا موضع ذكرها - على خيانة عمارة ، فدعا النجاشي بسواحه فسحرن عمارة فهام على وجهه في فيافي الحبشة يعيش مع الوحوش ويرد معها الماء . ثم تذهب

(١) الاصبهانى ٨ : ٥٠ ويذكر ابن الأثير (ص ٣ : ١٥٥) ان ام عبدالله تغية ثم يقول وقيل امه وام اخيه اسماء بنت مخزومة

(٢) الطبري ١ : ١١٨٩ وابن الأثير (ص ٣ : ١٥٥) وانظر ابن هشام ١ : ٢١٧ وفي الاخير عن ام سلمة احدى نساء النبي ان النجاشي كان نعم الحامي لجوار المسلمين قالت : لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بما خير جار النجاشي أمناً على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه

الرواية الى ان عبدالله ابن ابي ربيعة رحل الى الحبشة في خلافة عمر يطلب عمارة فرصده على ماء ، فورد فوجد ربيع الانس فهرب ، حتى اذا اجهده العطش ورد فشرب حتى ملأ ، وخرج عبدالله في طلبه يسعى وراءه حتى التزمه فجعل يقول : يا بجير ارسلني ! يا بجير ارسلني ! اني اموت ان امسكتوني . قالوا فضبطه عبدالله فأت في يديه مكانه فواراه ثم انصرف .^(١) ومهما يكن من امر هذه القصة فاننا نرى فيها وفي الاخبار الاخرى عن رحيل عبدالله الى الحبشة وفي تسريه من امرأة حبشية ما يشير الى شيء من علاقات لعبدالله في الحبشة لم يترك لنا المؤرخون تفاصيل شافية عنها .

ثم نسمع ان عبدالله كان من المحرضين على محمد نفسه وان قريشاً استعانت بتجارته على النبي^(٢) فبذل بعض نفقة الحرب في بدر ، وذكر الرواة انه دفع خمسة دینار لنفقة من يخرجون .^(٣) ولما غلبت قريش واسر من رجالها في بدر نفر كبير سار وفد من مكة في فداء الاسرى كان بينهم عبدالله ، فافتدى خالد بن هشام بن المغيرة وامية ابن ابي حذيفة ابن المغيرة وعثمان بن عبدالله بن المغيرة باثني عشر الف درهماً . كل واحد باربعة آلاف .^(٤) وقد كان بين قتلى هذه الواقعة ابو جهل بن هشام والد عكرمة واخو عبدالله هذا لأمه .^(٥) ويروى انه بعد رجوع قريش من بدر مشيت اشرافها الى ابي سفيان ممن كانوا من اصحاب القافلة التي اتى بها ابو سفيان بينهم عبدالله ابن ابي ربيعة يشيرون ببيع القافلة ووقفها لحرب النبي .^(٦)

وهكذا فانه قد عاد الى التحريض على قتال محمد للانتقام منه وللأخذ بثار المقتولين في واقعة بدر .^(٧) وكانت واقعة احد سنة ٣ للهجرة نخاضها مع رفيقيه في التحريض - عكرمة ابن اخيه لأمه وصفوان بن امية - وقد اشترك مع هؤلاء في الحرب عمرو بن

(١) الاصبهاني ٨ : ٥٢ وانظر ابن هشام ١ : ٢١٧ ويذكر ابن دريد ٦٣ ان رفيق عمرو بن العاص في رحلته وراء المسلمين الى الحبشة كان عمارة بن الوليد

(٢) الاصبهاني ١٤ : ١٢

(٣) الواقدي (م) ٣٦

(٤) " " ١٢٥-١٢٦

(٥) الاصبهاني ١ : ٣١

(٦) الواقدي (م) ١٩٨ وابن الاثير ٢ : ١١٤

(٧) الطبري ١ : ١٢٨٤

العاص وخالد بن الوليد وغيرهما ، واستعانت قريش في واقعة احد هذه باجاش كانت معهم ^(١) لعلمهم اجاش عبدالله نفسه . ^(٢) ويذكر الواقدي وابن سعد ان الرماة من قريش كانوا مئة يومئذ عليهم عبدالله هذا . ^(٣)

ثم نعود فنسمع انه أسلم يوم فتح مكة سنة ٩ للهجرة بعد ان تغلب محمد على كفار قريش . ^(٤) ويظهر ان عبدالله خشي مغبة مخاصمته لمحمد وتحريضه عليه فهرب واستجار بام هاني اخت علي فاجارته ، ويذكر اليعقوبي وابن الاثير ان علياً اراد قتله فنعتته اخته منه واتت محمداً فاخبرته بذلك فقال قد اجرنا من اجرت . ^(٥) ووفد بعد ذلك على النبي وأسلم وصحبه وروى عنه الحديث . ^(٦)

ويروي الطبري وابن حجر وابن الاثير وغيرهم ان النبي بعد فتح مكة عزم على المسير الى حنين فعرض عليه حبش كانوا عند عبدالله ابن ابي ربيعة يتصرفون في جميع المهن ليستعين بهم في حربه فأبى ، ^(٧) غير انه احتاج الى مال فاستسلف من عبدالله بضعة عشر ألفاً ^(٨) فلما رجع من حنين دعا به واعاد له المال قائلاً : خذ مالك بارك الله لك في اهلك ومالك فانما جزاء السلف الوفاء والمجد . ^(٩) ولقد كان لصحبة عبدالله للنبي ومساعدته له اثر في نفس النبي كما يظهر فاستعمله على الجند ومخالفها .

ولسنا نعلم عن عبدالله من الاخبار في سني اسلامه الاولى الا قليلاً فقد ذكروا ان امه أسماء أسلمت وهاجرت وسكنت المدينة وبقيت الى خلافة عمر او بعدها . ^(١٠)

(١) الطبري ١ : ١٢٨٤ والاصماني ١٦ : ١٢ اقرأ بهذه المناسبة مقالاً للاب لامنس في مجلة المشرق

١٩٣٦ ج ١ : ١ - ٢٢

(٢) راجع الاصماني ١ : ٢٢

(٣) الواقدي (م) ٢١٩ وابن سعد ٢ : ٣٧

(٤) الطبري ٣ : ٢٢٨٦ وانظر الاصماني ٨ : ٥٣

(٥) ابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥ واليعقوبي ٢ : ٦٠ وليلاحظ ان ام هاني كانت زوج هبيرة بن

ابي وهب من رجال بني يقطه والد مخزوم . ابن دريد ٩٥

(٦) الطبري ٣ : ٢٢٨٦ والبغدادى ١ : ٢٤٠ وابن ابي الحديد ٦ : ٣٠٠

(٧) الاصماني ١ : ٢٢

(٨) في ابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥ انما اربعون الف درهم

(٩) الطبري ٣ : ٢٢٨٦ وابن حجر ٦ : ٦٥ وابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥

(١٠) ابن سعد ٨ : ٢٢٠

وكانت عطارة وكانت تبيع عطرها في المدينة بعد عام الفتح ^(١). وهذا يشير الى ان عبدالله قد انتقل بعائلته الى المدينة على الاغلب ويؤيد هذا ما ورد في ابن الاثير من ان مخرج حديث عبدالله عن اهل المدينة وهو يعد فيهم ^(٢). ويظهر من اخبار توليه الجند ان اهله كانوا بالمدينة اما هو فكان اغلب وقته في اليمن . ويذكر ابن سعد والواقدي خبر ام عبدالله التي كانت تبيع العطر ويشير الى ان ابنها هذا كان يبعث اليها بالعطر من اليمن فكانت تبيعه بالمدينة ^(٣).

ويظهر ان ابا بكر قد اقرَّ عبدالله على الجند بعد موت محمد وكذلك فعل عمر ويزعم ابن الاثير ان عمر اضاف اليه صنعا ^(٤).

ولعبدالله في خلافة عمر وقائع اخبار قليلة . منها انه اتخذ افراساً له بالمدينة وكانت ايام جوع وفقر ، فمنعه عمر ، فكلموه في ان يأذن له ، قال : لا آذن له الا ان يجيء بعلقها من غير المدينة . فارتبط افراساً وكان يحمل اليها العلف من ارض له باليمن ^(٥). وروي عن عبدالله ايضاً انه بعث الى الخليفة المذكور هدايا من حلل اليمن ففرقها عمر في المحمدين اي في كل من سمّاه النبي محمداً ^(٦). وذكروا عنه ايضاً انه كان في البحرين في خلافة عمر ولم يذكروا سبب رحيله اليها ولعله كان في تجارة له ^(٧).

ونعود فنسمع عن عبدالله ما يفيد انه كان في المدينة عند ولادة ابنه عمر وبالاخرى يوم مقتل الخليفة عمر ، وانه وافي المدينة مع بعض امراء الاجناد ، كما كانت عادة العمال ان يفعلوا ايام الحج في خلافة عمر ، وقيل انه استشير في امر الذي يخلف عمر فقال ان بايعتم عثمان قلنا سمعنا واطعنا ^(٨) . غير ان ابن حجر يذكر ان عمر قال لاهل الشورى لا تختلفوا فانكم ان اختلفتم جاءكم معاوية من الشام وعبدالله ابن ابي ربيعة من اليمن فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم وان هذا الامر لا يصح للطلاق ولا لابناء الطلقاء ^(٩). وانتخب عثمان خليفة فاقرَّ عبدالله على الجند ^(١٠) ويروي ان عبدالله راسله في ان يبعث

(٢) ابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥

(٣) ابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥

(٤) الاصباهي ١٦ : ١٥٨-١٥٩

(٥) ابن الاثير ٢ : ٥٥

(١) الاصباهي ١ : ٢١

(٣) الواقدي (م) ٨٦ : ٨ : ٢٢٠

(٥) الطبري ١ : ٢٧٥٦

(٧) الاصباهي ٢ : ٥٩

(٩) ابن حجر ٢ : ٦٥

(١٠) الطبري ١ : ٣٠٥٧ والنووي ٤٦١ والاصباهي ١ : ٢٢

اليه غلاماً حبشياً اشتراه يقول الشعر ؛ فكتب اليه عثمان : لا حاجة لي اليه ، فاردده ، فانما حفظ اهل العبد الشاعر إن شيع ان يتشبه بنسائهم ، وان جاع ان يهجوهم ؛ فردّه .^(١) و يذكر ابن الاثير والنووي وابن حجر ان عبدالله بقي عاملاً لعثمان طول خلافته حتى كانت سنة الدار وحوصر عثمان فأتى لنصرته وقتل سقوطاً عن راحلته .^(٢) غير ان البلاذري ، وقد سبقهم الى ذكر هذه الحادثة ، لا يشير الى موته بل يكتبني بقوله : « فلما انتهى الى بطن نخلة سقط عن راحلته فانكسرت رجله فانصرف الى اهله .^(٣) ويشير الحنبلي في شذرات الذهب الى ان عبدالله توفي سنة ٣٥ هـ .^(٤)

والظاهر من هذه الروايات كلها ان عبدالله مات عام قتل عثمان او بعد ذلك بقليل وكان من الطبيعي ان تنتهي اخباره عند هذا الحد لولا ان ابن خلكان يفاخنا برواية غريبة يروي فيها ان عبدالله والد عمر قد قتل في سجستان عام ٧٨ هـ .^(٥) اي بعد موت عثمان بنحو اربع واربعين سنة . وقد استطاع ابن خلكان ان يضلل الكثيرين من ادبائنا العصريين الذين ترجوا حياة عمر وذكروا شيئاً عن والده فانهم قبلوا الرواية ونقلوها على عآلتها . ومن الغريب ان العالم الالماني شفارز لم يلتفت في كتابه عن عمر الى روايات البلاذري وابن الاثير والنووي وابن حجر والحنبلي في هذا الصدد واكتفى بالإشارة الى رواية ابن خلكان .^(٦)

ويظهر لي ان ابن خلكان مخطئ وان والد عمر لم يعثر الى هذا الزمن الذي ذكره ابن خلكان^(٧) ومهما يكن من الامر كله فان الاتصال بين عبدالله وابنه عمر ، فيما اعلم

(١) الاصبهاني ٢ : ٢٠

(٢) ابن الاثير ٣ : ١٦١ والنووي ٤٦١ وابن حجر ٤ : ٦٥

(٣) البلاذري « ١ » ٥ : ٨٧ (٤) الحنبلي ١ : ٤٠

(٥) ابن خلكان ١ : ٥٢٩ (٦) شفارز ٢٣

(٧) ذلك ان الروايات المختلفة تشير الى ان عبدالله كان رجلاً صاحب مال وعييد وثروة عام حنين ١٠ هـ . بل تذهب الى انه كان من المحرضين على النبي يوم بدر وكان في الوفد الذي سار لفداء أسرى تلك المعركة عام ٣ هـ . وكان على الرماة يوم أحد كما رأينا ويستبعد جداً ان يكون في مثل تلك المكانة وذلك الشأن وهو دون العشرين فكيف يمكن لرجل مثله ان يظل في الحروب والجهاد فيقتل في سجستان عام ٧٨ اي وهو في حدود الخامسة والتسعين . وهناك رواية تذهب الى ان ابنه الحارث كان في خلافة عمر رجلاً مدركاً حكيماً له رأي وكلمته . زعموا ان أمه كانت نصرانية وكانت تسر ذلك منه وانما ماتت على دينها فلما حضر الاشراف جنازتها سمع الحارث لفظاً من النساء

من الكتب التي رجعت اليها ، كان مجهولاً ولنذكر ان عمر ولد في آخر خلافة ابن الخطاب سنة ٢٣ هـ . ولم يدرك آخر خلافة عثمان الا صبيّاً او غلاماً ، وكانت اكثر الاخبار التي عرفناها عن والده اخبار الحقبة التي سبقت هذه السنوات الاولى من حياة شاعرنا .

فسأل عن الخبر فقبل له انه وجد صليب في عنقه . فخرج الى الناس وقال : انصرفوا فان لها اهل دين هم اولى بما منّا ومنكم . فاستحسن ذلك منه ، وعجب الناس من فعله . (الاصبهاني ١ : ٢٣) فاذا كان الحارث زمنئذٍ في حدود العشرين فان والده لا يمكن ان يكون اقل من خمس وثلاثين ، هذا اذا كان الحارث اكبر اخوته ، اما وقد اورد النووي ص ٤٦١ ان كنية عبدالله كانت ابا عبد الرحمن (اخي الحارث) فانا نستبعد ان يكنى بغير بكره ، وبالتالي فيجب ان يكون عند موت امراته ام الحارث اكبر من ٣٥ . وانئى لئلا من في هذه السن ان يسرّ ستين سنة اخرى ويقتل مجاهدًا ؟ واذا جاز لنا ان نقبل الاخبار التي ذكرناها عنه في الجاهلية من رحيله الى الحبشة ، وقد اختير - كما تقول السيرة - رجلاً جلدًا (ابن هشام ١ : ٢١٧) الى فتوذه وثروته ومكائنه في قريش ، الى اعماله التي كان يديرها قبل الاسلام ، وعبيده الذين كانوا يتصرفون في جميع المهن ؛ اقول اذا جاز لنا ان نقبل هذه الاخبار او بعضها على الاقل فأننا نرى من المستبعد جداً ان يكون قد عمر الى ذلك التاريخ الذي ذكره ابن خلكان ويموت محارباً في سجستان .

زد على هذا كله اننا لم ننع - في كل اخبار شاعرنا - على ذكر لحادثة واحدة له مع والده ، ففي اخباره امور كثيرة - ذكرت عن علاقة اخيه الحارث به ونصحه له في ان يرجع عن سبيل اللهو التي يسلكها - كان من الطبيعي ان تصدر عن والده لو كان حياً . ولا نرى بعد هذا كيف ان صحابياً مثل عبدالله له علاقات تجارية في اليمن كانت من ام العوامل فيما نظن لتعيينه عاملاً للخليفة هناك ، متحدرًا من عائلة عرفت بمكائنها وفتوذه في الجاهلية والاسلام ، تنقطع اخباره في كتب الادب والدين والتاريخ بعد مقتل عثمان لاربع واربعين سنة فلا يذكر فيها عنه شيء سوى امر استشهاده الذي يتفرد به ابن خلكان .

ولو شئنا التوسع في البحث لرأينا من حقنا ان تهتم ابن خلكان بالخلط والتحريف . فليس من شك في ان الرواية الاولى اقرب الى الصواب وان رواها اعدل شهادة من ابن خلكان واعظم ثقة ، وقد كان بعضهم من المتقدمين السابقين ، اما المتأخرون منهم فمن علماء الحديث ، وكان علم مصطلح الحديث قد وضع فاتبوه وكانوا يتجرون طرقاً قوية للوصول الى الحقائق كان ابن خلكان بعيداً عن اكثرها فيما نظن .

نرى بعد هذا كله ان رواية ابن خلكان غير ثابتة ولا يصح الركون اليها ، ولعلّه قد خلط بين شخص اسمه عبدالله بن عياش ابن ابي ربيعة وبين عبدالله والد شاعرنا ، بحيث وقع مثلاً على هذا الخبر في بعض المظان فخال ان الشخص المقصود هو عبدالله والد شاعرنا فاورد الخبر في ترجمة ابنه عمر . ومن الممتع ان نعلم ان ابا الفلاح الحنبلي قد ذكر في كتابه « شذرات الذهب في اخبار من ذهب » عن عبدالله بن عياش ابن ابي ربيعة انه قتل بسجستان ، ولكنه لم يتفق مع ابن خلكان في سنة الوفاة . الحنبلي ١ : ٥٥

ام - محمد ؟

لم يقتصر عبدالله على امرأة واحدة بل كان شأنه شأن الكثيرين من رجال ذلك العهد . وكثيراً ما دعا تعدد النساء للرجل الواحد الى اختلاط الامر على المؤرخين في معرفة ام الرجل الذي يترجمون حياته او يبحثون في اخباره . وقد وقع شيء من هذا لبعض هؤلاء المؤرخين الذين كتبوا شيئاً عن حياة ابن ابي ربيعة او ذكروا ما يعلمون عن أمه فزعم بعضهم ان أمه حبشية نصرانية .

وقد خطأ أبو الفرج الاصبهاني اصحاب هذا الزعم وقال : « تلك ام اخيه الحارث » وذكر انها ماتت على دينها زمن عمر بن الخطاب اي قبل ان يولد صاحبنا عمر .^(١) وأشار أبو الفرج في الموضع نفسه الى ان ام عمر « ام ولد »^(٢) سببت من حضرموت او من حمير . اما ابن قتيبة فلم يذكر هل كانت حبشية ام لا ، غير انه قال ان ام عمر نصرانية وهي ام اخوته .^(٣) ويظهر ان ابا الفرج اقرب الى الحقيقة من هؤلاء ، اذ سنرى في اخبار عمر انه سار مرة الى احواله بلحج في اليمن ويستبعد جداً عندئذ ان تكون امه حبشية ، اذ يلوح من الخبر ان احواله كانوا يمينين^(٤) كما زعم أبو الفرج . كذلك ان خبر ابي الفرج في شأن ام الحارث في المدينة في خلافة عمر ينفي زعم من قال ان ام عمر هي ام اخوته . ومع ان ابا الفرج يذكر انها ام ولد فأننا لا نرتاح لهذه الرواية كل الارتياح ، وذلك لما ذكرنا مما كان لعبدالله من العلاقة في اليمن ومما كان لأحوال عمر من العلاقة مع عمر في شبابه . وهذا ما يحملنا على الظن انها لم تكن سيئة بل زوجة حرة تزوج منها عبدالله أثناء ولايته في الجند لا قبل ذلك .

وهناك رواية ذكرها البكري تشير الى انه كان لعمر اراض مخصبة في اليمن اما من امه او من ابيه .^(٥) فاذا كان قد ورثها من أمه فان هذا وحده كافٍ ان يمنع ان تكون سيئة ، زد على هذا كله ما ستراه من روح عمر الكبيرة وانفته وتبته وغروره بنفسه

(٢) اذا تزوج السيد من أمته فولدت له حرّاً

(١) الاصبهاني ١ : ٢٢

وصارت « ام ولد » انظر جبور (ع) ١ : ٢٢ (٣) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩

(٤) لا يوجد ما يمنع ان يكون اصلهم من حضرموت

(٥) البكري ٤٨٩

بحيث لا يشتم من كلامه مطلقاً انه ابن ام ولد . ولنا في تعليل وجود الرواية الاولى التي تشير الى انه ابن سيئة امران : اولها ان هناك رواية تشير الى ان ام اخوته هي ام ولد ، وانها كانت امه ، وهي غير امه كما اسلفنا ، فيجوز ان هذه الرواية اثرت في نفوس بعض الرواة فنقلوا ان أمه سيئة ، ام ولد . والثاني ان نساء قريش كن دون شك ارفع مكانة في الاسلام من سائر نساء العرب فليس غريباً ان يفاخرن غير القرشيات وبنوع خاص غير العدنانيات . فلم يكن لام عمر شأن يذكر فحسبها بعض الرواة المتأخرين عن العصر الاول من السيئات . وفي بعض الاخبار ان رجلاً من قريش نظر الى رجل من اهل اليمن يقول الحمد لله الذي اقر عيني بمقتل قريش فقال له ابنه: الحمد لله الذي اذلهم بايدينا فما كانت قريش تظن ان من تزل على عمان من الازد عري .^(١) ولكن السبب الثاني ضعيف لا يصح الركون اليه كثيراً ، وعلى كل حال لا نستطيع الجزم بالبات في انها يمينية غير سيئة ، اذ يجوز ايضاً انها يمينية وقد سيئت . وزعم بعض الرواة ان عمر اتاه الغزل من اليمن من ناحية امه حيث يقال غزل يائي ودل حجازي .^(٢)

ولا يستغرن القارئ هذا الاضطراب والغموض في معرفة ام هذا الشاعر الذي كان ملء الاسماع في ذلك العصر ، اذ قلما كان يعنى الرواة القدماء في درس بيئة الشاعر الخاصة وحياته العائلية والتعرض الى حياة امه ونشأته معها وتربيتها له . والذي يستغرب حقاً في الاصول العربية القديمة وجود اخبار مفصلة عن حياة رجل في صباه ، شاعراً كان او اميراً ، وعن نشأته الاولى ومحيطه العائلي .

وتنقطع الاخبار عن علاقة عمر بامه واتصاله بها فلا نعلم هل كانت عند اهلها يوم رحل الى اخواله بلحج وأبين ام لا .^(٣) واغلب الظن انها بعد موت زوجها عبدالله عام حوصر عثمان عادت الى اهلها وقد كان زوجها ارض باليمن .^(٤) ويظهر ان وجودها هناك كان من العوامل التي دفعت بعمر ان يزور اخواله . ولسنا نعلم متى ماتت واين ، ولولا ان هناك حادثة هامة في حياة ام اخيه الحارث ، وهي بقاؤها على نصرانيتها وموقف ابنها عند موتها من ذاك ، لكنناً ربما لم نسمع عن موتها شيئاً .

فلنكتف الآن بما ذكرنا ولنشر الى ان ابا الفرج ذكر ان اسمها مجد ولنتنقل الى اخوته -

(٢) الاصبهاني ١ : ٢٢

(٤) الطبري ١ : ٢٧٥٦

(١) الاصبهاني ٣٠ : ١٠٠

(٣) الاصبهاني ١ : ٤٩

أخوته —

عبد الرحمن ابن أبي ربيعة

تذكر بعض المصادر ان لعمر اخوين هما عبد الرحمن والحارث^(١). اما عبد الرحمن فالأخبار عنه قليلة ، والذي نعرفه هو ان والده كان يكنى به^(٢)، فلعله كان اكبر اخوته . وذكروا انه كان احول ، وانه تزوج من ام كلثوم بنت ابي بكر الصديق بعد موت زوجها طلحة مقتولاً في واقعة الجمل فولدت له ، وكانت لا تزال دون الخامسة والعشرين اذا انها وُلدت بعد وفاة والدها ابي بكر^(٣). وسرد ابن سعد اسما خمسة اولاد لعبد الرحمن من ام كلثوم هم عثمان وابراهيم وموسى وام حميد وام عثمان^(٤). وأشار ابو الفرج الاصبهاني الى خبر نقله الزهري عن ابراهيم احد اولاد عبد الرحمن اخذه عن امه وكانت قد اخذته عن اختها عائشة^(٥). واكتفى ابن قتيبة والبغدادى في ذكر ان عبد الرحمن اعقب ولكنها لم يستبأ اولاده ولا أشارا الى هل كان نسله من ام كلثوم وحدها او منها ومن غيرها ايضاً^(٦). غير ان الطبري اشار الى رجل اسمه عمر بن عبد الرحمن المخزومي ارسله الحارث ابن ابي ربيعة زمن ولايته على البصرة ليصلح بين المتحاربين هو والاحنف ابن قيس^(٧). فهل كان عمر هذا ابناً لعبد الرحمن من امرأة غير ام كلثوم ، ام انه من آل عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد ؟

ولعل هذه القرابة بين عبد الرحمن وبيت ابي بكر الصديق بحكم اصهاره اليهم تفسر لنا شيئاً من ميل آل ابي ربيعة الى ابن الزبير وهو ابن اسما بنت ابي بكر اخت ام كلثوم . بل ربما كان هذا الاصهار ايضاً سبباً في ان يتعرف عمر بعائشة بنت طلحة ابنة امرأة اخيه من زوجها الاول ويحبها هذا الحب الذي كاد يضارع حبه لثريا. ولعلنا ايضاً

(١) النوي ٤٦٣

(١) ابن قتيبة (ش) ٣٤٩

(٢) ابن سعد ٥ : ١٢٨

(٣) ابن قتيبة (ش) ٣٤٩ وانظر الطبري ١ : ٢١٢٥

(٤) الاصبهاني ٨ : ١٠٢

(٥) الطبري ٢ : ٦٨٣

(٦) ابن قتيبة (ش) ٣٤٩ والبغدادى ١ : ٢٤٠

نستطيع بحكم هذه القربى ان نفسر هذه الصداقة بين عمر وابن ابي عتيق احد احفاد ابي بكر وقد كانت فيما سيظهر لنا اوثق صداقة عقدها عمر مع احد من الناس . ويظهر ان عبد الرحمن اشترك في الحياة السياسية ذلك العصر . ولم يحفظ لنا التاريخ من اخباره في هذه الناحية سوى انه كان احد الرؤوس يوم الحرّة مع حامية المدينة يدافع بني امية ويردهم مع جيوش المحاصرين ، فاقتحم عليهم اهل الشام واقتتلوا فيما يقول ابن سعد حتى عاينوا الموت ونجا فلم يقتل يومئذ ومات بعد ذلك .^(١)

الحارث ابن ابي ربيعة

اما الحارث فاخبره كثيرة . فلقد اشترك في الحياة السياسية ذلك العصر وعاش طويلاً ، وقد كانت امه حبشية وكان فيه سواد .^(٢) وكان يميل بهواه الى آل الزبير ، وقد ذكرنا القرابة بين هاتين العائلتين ، فعينه عبدالله بن الزبير عاملاً له على البصرة . ولست ادري لم لم يعين ابن الزبير زوج خالته عبد الرحمن اخا الحارث . ولكن من يدري فلعل عبد الرحمن قد قضى قبل هذا التاريخ ، او لعل الحارث كان اقدر على امور السياسة من اخيه . ولقد رأينا حسن تصرفه عند موت امه . وتذهب اخبار ولايته الى انه كان شديداً قديراً حكيماً . وقد روي انه لما عينه عبدالله بن الزبير عاملاً على البصرة وبلغ الخبر الخليفة عبد الملك . قال : لا حراً يوادي عوف ، بعث عوفاً وجلس .^(٣) يشير الى مكانته وقدرته . وروي عن عبد الملك ايضاً انه قال فيه : ان امّاً ولدت الحارث لمنجبة .^(٤) وانه قال فيه ايضاً : ما ولدت والله أمة مثل ما ولدت امه .^(٥) وان في شهادة الخصم لقوة وحجة كبيرة . وقد ذكر ابن قتيبة ان الحارث هذا كان خيراً وعفيفاً .^(٦) وذكر الاصبهاني عنه انه كان صالحاً ودينياً .^(٧) وقال ابن سعد فيه : كان خطيباً عفيفاً .^(٨) وروي عن عمر بن الخطاب .^(٩) وسرد البيهقي قصة عنه تشير الى انه كان يغار على الصيت الحسن حتى انه

(١) ابن سعد ٥ : ١٢٨ وابن قتيبة (١) ١٧٣

(٢) ابن سعد ٥ : ١٩

(٣) الطبري ٢ : ٦٠٢ وفي الاصبهاني ١ : ٢٢ ارسل عوفاً وقعد (وهو مثل يضرب للرجل الذي

يسود الناس)

(٤) ابن عبد ربه ١ : ٢٣

(٥) الاصبهاني ١ : ٢٣

(٦) ابن قتيبة (ش) ٣٥٢

(٧) الاصبهاني ١ : ٤٩

(٨) ابن سعد ٥ : ١٩

(٩) ابن سعد ٥ : ٢٤٢

عندما عيّن الفلافس النهشلي على شرطته مدة ولايته في البصرة وسمع شعراً اتهم فيه الفلافس هذا بالزنا والشرب دعا به وقال له : قد علمت انه كذب عليك ، ولكن لا حاجة لي فيك .^(١) وروى الجاحظ ان الحارث كان يحدث عن علي .^(٢) وليس هناك الا شيء واحد اخذه القدماء عليه وهو انه كان نهماً مزواجاً ، وقد هجاه ابو الاسود الدؤلي وطلب الى عبدالله بن الزبير نقله وتعيين عامل غيره .^(٣) ويظهر من طبقات ابن سعد ان الحارث كان حقاً مزواجاً فقد ذكر له من النساء نحو تسع بين حرائر وامهات اولاد وذكر له من الولد اكثر من عشرين .^(٤) وقد كانت بين الحارث واخيه عمر علاقات سنعرض لبعضها في حينه ويلوح لنا ان الحارث كان وليّ عمر بعد موت والدهما يرعاه بعنايته ورعايته . وسنرى في دراستنا لحياة عمر ان علاقة الحارث به استمرت حتى ايامه الاخيرة وحتى فصل الموت بينه وبينه .

وقد كان للحارث ايام عبدالله بن الزبير مركز سياسي عظيم فقد ظلّ عاملاً له على البصرة نحو ست سنوات نجّي اثناء الثالثة والرابعة منها ليحل محله مصعب اخو عبدالله .^(٥) غير ان مصعباً هذا اقرّ الحارث على الكوفة^(٦) وقد امدّ الحارث حين كان على البصرة ابن الزبير حين هاجمته جيوش عبد الملك بن مروان لأول مرة بنحو الف رجل من رجال البصرة على رأسهم حنيف بن السجف .^(٧) وكانت للحارث مع الخوارج وقائع هامة وقد حلّقهم مرة سنة ٦٨ هـ . فكاد يطردهم من كل العراق .^(٨)

ولم يكن لعمر فيما يظهر من كل المصادر التي بين ايدينا اتصال باخيه هذا من حيث العمل السياسي ، فليس يعرف عنه انه كان معه في العراق او انه كان موظفاً عنده في امر من امور ولايته ، واتى لعمر ان يقبل عملاً سياسياً وقد وُكِّل بشؤون الحب في الحجاز . وليس تعلّق عمر بالحجاز ونسائه مانعاً له من ان يكون قد زار العراق او البصرة بنوع خاص ايام ولاية اخيه يشيّع فتاة عراقية بعد الحج ، او يوافيها الى موعد كانت ضربته له وهي في الحجاز .

(٢) الجاحظ (ب) ٥٦

(٤) ابن سعد ٥ : ١٨

(٥) الطبري ٢ : ٧١٢ و ٤٦٤ و ٥٧٨ وراجع اليعقوبي ٢ : ٣٠٤

(٧) ابن قتيبة (١) ٢ : ١٤

(١) البيهقي ١٧٥-١٧٦

(٣) الاصبهاني ١ : ٤٩

(٦) " ٢ : ٧٥٣-٧٥٤

(٨) الطبري ٢ : ٧٦١

اغوة آفرون ؟

ويذكر البغدادي ان لعمر اخاً ثالثاً يسميه عبدالله^(١). وقد تفرد البغدادي بذكر هذا الاخ ولم يشر الى المصدر الذي استند اليه . والبغدادي من المتأخرين فيصعب علينا قبول روايته ولعل في الامر خطأ ان لم يكن نسخاً ناتجاً عن تحريف « عبد الرحمن » الى « عبدالله » فهو ناتج عن الخلط بين ابناء عبدالله ابن ابي ربيعة وابناء عياش اخيه ، حيث هناك ولدٌ للاخير اسمه عبدالله .

ولقد ذكر الفاكهي رجلاً اسمه عبد الملك بن عبدالله ابن ابي ربيعة وله نسل^(٢). فهل كانت رواية الفاكهي الاصل الذي اخذ عنه البغدادي ؟ وهل عبد الملك هذا اخ لعمر ام هو ابن عبدالله بن عياش ابن ابي ربيعة ؟ لست ادري ! ولكنني استغرب ان يكون هناك اخ لعمر غير عبد الرحمن وغير الحارث ولا يعرف عنه شيء . في تاريخ تلك الحقبة من الدهر ، واخوته من نعرف .

مولده

ابن ولد عمر

اما البلد التي وُلد فيها عمر فقد فات مؤرخي حياته ان يذكروها ، ولعلها واحدة من المدن الثلاث التالية - الجند او مكة او المدينة .

فالجند كانت مقر ولاية والده عبدالله منذ عيّنه عليها النبي محمد حتى آخر خلافة عثمان ، ولا يبعد ان يكون عبدالله قد استصحب معه زوجه اليمينية ام عمر فولدت له عمر هناك . غير انه لو صح هذا الفرض فان من الغريب ان تعرف هذه المصادفة في ان الشاعر عمر وُلد ليلة قتل الخليفة عمر .

اماً مكة فلان عمر مكّي الوالد والعشيرة والموطن . والرواية يذكره بين الشعراء المكّيين ، ويؤمنون انه كان يقيم بمكة . وقد اشاروا الى انه كان بمكة حين اخذت تشيع اشعاره فاعطاه اخوه مالا فنيا زعموا على ان لا يقول شعراً ، قالوا : فخرج الى اخواله بلّج وأبين مخافة ان يهيجه مقامه بمكة على قول الشعر .^(١) بل ان عمر نفسه يشير في كثير من المواضع في شعره الى ان مكة هي مسكنه او موطنه ، ولقد قال :

وانا امرؤ بقرار مكة مكّني ولها هواي فقد سبت قلبي^(٢)

وقال :

كيف الشواء بطن مكة بعدما همّ الذين تحبّ بالانجاد^(٣)

غير ان ما اعترضنا في الفرض الاول يعترضنا هنا ايضاً ، زد على هذا انه لم يعرف ان امه او احداً من ذويه الاقربين كان بمكة آخر خلافة عمر .

بقيت المدينة وهي البلد التي نزح ان مولده كان فيها ، ذلك ان اكثر زعماء قريش فيما نعلم هاجروا بعد فتح مكة الى المدينة ، لا سيما حينما اصبحت عاصمة الخلفاء الراشدين ، وسعوا لاخذ نصيبهم من الزعامة والوظائف في هذه الدولة الجديدة ، ان جاز لنا تسميتها

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٨٧

(١) الاصبهاني ٤٩ : ١

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ١٧٠

بالدولة . بل ان هناك نصوصاً تذكر ان جدّة عمر (ام عبدالله) كانت — كما سبق فاشرنا — تسكن المدينة في خلافة عمر وقد هاجرت اليها بعد اسلامها ، وان امرأة ابيه الحبشية ماتت بالمدينة وكان ابنها الحارث (اخوه) زمناً في المدينة ، فهذا يدلّ على ان اهله او قسماً من اهله كانوا بالمدينة . ويجب ان لا ننسى ان الرواة يذكرون ايضاً انه في الليلة التي قتل فيها عمر ولد صاحبنا عمر فسّتي باسمه ، ويصعب ان يعرف هذا التصادف لو وقع في بلدين بعيدتين الواحدة عن الاخرى كمكة والمدينة ، او كالجند والمدينة ، وقد قتل عمر كما هو مشهور في المدينة . زد على هذا ان ابن الاثير يذكر وجود عبدالله ايام انتخاب عثمان ورايه في امر استخلافه^(١) . بل انه يشير الى ان مخرج حديث عبدالله كان عن اهل المدينة ويقول عنه انه يعد فيهم^(٢) .

وتشير اكثر اخبار عمر الى انه نشأ بالمدينة كما سنرى ، وفي شعره ما يظهر انه يرى المدينة ايضاً وطناً له ، قال :

ذكر البلاط وكل ساكن قرية
بعد الهدوء تخيجه اوطانه^(٣)

وروي انه لما تزوجت الثريا وعمر غائب عن الحجاز وبلغه الامر قال فيها شعراً ثم حمله الشوق على ان سار الى المدينة فكتب الى الثريا :

كتب اليك من بلدي	كتاب موته كمد
كتب واكف العينين	م بالحسرات منفرد
يؤرقه لبيب الشوق	م بين السحر والكبد
فيمسك قلبه يدي	وينسج عينه يدي ^(٤)

ومع انه لا يوجد في كل هذه الروايات التي ذكرنا نص صريح يشير الى ان عمر قد ولد في بلدة معينة من هذه المدن الثلاث فانما نرجح ان ولادته قد وقعت في المدينة لكثرة القرائن التي تدل على هذا الامر كما ترى .

(١) ابن الاثير ٢ : ٥٥

(٢) ابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٦٣

(٤) الاصبهاني ١ : ٩٢ والبغدادى ١ : ٢٣٩

مضى ولد

قالوا : ولد عمر ليلة قتل عمر
فقال الناس « اي حق رفع واي باطل وضع »

اما زمن مولده فقد كاد يتفق كل الرواة على انه وافق يوم مقتل الخليفة عمر بن الخطاب ، بل ان بعضهم قد روى ان عمر انما سمي بهذا الاسم لمواقعة ولادته ليلة مقتل عمر .^(١) ولم نرَ ما يخالف ما اتفق الرواة عليه الا في شرح شواهد المغني للسيوطي^(٢) فقد ذكر بصراحة ان عمر ولد زمن عمر بن الخطاب ثم قال : وقيل بل ليلة قتل . وظاهر ان السيوطي يؤثر الرواية الاولى . وهناك رواية اخرى نقلها ابن خلكان بعد ان ذكر ان ولادة عمر كانت في الليلة التي قتل فيها عمر قال : وقال الهيثم بن عدي مات (اي عمر) سنة ٩٣ للهجرة وعمره ثمانون سنة والله اعلم .^(٣) ومع ان هذه الرواية لا تشير الى زمن مولده فاننا نستنتج منها كما هو ظاهر ان عمر ولد سنة ١٣ هـ . والظاهر ان الهيثم لم يوفق في معرفة سن عمر ليس الا ، وانه باستناده الى بعض الروايات الضعيفة التي تقول ان عمر فتك ٤٠ سنة ونسك ٤٠ سنة^(٤) والى الروايات الاخرى التي تقول انه مات سنة ٩٣ هـ . وصل الى هذا ، وكان عليه لو اراد ان يتقيد بالرواية التي تذهب الى انه فتك ٤٠ سنة ونسك ٤٠ سنة ، وكان عليه ان يدون سنة وفاته بعد المئة كما فعل البعض فيما سئري . وهناك اشارة في رواية نقلها ابو الفرج في اغانيه عن عطاء انه قال : كان عمر ابن ابي ربيعة اكبر مني كانه ولد في اول الاسلام .^(٥)

وظاهر من هذه الروايات كلها ان قيمتها قليلة فالسيوطي من المتأخرين ولا يصح الاعتماد عليه كثيراً ، وابن خلكان مثله ولم يكن كثير التدقيق ، وعبارة عطاء « كان عمر اكبر مني كانه ولد في اول الاسلام » لا يوجد فيها ما يمنع ان يكون عمر قد ولد سنة ٢٣ هـ . وجل ما نستطيع ان نستنتجه منها هو ان عمر كان فيما يقول عطاء اكبر من عطاء . ولكن عطاء لم يعين متى ولد هو ، ويظهر من مقالة زرتشتين عن عطاء في الموسوعة الاسلامية انه مات بمكة بين سنة ١١٤ وسنة ١١٥ هـ . وقد عمر ٨٨ عاماً ، وهذا يدل

(٢) السيوطي (ش) ١١

(٣) راجع شوارز ٢

(١) ابن عدي ربه ٣ : ١٦٨ والبغدادى ١ : ٢٤٠

(٣) ابن خلكان ١ : ٥٣٩

(٥) الاصبهاني ١ : ٢٤

على ان عطاء ولد بعد عمر ، وهو مسلم به ، ولكن ليس في الشق الثاني من عبارة عطاء - كأنه ولد في اول الاسلام - ما يكفي لرفض سنة ٢٣ هـ . كتاريخ مولد عمر بل ان كلمة « كأنه » قد تشير الى انه لم يولد في اول الاسلام ولكن لظهور الكبر عليه يحسبه عطاء . كأنه قد ولد في اول الاسلام . اما خطأ الهيثم فقد نتج كما اشرنا عن جهله سن عمر الحقيقية وقبوله الرواية الضعيفة التي تذهب الى ان عمر فتك ٤٠ سنة ونسك ٤٠ . ولعل السيوطي قد استند الى رواية الهيثم نفسه الموجودة في كتاب ابن خلكان . وقد نقل السيوطي بعض اخبار عمر في الباب نفسه عن الهيثم ^(١) فلا يبعد ان يكون قد تورط في قبول الرواية التي تجعل عمره ٨٠ ثم طرح عمره من ٩٣ (السنة التي ذكر وفاته فيها) فلم يبق امامه الا ان يقول ولد زمن عمر . ولكنه عاد فقال : وقيل ليلة قتل .

بقيت مسألة هذا التصادف الغريب . وهو ان عمر ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب فرغم البعض انه سمي لذلك باسمه ، ومع انه يصعب علينا ان نرى مسوغاً لرفض خبر هذا التصادف فاننا لا نرى بداً من الاشارة الى ان امثال هذا التصادف الغريب كانت مما يروق لكثير من المؤرخين والادباء . وفي التاريخ العربي اخبار كثيرة من هذا النوع تملأ صفحات طويلة ، فمنها ما قد وقع حقاً ، ولم يكن التصادف الغريب بمستحيل ، ومنها ما كان يؤلفه او يخترعه بعض الرواة حباً بالقصص والغرائب فيها ، والغريب في الغالب مرغوب في سماعه ، وهل هناك غرابة اجمل من قول الرواة : واد عمر (الفاسق) ليلة قتل عمر (الصالح) فقال الناس فيما بعد : اي حق رفع واي باطل وضع ^(٢) .

ومهما يكن من الامر كله فاننا نرى ان ضبط زمن ولادته ليس بالامر الهين ، ولكننا لم نر داعياً كبيراً بعد لرفض الرواية التي تشير الى انه ولد ليلة قتل عمر . اما انه سمي باسم الخليفة المقتول فامر يكاد يكون تابعاً لامر التصادف المذكور ، غير انه يعترضنا ايضاً في قبوله بعض الصعوبات ، منها انه كان بين عمر بن الخطاب وبين خالد بن الوليد المخزومي بعض الجفاء كما هو مشهور ، وكان خالد من زعماء بني مخزوم في

(١) السيوطي (ش) ١٢

(٢) الدميري ١ : ٢٢٦ وابن خلكان ١ : ٥٣٩ والمعيني ١ : ٣١٥ وفي كل هذه المصادر ان قائل هذه العبارة هو الحسن البصري وفي الجاحظ (ب) ١ : ١٨٣ ان قائلها هو ابن عباس اما في ابن خلكان

٣ : ١٥٩ فان العبارة تروى عن عمر بقولها عن نفسه .

الاسلام لاسيما بعد ان نال ذلك النصر في قهر الردة وقتت على يديه تلك الفتوحات في العراق والشام . وقد سبق ان فتك عمر بن الخطاب كما هو مشهور ايضاً بالعاص بن هشام ابن المغيرة المخزومي في واقعة بدر ، فصار من الطبيعي ان يحفظها له بنو مخزوم . ومنها ان الاسم نفسه لم يكن غريباً عن بني مخزوم ، فاناً نرى في شجرة نسب شاعرنا ان والد جدّه كان اسمه عمر ، فليس بعيداً ان يكون سمي باسم جدّه الاكبر دون ان يقصد او يلتفت الى ان يخلف هذا الصغير الخليفة عمر باسمه .^(١) ولكن هذه الصعوبات او الاعتراضات غير هامة . ولدينا امور اخرى تضعفها وتقوي الرأي الاول . منها ما قد جرت عليه العادة عند اكثر العرب في انه اذا حدثت حادثة مهمة لشخص ما بحيث يتداول الناس خبره ، او مات احد من المشهورين وولد لاحدهم مولود جديد وقتذاك سمي باسمه ، ومنها ان عمر على جفائه لبعض ابناء مخزوم كان قد اقرّ عبدالله والد عمر على ولايته ، وكان عبدالله كما اشرنا صديقاً لعمر اهدى اليه من حلل اليمن اثواباً فرقها عمر في المحبين ، فليس بعيداً في مثل هذه الصداقة ان يسمي ولده باسم الخليفة صديقه . ومنها ان الخليفة عمر نفسه يرجع بنسبه من ناحية الام الى بني مخزوم ، وكان الرجل الذي روى انه قتله منهم في واقعة بدر خاله اخا امه ، فلا يبعد ان يكون محبا الاسلام الذي اعتنقه بنو مخزوم بعد فتح مكة وقبلها آثار هذا الوتر فترعوا من نفوسهم الحقد والثأر . ومنها ايضاً ان عياشاً ابن ابي ربيعة عم المولود الجديد كان صديقاً لعمر ، أسلم معه في اوائل الاسلام وظلّ على اسلامه وخالف اهله بني مخزوم وقتذاك .^(٢) فلعل هذه الامور او بعضها اثر في التسمية ، زد على هذا ايضاً ان عمر الشاعر يكنى بكنية عمر الخليفة .^(٣) وفي شعره واخباره ذكر كثير لهذه الكنية - ابي الخطاب - بل ان بعض الرواة كنّاه بالكنية التي اشتهر بها عمر بن الخطاب - ابي حفص^(٤) - فلا بد بعد هذا كله ان نميل الى قبول الرواية التي كاد يجمع على ذكرها اكثر الرواة الذين ترجحوا حياته والتي لم يتصدّ لنقضها احد من القدماء . وعندئذ نصل الى

(١) سمّيت العرب عُمرَ واشتقاقه من شينين اما ان يكون جمع عمرة الحج واما ان يكون

فُعْلٌ معدولاً عن فاعل كما اشتقوا زفر من زافر راجع ابن دريد ١٠

(٢) الاصمعياني ١ : ٢٠ وابن خلكان ١ : ٥٢٩

(٣) ابن هشام ٢ : ٧٠

(٤) النووي ٤٦١

و ٢ : ١٥٩ والبغدادى ١ : ٢٤٠

انه قد ولد على الأرجح^(١) ليلة الاربعاء في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ .^(٢)
الموافق اليوم الرابع من تشرين الثاني سنة ٦٤٤ م .

اسم ونسبه وكيفية

ولعل من الخير الان ان نذكر نسبه كاملاً فهو عمر بن عبدالله ابن ابي ربيعة - واسم
ابي ربيعة حذيفة او عمرو - ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة
وبقية النسب يسردها النسابون فمرة هو ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن
النضر بن كنانة . والنضر فيما يقول ابو الفرج الاصبهاني عند اكثر النسابين اصل قریش،
فمن ولده النضر عد منهم ومن لم يلد له فليس منهم ، وقال بعض نسائي قریش بل فهر بن
مالك قریش فمن لم يلد له فليس من قریش .^(٣)

وقد نسب شاعرنا الى قبيلته فقيل فيه القرشي^(٤) ، والى عشيرته فقيل فيه المخزومي^(٥) ،
والى جد والده فقيل فيه المغيرة^(٦) .

وقد كنى بابي الخطأب^(٧) ويذكر النووي له كنية أخرى هي الكنية التي عرف بها
الخليفة عمر . قال : وهو ابو حفص عمر بن عبدالله ابن ابي ربيعة^(٨) وقد اشتهر بالانتساب
الى جده ابي ربيعة فقيل عنه « ابن ابي ربيعة » وفي اخباره مواضع كثيرة لم يذكر اسمه فيها
الا على الصورة الاخيرة - اي ابن ابي ربيعة - حتى ان النووي قال عنه وهو منسوب الى
جده .^(٩)

(١) قلنا على الأرجح لانه يجب ان نلاحظ ان الروايات قد اختلفت في يوم موت عمر فمنها ما يذهب
الى انه لم يمض يوم طعن (راجع الطبري ٢ : ٢٨٠٠ و ابا الفداء ١٧٣) والاخير يشير الى ان عمر طعن
لست بدين من ذي الحجة وتوفي يوم السبت سلخ ذي الحجة ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة
٥٢٤ هـ . اما يعقوبي فيشير الى ان عمر طعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ٥٢٣ هـ . واما
الواقدي (ف) ١٣٦ فيقول توفي عمر في اليوم الذي طعن فيه لاربع بقين من ذي الحجة سنة ٥٢٣ هـ .

(٢) ابن خلكان ١ : ٥٣٩ والبغدادى ١ : ٢٤٠

(٣) الاصبهاني ١ : ٨ و ٣٠ وراجع النووي ٤٦١

(٤) " ١ : ٢٨ والمرزباني ٢٠٢ (٥) الاصبهاني ١ : ٣٦

(٦) " ١ : ٢٧ وابن ابي ربيعة (ع) ١٨٢

(٧) الاصبهاني ١ : ٣٠ و ١٠١ و ١٤ وابن ابي ربيعة (ع) ١٨٦

(٨) النووي ٤٦١ (٩) النووي ٤٦١

هيئتہ ولبسہ

ہیئتہ

قلن تعرفن الفتی ؟ قلن نعم قد عرفناه ، وهل یغنی القمر ؟

لیس من شک فی ان عمر کان جمیلاً . ولعل هذا الجمال كان احد العوامل التي جعلته معجباً بنفسه حتى زعم البغدادی ان عمر کان یتغزل بنفسه لحسنه وجماله .^(١) ولعل صاحبنا قد ورث هذا الجمال عن ابيه عبدالله ، فقد روى ابن الاثير ان عبدالله كان من احسن الناس وجهاً .^(٢)

غير ان هذه الصباحة والوسامة فيه لم توصفا لنا كما وصف هو جمال النساء اللواتي تغزل بهن . فقد كان یكتفي بالافتخار في نفسه والتحلّي بمودته ، ویدكر ان النساء كن یطرينه ویلهجن به یتشوقن اليه حتى نعتته بعضهن او شبهته فيما زعم بالقمر قال في شعره عنهن :

بینما یدكرنی ابصرنی دون قید المیل یدو فی الاخر
قلن تعرفن الفتی قلن نعم قد عرفناه ، وهل یغنی القمر ؟^(٣)

رووا ان ابن ابی عتیق لما سمع قصیده عمر التي فيها هذه الایات قال لعمر : انت لم تنسب بها انما نسبت بنفسك ، انما كان ینبغي ان تقول : قلت لها ، فقالت لي ، فوضعت خدی فوطئت علیه .^(٤)

وقال أيضاً في موضع آخر في شعره :

وانها حلفت بالله جاهدة وما اهل له المحاج واعتمرها
ما وافق النفس من شيء تسر به واعجب العين الا فوقه عمر^(٥)

والمح في موضع آخر الى جذبه انظار الفتيات اذا تكلم او عبر في طريق قال :

(٢) ابن الاثير (ص ١٥٥ : ١٥٤)

(٤) المرزباني ٢٠٤

(١) البغدادی ٢ : ٤٢٠

(٣) ابن ابی ریمه (ع ٣٦٤)

(٥) ابن ابی ریمه (ع ٣١٤)

وكنّ اذا ابصرتني او سمعني
سمين فرقعن الكوى بالمحاجر^{١)}

وقال ايضاً بلسان احدى صاحباته :

قالت موكلة بحفظ كلامها
لمعلم حاط النعيم شبابه
اخشى عليه العين ان بصرت به
وترى صبايتنا به فتهابه^{٢)}

وله شعر كثير يصف به دله بجماله وبنفسه ربما تعرض لبعضه عند درسنا خلقه .
وكان فيما يظهر طويل القامة . روى ابو الفرج باسناد قال : حجت امرأة من بني
امية يقال لها ام الحكم فقدمت قبل اوان الحج معتمرة ، فبينما هي تطوف على بغلة لها ،
اذ مرت على عمر ابن ابي ربيعة في نفر من بني مخزوم وهم جلوس يتحدثون وقد فرعهم
طولاً وجهرهم جمالاً وبهرهم شارة وعارضة وبياناً .^{٣)} وقد كان جده ابو ربيعة فيما يزعمون
طويلاً حتى قال البعض انما ستي ذا الرحين لطوله كأننا كان يشي على رحين .^{٤)} وكان
عمر اسمر ، شاحب اللون ، ناحل الجسم في كثير من الاحيان ، قال عن نفسه :

رأت رجلاً شاحباً جسمه مساري ارض اطال الوجينا
اخا سفر لا يحم المظي م بعد الكلاله الا وقوفا
فاما تريني كسائي السفا م رلون السواد وجساً غنيا^{٥)}

ونقل ابن عبد ربه من شعر عمر في الموضوع نفسه ابياتاً ذكر ان عمر قالها يصف نحول
جسمه وشحوب لونه

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيضحي واما بالعشي فيخمر
اخا سفر جواب ارض تفاذفت به فلوأت فهو اشعث اغبر
قليلاً على ظهر المطية شخصه خلا ما بقي عنه الرداء المجبر^{٦)}

ولعل السفر والتعرض لبرد الليل وحرّ الهاجرة قد اكسباه السمرة والنحول
قال بلسان حبيبته :

٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٦٤

٣) الاصبهاني ١ : ٢٠

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢١٧

٣) الاصبهاني « د » ١ : ١٦٠

٥) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٦٦

٦) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٦ راجع ابن ابي ربيعة (ع) ١٨٣ حيث ترى البيت الثالث على غير

ففي فانظري اسماء هل تعرفينه
 اهذا الذي اطريت نعتاً فلم اكن
 اهذا المنبري الذي كان يذكر
 وعيشك انساه الى يوم اقبُر
 فقالت نعم لا شك غير لونه
 سري الليل يبيح نصه والتهجر^{١)}

وقال مخاطب حبيته :

فاما تربني كساني السفا م ر لون السواد وجسماً غيفاً^{٢)}

وقد كان في وجهه او بالاحرى في فمه علامة فارقة لا ندري تماماً الوقت الذي ظهرت فيه ، فقد كان اسود الثنتين العليين ، ويؤمن بعضهم في خبر اسودادهما ان امرأة غارت عليه فاعترضته بمسواك كان في يدها فضربت به ثنيتيه فاسودتا .^{٣)} ويؤمن البعض الآخر ان عمر اتى الثريا يوماً ومعه صديق له كان يصاحبه ويتوصل بذكره في الشعر ، فلما كشفت الثريا الستر وارادت الخروج اليه رأت صاحبه فرجعت ، فقال لها : انه ليس ممن احتشمه ولا اخني عنه شيئاً . واستلقت فضحك ، وكان النساء اذ ذاك يتختمن في اصابعهن العشر ، فخرجت اليه فضربت به بظاھر كفها ، فاصابت الخواتم ثنيتيه العليين وكادت ان تقلعهما ، وخاف ان تسقطا فقدم البصرة فعولجتا له فثبتتا واسودتا .^{٤)} وتعرض بعضهم لعمر وعيَّره بما في ثنيتيه غير انه نسب اليهما الكسر لا السواد .^{٥)}

لبسه وهندامه

تلقاه مرة وقد آب من سراھ او تهجره اشعث اغبر

اخا سفر جوا ب ارض تفاذفت به فلوات فهو اشعث اغبر^{٦)}

او :

واشعث ان دعوت اجاب وهنا
 وكان وساده احناء رحل
 على طول الكرى وعلى الدؤوب
 على اصلا ب ذعابة هبوب
 اقيم به سواد الليل نصاً
 اذا حب الرقاد على المبوب^{٧)}

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٦٦

(٤) الاصبهاني ١ : ٩١

(٦) ابن ابي ربيعة (ع) ١٨٤

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٨٢

(٣) الاصبهاني ١ : ٩١

(٥) " ١ : ٩١ و ٩٢

(٧) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦

تلقاه بثل هذه الهيئة فيدهشك شكله ، وتنكر عليك هيئته ، ولكن ذلك لا يدوم الا الى حين ، فانك ستلقاه مرة اخرى وقد بلغه مقدم بنت لعبد الملك بن مروان ، فلم يكن له همّة فيما زعموا الا ان يتّهباً باجل ما يقدر عليه من الحلل والثياب ^(١) .
ويدعوه حبه لمغازلة الحسان ان يتنكر الى هند وصاحباتها ، فتراه يلبس لبسة اعرابي ويعتم عمامته ويلتئم لثمته ويؤجج قعوده ^(٢) فلا يغترّك سوء حاله ولا تحذعنك هيئته ولا تردّين قعوده الموقع الظهر ، اذ ستعود فيأخذ لك منظره ويبهجك هندامه ، وتراه ايام الحج وقد قدم واعتمر في ذي القعدة ، وحلّ ولبس تلك الحلل والوشى ، وركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج ، وقد اسبل لثته ، واخذ يلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ، ويتلقى المدنيات الى مرّة ، ويتلقى الشاميات الى الكديد ^(٣) .

فهو اذا تارة اشعث اغبر كما يقول وطوراً حسن الهيئة والهندام يطيل الازار ويسبغ رفاق البرود كما يقول مرة اخرى

واذا انا غرّ اجاري دداً اخو لذة كصريع السكر
من المسبين رفاق البرود م د اكسوالنعال فضول الازار ^(٤)

ومهما يكن من امر اقواله فالظاهر من اخبار الرواة عنه ايضاً انه كان يحب اللبس والهندام . روى عنه ابو الفرج انه كان من اعطر الناس واحسنهم هيئة ^(٥) . وقال في موضع آخر « بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج يسألونه ، اذ اقبل عمر ابن ابي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين او ممصرين حتى دخل وجلس » ^(٦) . وروى في موضع آخر ان عمر خرج الى الحج ومعه ابن سريج على نجيين راحلتاهما ملبستان بالديباج ، وقد خضب النجيبان والبسا حلتين ، ثم جلسا على كتيب واخذ ابن سريج يغني عمر حتى اظلم الليل ، وطلع عليهما امير من امراء بني امية فاستمع الى غناء ابن سريج ثم تزعم حلتاه وخاتمه عليه وانصرف ، فدفعهما ابن سريج الى عمر وقال له : ان هذين بك اشبه منهما بي . فاعطاه عمر ثلاثمائة دينار ^(٧) .

- | | |
|--|----------------------|
| (٢) الجاحظ (م) ٢٢٩ | (١) الجاحظ (م) ٢٢٥ |
| (٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٠٠ وابن ابي ربيعة | (٣) الاصبهاني ١ : ٨٨ |
| (٥) الاصبهاني ١ : ١٠١ | (ش) ق ٥٢ |
| (٧) " ١ : ١٠١ | (٦) الاصبهاني ١ : ٢٤ |

وروا ايضاً انه حج عاماً من الاعوام على نجيب له مخضوب بالخناء مشهر الرجل بقراب مذهب ومعه جماعة من حشمه وغلانته ومواليه ، وعليه حلّة موشية يمانية ، وعلى ابن سريج ثوبان هرويان مرتفعان ، فلم يروا باحد الا اعجب من حسن هيتهم ^(١) وذكروا ايضاً ان احدى النساء عرفت عمر ابن ابي ربيعة من امرين احدهما هينته (لبسه) ^(٢) وكان اصحابه وصاحباته يعرفون ذلك فيه ، ولقد راينا كيف دفع ابن سريج الى صاحبه عمر الحلّة والخاتم اللذين تزعمهما عليه الامير الاموي وقال له : ان هذين بك اشبه منهما بي . ورووا ان عمر قال : بينا انا في منزلي ذات ليلة اذ طرقتي رسول مصعب بن الزبير بكتابه يقول : انه قد وقعت عندنا اثواب مما يشبهك وقد بعث بها اليك وبدنانير ومسك وطيب كثير وبغلة . فلما اصبحت لبست بعض تلك الثياب وتطييت واحزرت الدنانير وركبت البغلة وانا نشيط لا هم لي ^(٣).

وقال بلسان محبوبته :

قلت لجارتها انظري ها من أولي وتاملي من راكب الادماء
قلت ابو الخطاب اعرف زيه وركوبه لا شك غير مرأ ^(٤)

وليس غريباً على مثل عمر ان يلتفت الى امر هندامه وهينته وهو ابن تاجر كان فيما يظهر يستجلب البرود اليمنية ، وقد اهدى الخليفة عمر بروداً منها فرقا عمر كما ذكرنا في المحمد بن ، زعموا انه غطاها بثوب ثم قال ادخل امرؤ يده فاخذ حلته وما قم له ^(٥) وكان لعمر كاليه عبيد في الحوك وكان كاليه يرغب في ان يهدي الثياب ، حدثوا انه اهدى جميلة المغنية عشرة آلاف درهم وعشرة اثواب كانت معه فقبلتها ^(٦) ورووا ان بنتاً لمروان بن الحكم حجّت ، فلما فرغت من نسكها اتت ابن ابي ربيعة وقد اخفت نفسها بين نسوة ، فحدثته وحدثها ، ثم اتبعها رسولاً فعرف موضعها واثبتها ، فعادت اليه فاخبرها بمعرفته اياها فتشده الله الا يشهرها بشعره وبعثت اليه الف دينار فقبلها ، وابتاع بها حللاً وطيباً واهداها اليها ، فردتها ، فاعاها وقال : والله لئن لم تقبلها لانهبها فيشتهر الامر ، فقبلتها ورحلت ^(٧).

(٢) الاصبهاني ١ : ٨٨

(٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٠

(٦) الاصبهاني ٧ : ١٣٤

(١) الاصبهاني ١ : ١٠١

(٣) " ٨ : ١٤٦

(٥) الاصبهاني ١٦ : ١٥٨

(٧) " ١ : ٦٩ و ٨ : ٥٥

وكان يلتفت ايضاً الى ثياب محبوباته فيصفها في شعره مع ما يصف من جاهلن بشيء من الدقة قال في قرشيّة :

شَفَّ عنها مرقق جَنَدِي فبي كالشمس في خلال السحاب^١
وقال في اتراب الثريا :

يرفلن في مطرفات السوس آونة وفي العتيق من الدبباج والقصب
تري عليهن حلبي الدر متسقاً مع الزبرجد والياقوت كالشهب^٢

وكان عمر يحب العطر والطيب . وقد احس القدماء بحب عمر الى التطيب كما احسوا بالتلفاته الى زيه وهندامه فرووا انه كان من اعطر الناس واحسنهم هيئة .^٣ وقد كان فيما ارسله مصعب اليه ذات يوم من الهدايا طيب كثير فلما اصبح عمر تطيب به .^٤ وكان يعلم حب النساء الى الزينة والتطيب فكان يترن ويتطيب ، وكان بالوقت نفسه يهدي الطيب . وقد ابتاع بالالف دينار التي بعث بها اليه بنت مروان حللاً وطيباً فاهداها اليها .^٥ وكما ان والده كان صاحب تجارة في البرود اليمنية كذلك كانت جدته اسماء تاجرة في الطيب وكان ياتيها العطر كما ذكرنا سابقاً من اليمن من عند والد عمر فتبيعه بالمدينة .^٦ وقد صار من الطبيعي ، وقد نشأ عمر في بيت يتجر اهله بالطيب ، ان يحب التطيب ويتعوده ويكثر من استعماله . وقد ذكر الجاحظ ان عمر امر غلامه ذات يوم ان يصنعوا له خلوقاً لغرض كان يقصده فصنعوا له .^٧ وهو القائل واصفاً عطر ثيابه :

ورضاب المسك من اثوابه مرمر الماء عليه فنضر^٨

وكان عمر فيما يظهر لنا من بعض الاخبار يعيش مشية خاصة ، رووا عنه انه خرج مرة في اثر الثريا وقد رحلت فلحقها على مرحلتين ، فلما ادرهم نزل عن فرسه ودفعه الى غلامه ومشى متنكراً حتى مرّ بالحيمة التي تنزل الثريا فيها فعرفته الثريا واثبتت حركته ومشيته .^٩

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٩٢

(٤) الاصبهاني ٨ : ١٤٦

(٦) " ١ : ٢٢

(٨) ابن ابي ربيعة (ش) ق ٢٣

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٧٤

(٣) الاصبهاني ١ : ١٠١

(٥) " ١ : ٦٩ و ٨ : ٥٥

(٧) الجاحظ (م) ٢٤٧

(٩) الاصبهاني ١ : ٩٥

ولا نستطيع التوسع في وصف هذه المشية حيث لا نعرف عنها شيئاً غير هذه الرواية . وترغم الرواة ان لقريش مشية خاصة ميل فيها الماشي كما يظهر ميل الشمل . قال الاخطل :

إذا اصطبح الفقى منها ثلاثاً بغير الماء حاول ان يطولا
مشى قرشية لا شك فيها وارخى من مأزره الفضولا^(١)

غناؤه وثروته

قالت موكلة بحفظ كلامها لملم حاط النعم شبابه
اخشى عليه العين ان بصرت به وترى صبايتنا به افتباه

ولقد تقلب عمر منذ صغره في احضان اليسر والسعة ، وترعرع يظله لين العيش وخفضه . نعم ! لقد حاط النعيم شبابه ، وتوفرت له اسباب الترف والرفاهية ، فقد كان ابن تاجر موسر من امراء قریش عرف فيا رايناه بكثرة ماله وعبيده ، ثم مات والد عمر ، فورث عمر نصيباً كبيراً من هذه الثروة الضخمة . ويظهر انه لم يهمل شؤون التجارة التي ورثها ، فالأخبار تذكر لنا رحلات يمينية كان يقوم بها لعل بعضها كان في امور تجارته . وهو يقول في شعره بلسان محبوبه تعاتبه على تركها وترك الحج ومواسمه وتعلقه في اليمن في سبيل اموره الاخرى :

باله قولي له في غير معتبة ماذا اردت بطول المكث في يمن
ان كنت حاولت دنيا او رضيت جا فما اخذت بترك الحج من يمن^(١)

بل ان بعض المصادر تشير الى انه ظل يتعاطى ادارة بعض الاعمال التي كان يتصرف فيها عبيد والده ، فقد ذكر انه كان لعمر في كهولته نحو سبعين عبداً يعملون في الحوك سوى غيرهم^(٢) . وذكر البكري ان لعمر اراضي مخصصة في الجنوب اليمني ورثها امماً من امه او من ابيه^(٣) .

ولقد كان هذا المال عاملاً من العوامل التي سهلت له سبل اللهو ، فكان ينفق عن سعة حتى زعموا انه اعطى مئة دينار للذي بشره بزيارة بنت محمد ابن الاشعث الكندي ، وبعث الى امها بمئتين مئة^(٤) . ولقد اعيتته امرأة من قومه تدعى كلثم الخزومية ، فاحتال الى ذاك بان اشترى عبدة لهذا الامر ، واعلمها بشأنه ، وبعثها رسولا الى كلثم بعد ان

(٢) الاصبهاني ١ : ٢٧ والحصري ١ : ٢٩٨

(٤) الاصبهاني ١ : ٤١

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٢٨

(٣) البكري ٤٨٩

وعدها اعتاقها اذا هي نجحت في مهمتها ، فافلحت واعتقها .^(١) كذلك يذكر لنا الرواة أخبار اعتاقه لكثير من رقيقه في شتى المناسبات ، حتى في نسكه عندما آلى ، فيما يزعمون ، ألا يقول شعراً ، فانه حث يمينه وكفر عن ذاك بفك رقاب تسعة ارقاء عدد ابيات الشعر التي نظمها .^(٢) وساعده ماله على ان يكثر من الرقيق ، فيدرب بعضهم على الغناء ، ولقد ارسل مرة احدى موالياته الى جميلة المغنية لتأخذ منها صوتاً غنته جميلة بشعره ، حتى اذا حذقت الصوت ومهرت به ارسلها الى صاحبه سيعة العراقية تغنيها فيه .^(٣)

ولقد استعان بغناه على تزيين هيئته وهندامه ، فكان ظهوره في مواسم الحج يلفت النظر ، حتى لقد كان يزتن مركوبه فيضع على ذلوله قطع الديباج والحلل المزركشة ويخضها بالحناء . واستصحب معه مرة غلامه جناداً يقود فرساً له ادھم اعر محجلاً كان يسيه الكوكب ، في عنقه طوق من ذهب .^(٤) وتذهب بعض المصادر الى انه كان لعمر منزل وفساطيط بنى يخرج اليها ايام الحج ومعه جماعة من حشمه وغلمانه ومواليه يسرون بؤكب هو دهشة الناظرين .^(٥) وكان غناه عاملاً مهماً في صيانة كرامته كشاعر ، وقد روى ان سليمان بن عبد الملك قال له : ما يمنعك من مدحنا ؟ قال عمر : انا لا امدح الرجال انما امدح النساء .^(٦) وقد حاولت بعض الاميرات ان يسكتنه بهداياهن او يكافئنه على شعره فيهن فكان يرفض قبول المال ، او يقبله ثم يرده بطريقة لطيفة . من ذلك انه حجت احدى اميرات بني امية فيما يروون فذكرها في شعره ، وسار وراءها بعد عودتها من الحج ، فارسلت اليه الف دينار ليرجع عنها ، فاخذ المال واشترى فيه حللاً وطيباً واهداها اليها ، فرفضت ، فألح عليها وتهددها ان هي لم تقبل هديته ان يشهرها في الناس فقبلتها .^(٧)

وسار وراء عراقية الى العراق وقد وعدته الزواج منه اذا طلبها من قومها ، فلما بلغ العراق ندمت على وعددها واهدته خمسة الاف درهم فردّها اليها ولم يقبلها .^(٨)

(١) الاصبهانى ١ : ٨٢ - ٨٣

(٢) الاصبهانى ١ : ٦٤

(٣) " ٧ : ١٤١

(٤) " ١ : ١٠١

(٥) " ١ : ١٠١

(٦) " ١ : ٣٥

(٧) " ١ : ٦٩

(٨) " ١ : ٧١

نشأته

كم يكابد الباحث في تاريخ رجال القرون الاولى من العناء اذا حاول درس نشأة هؤلاء الناس وحياتهم ايام صباهم . والواقع ان القدماء قلما كانوا يعنون في الالتفات الى هذه الامور ، فلم يكن من همتهم شأن الصبي حتى ينبغ او يشتهر بفن او شعر او حرب ، او حتى يلي او يملك ؛ وقلما عنوا بما يعنى به المؤرخون في هذا العصر من تدوين سير للرجال في كتب خاصة ؛ ولذلك فان كثيراً من اخبار رجال التاريخ العربي قد انتثرت في تضاعيف كتب لم يقصد منها التاريخ او السير ؛ وهكذا فاننا نرى الآن اخباراً عن بعض الشعراء في كتب الحيوان ، واخرى عن رجال الحرب والسياسة في كتب الادب . غير ان عمر نال من عناية هؤلاء القدماء شيئاً ليس بيسير ، فقد وضعت عنه فيما يظهر كتب خاصة قصرت على اخباره ، وهو حظ قل من ناله . قال ابن النديم : ان عمر كان من الذين عشقوا وأُتِفَ في اخبارهم ^(١) . وروى ابن لابن بسام الشاعر من الكتب كتاب اخبار عمر ابن ابي ربيعة . وقال : ولم أرَ في معناه ابلغ منه ^(٢) . وروى ايضاً ان للزبير بن بكار كتاباً في اخبار ابن ابي ربيعة ^(٣) . وقد اشار ابن خلكان ايضاً الى كتاب ابن بسام في عمر ابن ابي ربيعة وزعم انه لم يستقص احد في بابيه ابلغ منه ^(٤) . وقد ضاعت ، ويا للأسف ، هذه الكتب كلها ، ولولا أن بعض المؤرخين والادباء من مؤلفي الكتب الكبيرة الجامعة قد التفتوا الى عمر لكانت اكثر اخباره في عالم الخفاء . ولعل ابا الفرج الاصبهاني هو اولى المؤلفين ذكراً ، فقد افرد لعمر في اغانيه نحو خمس وستين صفحة في الجزء الاول منه (طبعة بولاق) عدا ما نثره في العشرين جزءاً الاخرى . وهو قدر لم يفرده الاصبهاني لشاعر آخر او ملك او امير . وكان الزبير بن بكار مصدراً من المصادر التي استند اليها رجال السند في الاخبار المذكورة في الاغاني . ومن الخير ان نذكر هنا ان ابن بكار هذا كان

(١) ابن النديم ٢٠٦

(٢) ابن النديم ١٥٠ وانظر حاجي خليفة ١ : ٦١

(٣) " " ١١١

(٤) ابن خلكان ١ : ٥٣

- فيا يزعم ابن النديم - شاعراً صدوقاً وراويةً نبيل القدر، ولي قضاء مكة وتوفي فيها وهو قاض عليها.^(١)

ويجب الآن أن نرى ان عمر قد خلف لنا ديواناً من الشعر، غير ان هذا الديوان على كبره غير تام. ويلوح لنا ان قدراً كبيراً من شعر عمر قد ضاع. ولا يزال الديوان يحفظ لنا تتقاً من قصائد ليس من شك في انها كانت اطول مما هي الآن.^(٢) وقد ذكر الاصمهاني انه اطلع على دواوين لعمر رواها المديتوني والمكيون.^(٣) وسنعرض لهذا الامر عند دراستنا شعر عمر. والذي يهمني الآن هو ان نذكر ان ضياع هذه الاصول وهذا الشعر سيجعل بحثنا في نشأة صاحبنا امراً شاقاً. فكيف قضى صباه؟ واين قضاءه؟ وكيف نهج هذا النهج الشعري؟ وحذو اي الشعراء هذا؟ كلها امور يصعب درسها. ونرى ان كثيراً من نواحي حياته في طفولته وصباه سيظل غامضاً حتى يقضى الله لأحد العثور على بعض هذه الكتب التي ذكرنا او الشعر الذي ضاع ان كان فيها ما ينفع غلة.

مدرسة النشأة

وبعد فقد ظهر لنا من اخباره ما حملنا على ان نرجح انه ولد في المدينة، وليس غريباً ان يكون اهله قد حملوه صغيراً الى بعض القبائل ليسترضع فيها. فقد كانت عادة الكثيرين من سكان مكة والمدينة في ذلك الزمن ان يبعثوا باطفالهم الى البادية. فيظل الطفل عند ظئره التي يختارونها له ترضعه ثم تفضله. وقد يجوز ان يبقى عندها مدة بعد فطامه فينشأ نشأته الاولى في البادية دون ان يفوت ظئره التردد به الى اهله من وقت الى آخر. وهناك قرائن تدفعنا الى مثل هذا الظن فيا يتعلق بعمر فقد كان يحب البادية ويكثر من التردد اليها في شبابه، بل انه اتخذ اصدقاء له من رجالها الاعراب وعاشر فتيات من بناتها ذكهن في شعره. وحينما صار رب عائلة ارسل ابنته وهي طفلة لتسترضع في هذيل عند شيخ بني كاهل. وسار هو بنفسه، بعد ان تم استرضاعها، يطلبها ويعيدها اليه.^(٤) وليس غريباً ايضاً ان يكون قد زار أخواله في صباه. ولنذكر أن اياه كان عاملاً على بعض مخاليف اليمن، فلعل أمه ذهبت به الى اهله لتكون معهم ومع زوجها [ايه].

(٢) الاصمهاني ١ : ٨٧١ و ١٤٦ :

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ١٧٣ :

(١) ابن النديم ١١١ :

(٤) الاصمهاني ١٩ : ٥٢ :

وسيفظهر لنا عند دراستنا شعر عمر انه قد تأثر - الى حد ما - شاعراً يُعرف بعبد بني الحسحاس تذهب بعض الروايات الى انه كان عبداً عند والده عبدالله في اليمن ، وان عبدالله كتب الى الخليفة عثمان يعرضه عليه ، فكتب اليه عثمان : لا حاجة بي اليه .^(١) وسواء أصحّت هذه الافتراضات ام لم تصح ، فالظاهر من اخباره انه قد قضى اكثر ايام صباه وشبابه في المدينة نفسها حيث وقعت اكثر وقائمه الحية الاولى وحيث كان اصحابه خالد القسري وابن ابي عتيق وعبدالله بن جعفر . فقد نشأ الاول فيقول ابو الفرج في المدينة ، وكان في حداته يثني مع عمر ويتوسط له مع صواجه ويأخذ له رسائله اليهن .^(٢)

وكان ابن ابي عتيق وابن جعفر من اهل المدينة ، وكان عمر يتردد معهما في صباه الى بيوت المغنين والمغنيات .^(٣) وهناك دلائل كثيرة في شعره واخباره تشير الى نشأته في المدينة ومقابلته لبعض صاحباته بموضع فيها كالعقيق والمصلى والبلاط والبقيع .^(٤) بل هناك خبر يفيد انه حينما ترك عمر المدينة وطال غيابه عنها اخذ البعض من صواجه يتذكر حديثه وحسن مجلسه وظرفه ويتشوقن اليه فبعثت اليه احداهن رسولا ان يوافيهن الى موضع

(١) الاصباهي ٣٠ : ٣

(٢) الاصباهي ١٩ : ٥٥

(٣) " ١٦ : ١٤

(٤) ابن ابي ربيعة (ع) ١١٥ و ٢٠٥ و ٢٤٧ و ٢٩٧

و ٤٤٣ و الاصباهي ١ : ٦٦ و ١٩ : ٥٦ وله في فناة يسميها هنداً اشعار كثيرة يظهر منها ان صاحبه هذه من المدينة او ضواحيها منها قصيدة (ابن ابي ربيعة (ع) ٣٧٠) يذكر فيها فراقه لهند ويتذكر طيب زمنه معها اذ امله واهلها خليطان :

اهاجك ربيع عفا مخلق	نعم ففؤادي مُستعلق
لذكره من قد نأت داره	فقلبي في رهنه موثق
يذكرني الدهر ما قد مضى	من العيش فالعين تفرورق
ليالي اهل واهل التي	دموعي بذكراهم تسبق
خليطان محضرا واحدا	فجبل المودة لا يخلق
لنا ولهند يجنب الغم	مبداً ومترلاً موثق
فان يك ذاك الزمان انقضى	فحبلك من حبلا مطلق
فقد عشت فيما مضى لاهياً	جا والوصال بنا يعلق

وله في هند الدالية المشهورة : « ليت هنداً اغزتنا ما تعد » وفيها يقول :

اذا اهلك جيران لنا اذا نحن وهم شيء احد

سمّته في ليلة عيبتها فوافاهن على رواحله وحدثهن حتى طلوع الفجر .^(١)

نشأة العلمية والأدبية

لقد سبق لنا فذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب شيئاً عن الحياة العلمية والأدبية في الحجاز ، ولاحظنا تغير الكثير من النظم الاجتماعية في حياة اهل ذلك الجيل ، ووصفنا مظاهر هذه النهضة الجديدة في امهات المدن هناك لا سيما في المدينة عاصمة الخلفاء الراشدين حيث وُلد صاحبنا ونشأ . وكانت المدينة مدرسة الاسلام الكبرى في ذلك الزمن . ففيها ظهر التشريع الجديد ، وفيها قويت شوكة الاسلام ، وفيها اجتمع اكثر الصحابة والتابعين ، وفيها جمع القرآن ودُون ، فانتشرت القراءة والكتابة بين الناس ، واخذ اولاد الاشراف يترددون الى الكتاتيب يتعلمون بها فيقرأون القرآن ويخطون آياته ويحفظون الاشعار ويروونها ، ناهيك بمحلقات المساجد التي كان يتراحم اليها كبار الناس . ولم تنقطع هذه الحركة حتى اواخر القرن الاول ، فكان من الطبيعي لصبي مثل عمر ، ابن امير من امراء قریش ، ان يتصل بها وان يدفع اليها فيؤدب على ايدي المؤدبين ان فاته التردد الى المساجد والكتاتيب . ومع ان المصادر كلها لا تشير الى هذه النشأة العلمية اشارة صريحة ، فاناً

وله قصائد نرى في بعضها ذكراً لاشياء تدل على أثر نشأته المدنية وتأثره ببعض الفاظ كانت فيما نرجح مدنية فيها آثار اليهودية التي عرفت بالمدينة كاستعماله مثلاً كلمة سبت بمعنى اسبوع قال :

سكنت مشرف الذرى ثم قالت لا تزرنا ولا تزورك سبتا

ابن ابي ربيعة (ع) ١٠٩

وقد اكثر عمر من ذكر السبت موعداً للقاء صاحباته انظر ابن ابي ربيعة (ع) ٥٧٥ وفي هذه القصيدة يذكر عمر انه علق فتاته ناشئاً . وانظر ص ١٤٣ وله مقطوعة في فتاة مدنية اسمها جمل يذكر فيها صديقاً له اسمه هارون ويصف كيف فتنته صاحبه حين رآها ليلة السبت . منها :

ان ما اورثت من الحب جمل	كاد يبدي المجمع المكنونا
ليلة السبت اذ نظرت اليها	نظرة زادت الفؤاد جنونا
ان عشاك دون دار عدي	كان للقلب فتنة وفونا
وتراءت على البلاط فلما	واجهتنا كالشمس تُعشي العيونا
قال هارون قف ! فبايت اني	كنت طاوحت ساعة هارونا

ابن ابي ربيعة (ع) ٥٨٢

نرى بين سطورها وفي شعر عمر نفسه ما يهدينا على الاقل الى انه تقف القراءة والكتابة وتأدب على خير ما يتأدب عليه ابناء الاشراف والصحابة .
ويلاحظ لنا ان موت والده لم يحل دون اكتمال تربيته ، فان اخاه الحارث ظل يتعهد كما كان يتعهد في غياب ابيه في اليمن حتى شب عن الطوق ونظم الشعر وطرق ابواب الغزل . ولقد زعموا ان الحارث هو اول من تنبأ الى هذه الملكة الشعرية في اخيه وانه أتى به الى ابن عباس يقول له ان اخي هذا قال شعراً فان مما يحمل بثله تركته والأجسسته ، فاستنشد ابن عباس فأنشده عمر من شعره فقال ابن عباس : لئن بقي هذا ليخرجن الخبأت من خدورهن .^(١)

وهكذا فان عمر لقن مع القراءة والكتابة بعض العلوم الدينية المعروفة في زمنه ، فقرأ القرآن ، وحفظ بعض الحديث ورواه ، ودرس اكثر اشعار القدماء . وحفظ بعضها ورواه وناقش بعض الشعراء من معاصريه ، وكان بوجه عام شاباً تثقف الثقافة الدينية والعلمية والادبية التي كان جديراً بابن امير صراطي مثله ان يتتقها .

اما الادلة على معرفته القراءة والكتابة فهي كثيرة ، فقد روى المبرد ان عمر كان هو وابن عتيق في مكة ، واذا بامرأة محرمة تمر بهما ، فهاج عمر الشعر فنظمه وكتب به اليها ، فلامه ابن عتيق ، فلما كان بعد مديدة اتاه جوابها فدعا ابن عتيق وقرأ له .^(٢)
وروى الاصبهاني انه لما وقع الجفاء بين عمر والثريا بادر ابن ابي عتيق الى الاصلاح بينهما ، فقدم على الثريا ، وحملها على ان ترضى عن عمر ، وطلب اليها ان تكتب اليه كتاباً يصل على يديه ، ففعلت ، وحمل بنفسه كتاب الرضى الى عمر ، ودفعه اليه فقرأه عمر وسلي عنه .^(٣)

ووعده سوداء كان اشتراها انه مطلق لها حريتها اذا هي اوصلت رسالة منه الى امرأة سماها لها . فالتصت منه ان يكتب لها عهداً بهذا في رقعة ، ثم سأله ان يذيل العهد (المكاتبه) بما يريد ان يقوله لصاحبه ، ففعل وحملت الأمة هذه المكاتبه الى السيدة وطلبت اليها ان تقرأ شروط هذا العهد واستحلفتها ان تقرأ كل ما في الورقة ، ففعلت وقرأت رسالة عمر اليها .^(٤)

(١) العيني ١ : ٢١٥ - ٢١٦ . الرواية تجعل الحارث عمّاً لعمر ، وقد اصلحنا هذا الخطأ في النص .

(٢) المبرد ١ : ٤١٢

(٣) الاصبهاني ١ : ٨٢

(٤) الاصبهاني ١ : ٨٢

ويذكر الجاحظ ان عمر كتب مرة الى امرأته بالمدينة رسالة شعرية.^(١) وسأل مرة جارية من جواريه ان تأتيه بدواة فاتته بواحدة واخذ يكتب شعراً يسلي به عن نفسه من شيء ألم به.^(٢)

ومن الممتع ان نعلم ان اكثر صاحباته كن يعرفن القراءة والكتابة ايضاً فكن يقرآن رسائله اليهن ويبعثن بردودهن اليه او يرفضن ان يجيبنه بشيء او يطردن رسله اليهن . وله في احدهن يقول :

انبث انك اذا اتاك كتابنا اعرضت عند قرانك العنوان^(٣)

وله في اخرى يقول :

سَم الله الف ضعف عليكم مثل ما قلتم لنا في الكتاب^(٤)

وله في ثالثة يقول :

خبرنا بما كتبت البنا أهو الحق ام تحزأت منا^(٥)

وكان يكتب على المواد المألوفة ذلك العصر كالرقوق والاقشة . فقد ذكروا انه بعث برسالة الى الثريا كتبها في قوهية وشنف الكتاب وحسنه^(٦) ولعله لم يقته ان يستعمل البردي المستورد من مصر . امّا اذا عزت عليه هذه المواد الثمينة فقد يستعين بعظام الإبل او غيرها وقد رووا انه دعا بكتف ذات مرة وكتب عليه.^(٧)

عمر والقرآن

وليس من شك في ان معرفته للقراءة والكتابة ، والجو الديني الذي كان يحيط به ، والبيئة التي نشأ فيها في كنف والده الصحابي واخيه المحدث ، كل هذه الامور دفعته الى قراءة القرآن ودرسه . ولنذكر ان تدوين القرآن قد شاع في ذلك العصر كثيراً ، وان النسخ الخطية منه اصبحت مألوفة عند الكثيرين من خاصة الناس . وشعر عمر يدل دلالة

(١) الجاحظ (م) ٢٠٤ (٢) الجاحظ (م) ٢٤١ وراجع الشعر في ابن ابي ربيعة (ع) ٥٤١

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٨٨ (٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٨ وانظر في المصدر نفسه ص ٥٠٠

(٥) " " " (ع) ٥٥٢ (٦) الاصبهانى ١ : ٩٢ والقوهي قماش ايض ينسب الى قوهستان

(٧) الرشاء ١ : ٤٥

واضحة على ان صاحبه قد ألم بكثير من تعاليم الاسلام ، فهو يستعين بمعاني القرآن في شعره ، ويقتبس بعض تعابيره والفاظه . ولعل من الخير ان نكتفي هنا بالإشارة الى مواضع بعض هذه الآيات في القرآن الكريم وما يقابلها في شعر عمر تاركين بحث هذا الامر الى الجزء الثالث من هذا الكتاب .^(١)

عمر والحديث

ولم تقتصر معرفته على القرآن وتعاليمه ، بل تعدتها الى الحديث ، فقد ذكر السيوطي في شرح شواهد مغني اللبيب ان عمر قد نقل بعض الحديث عن الامام سعيد بن المسيب ، وان مصعباً بن شيبة وعطافاً بن خالد رويَا عنه .^(٢) ولم يفت القديمان ان يغمزا هذين المحدثين ، فقد قال بعضهم في احاديث مصعب انها مناكر . وقال الذهبي انهم لا يحمده .^(٣) وكذلك قالوا في عطاف ، فقد غزاه مالك ، وقال غيره ليس عطاف بالمثين عند اهل الحديث .^(٤) وليس هذا بغريب اذ يكفي ان يكونا قد نقلنا بعض حديثهما عن عمر ليجرحه المحدثون المتأخرون ، ولكن الغريب ان يكون هناك من يقول عنهما انها ثقتان .^(٥)

ولعل القارىء لا يستغرب بعد هذا ان يعنى شاعر مثل عمر بالتزليل والحديث ، فيلمّ بهما المأماً ليس باليسير ، بحيث ينقل عنه الحديث ، وبحيث يظهر اثرهما في شعره ، فالواقع انه

(١) القرآن ٥ : ٤٩ وابن ابي ربيعة (ع) ٧٦ و (ش) «ق» ٢٤٧

" ٣٨ : ١٥ " " " " " ١٧ و (ش) «ق» ٢٩٧

" ٣٨ : ٢٢ " " " " " ٩٧ و " " ٣٦٣

" ١١٣ : ٤ " " " " " ١٤٧ و " " ١٥٥

" ٩ : ١٠ و ٨ " " " " " ٥٠٦ و " " ٩٤

" ٥ : ٤٩ " " " " " ٥١٣ و " " ٤٢٨

" ٨٠ : ٢١-٢٢ " " " " " ١٧٧ و " " ١٥٢

" ٤٤ : ٣٤-٣٣ " " " " " ١٧٧ و " " ١٥٢

" ٢ : ١١٨ و ١١٩ " " " " " ٥٠٧ و " " ٩٥

" ٢ : ٥٨ " " " " " ٥٠٧ و " " ٩٥

" ٩٨ : ١-٥ " " " " " ٢٠٢ و " " ٣٢٢

(٣) الذهبي (ميز) ٣ : ١٧٣

(٢) السيوطي (ش) ١١

(٥) " " ٢ : ١٩٦ و ٣ : ١٧٣

(٤) الذهبي (ميز) ٢ : ١٩٦

قد التفت الى امور دينه وتفقه فيها ، ولعله كان مديناً بهذه النشأة الى اخيه الحارث الذي كان بدوره محدثاً نقل الحديث عن عمر وعن علي كما سبق فذكرنا .

ولقد كان عمر يتردد الى بعض آية عصره المعروفين ويحضر مجتمعاتهم وحلقاتهم ، فقد شهد حلقة ابن عباس وحلقة ابن المسيب ، وقد راينا ان الرواة ذكروا انه نقل حديثه عن الاخير ، وكان ابن المسيب بدوره معجباً بشعر عمر يستشهد به ويفضله على غيره ويتحدثى بعض معاصريه ان يأتوا لشعرائهم بما يضارعه .^(١) وكان ابن عباس يروي بعض شعر عمر . وقد ذكر الرواة انه كان مرة في المسجد الحرام وعنده نافع ابن الازرق وناس من الخوارج . اذ اقبل ابن ابي ربيعة فدخل وجلس ، واقبل عليه ابن عباس وسأله ان ينشده ، فانشده رأيته الشيرة « أمن آل نعم » وقد زعم الرواة ان ابن عباس حفظها غيباً وان بعض اصحابه لامه في ذلك فقال : انها من آل نعم ، واناً نستجيدها . وقد انشده عمر غير الرائية . وكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول هل أحدث هذا المغيري شيئاً بعدنا .^(٢)

ولسنا نذهب الى ان صاحبنا كان من علماء الدين : انما نزيد ان نقول انه تتعمق الثقافة الدينية التي كان من اللائق ان يتقنها ابن صحابي مثله . ويجب ان نلاحظ انه قد سخر هذا العلم الديني الذي اكتسبه لاغراضه الخاصة في الحب ووصف مغامراته فيه وكسب قلوب الفتيات .

فاتقي ذا الجلال يا ام عمرو
واحكمي في اسركم بالصواب
افعلي بالاسير احدى ثلاث
فافهمين ثم ردي جواي
اقتليه قتلاً سريعاً سريعاً
لا تكوني عليه سوط عذاب
او أقيدي فاغما النفس م
بالنفس قضاء مفصلاً بالكتاب^(٣)

واسمعه يخاطب القضاة فيسألهم ألا يجوزوا شهادة كل النساء ، بل ينظروا الى التي شأنها كذا فيقبلوا شهادتها والى التي شأنها كذا فيردوا شهادتها

يا قضاة العباد ان عليكم
في تقى ربكم وعدل القضاء
ان تجيزوا وتشهدوا لنساء
وتردوا شهادة لنساء

ثم ياتي ذكر لانواع النساء اللواتي يرى عمر انه يجب ان تقبل شهادتهن واللواتي يجب ان

(٢) الاصبهاني ١ : ٣٤-٣٥

(١) الاصبهاني ١ : ٥٠

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٧٦

تردّ شهادتهنّ . وفي الابيات الباقية استعارات من القرآن والحديث .^(١) ومن حسن حظّ المسلمين والاسلام ان عمر وامثاله كانوا بعيدين عن وظائف القضاء .
كذلك نرى في ابياته التي نظمها لما قُتل مصعب بن الزبير (حو ابنته) امرأة المختار عمرة بنت النعمان بن بشير الانصارية ما يشير الى اطلاعه على تعاليم الاسلام من هذه الناحية فقد ذكروا ان الخوارج انكروا هذا الامر غاية الانكار ورأوا ان مصعباً قد اتى بقتل النساء امراً عظيماً لانه فيما يزعمون اتى بما نهى عنه محمد في سائر نساء المشركين .^(٢)

اما ابيات عمر فهي :

ان من اعظم الكبائر عندي قتل حسناء غادة عطول
قتلت باطلاً على غير ذنب ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذبول^(٣)

وفي الطبري ان رجلاً اخذ سيفاً من محمد يوم احد فجعل لا يرتفع له شيء الا هتكه وافراه حتى انتهى الى نسوة من اللواتي كن صحبن قريشاً يحسنهن على الحرب بينهنّ امرأة تنشد :

غن بنات طارق ان تقبلوا ناعق . الخ .

فرفع السيف ليضربها به ثم كف عنها ولما سئل عن سبب رجوعه عن ضربها قال
اكرمت سيف رسول الله ان اقتل به امرأة .^(٤)

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٦-١٧ المبرد ١ : ٥٨٢ وانظر ابن هشام ٧٤٤ حيث نهى الرسول محمد عن قتل امرأة وفي النووي ٨٧٣ انه رآها مقتولة .

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦٤ الطبري ١ : ١٣٩٧
وقد اتفق مع عمر في استنكار هذا الامر شاعر آخر (اسمه سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري) هو اولي من عمر باظهار استيائه وحزنه واستنكاره لانه انصاري اقرب الى القتيلة من عمر ، والغريب انه كاد يتفق مع عمر باللفظ والمعنى . ويظهر ان سعيداً قد سرق شعر صاحبه . قال سعيد :
اتى راكب بالامر ذي النبا العجب بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب

الى ان يقول :

لم تعجب الاقوام من قتل حرّة من الغافلات المؤمنات بريئة
من الذم والبهتان والشك والكذب علينا كتاب القتل والبأس واجب
وهنّ العفاف في المجال وفي الحجب

الطبري ٢ : ٧٤٥

ولعل علماء الحديث ينتفعون ، اذا شاءوا التثبت من بعض الاحاديث ، حين يرجعون الى شعر هؤلاء الشعراء في العصر الاموي ليبحثوا فيه عما يساعدهم من هذه الناحية ، لا من حيث المعنى فحسب ، بل من حيث اللفظ ايضاً . ولقد اشار شارح ديوان عمر السيد محمد العناني الى كثير من المواضع التي ظهر فيها اتفاق بعض المعاني او الالفاظ في شعر عمر مع بعض معاني الحديث والفاظه .

عمر وعلوم التجارة

وكان عمر ابن تاجر كما راينا ومن عائلة ذات شأن في التجارة قبل الاسلام وفي الاسلام ، فكان من الطبيعي ان ينشأ على شيء من العلم في امور التجارة والحساب . غير ان اخباره من هذه الناحية قليلة جداً ، فليس هناك اشارة الى انه اتخذ التجارة مهنة له ، بل ليس هناك اخبار عن رحلات تجارية قام بها الا في شعر يقول فيه على لسان صاحبه عندما ارتحل الى اليمن شيئاً من العتاب الرقيق ، وقد وجهته اليه على لسان رفيقتها :

بل ما نسبت بطن الحيف موقفا	وموقفي وكلانا نَمَّ ذو شجن
وقولها للثريا يوم ذي خُشب	والدمع منها على المتدين ذو سن
بأنه قولي له في غير معتبة	ماذا اردت بطول المكث في بين
ان كنت حاولت دنيا او نعمت بها	فما اخذت بترك الحج من ثمن ^(١)

والسبب في رحلته هذه الى اليمن ان اخاه كان يريد ان يصرفه عن الغزل ، فقد كان ينهاه عن قول الشعر فيأبى ، ولعله رأى ان يشغله بامر تجاري ويبعده عن الحجاز فاعطاه الف دينار ، فاخذ المال وخرج الى اليمن حيث كان اخواله .^(٢)

وهناك اخبار كثيرة تشير الى غناه وثروته واقتنائه ارضاً باليمن . وتذهب بعضها الى ان عبید والده كانوا يتصرفون بجميع المهن^(٣) ، وانه كان لدى عمر نفسه من العبید في احدى السنوات في الحوك^(٤) وحده سبعون .^(٥)

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٣٨

(٢) الاصبهاني ١ : ٤٩٠

(٣) الاصبهاني ١ : ٣٢

(٤)

لعلها بمعنى الحياكة كما في القاموس حاك يحوك

حوكاً وحياكة ، وفي لغة قبائل البدو في سوريا الآن يستعملون الحوك في معنى الحياكة . وقد شرحها شفا رز كذلك غير ان لجنة نشر الاغانى في دار الكتب المصرية ذكرت انها لم تثمر على ذكر لهذا

الاسم ثم تقول لعله اسم موضع . (الاصبهاني « د » ١ : ٧٨) (٥) الاصبهاني ١ : ٣٧

ويرى القارىء انه لا يوجد في كل هذه الاخبار نص صريح الى ان عمر قد ساهم بالحياة التجارية ، او انه كان له على الاقل الملم بشؤون التجارة ، وما تقتضيه من العلم في مثل ذلك العصر من معرفة قواعد الحساب الاولى وتدوين الديون ورؤوس الاموال والارباح والخسائر . غير اننا نرى اثرًا في شعر عمر يشير الى معرفته بعلم الحساب الاول .
فهنالك بيت واحد يصف فيه آثار ثغناث ارجل النياق وكلاكلها اذا ناخت ، ويشبهها بمجامع القطا . وفي هذا البيت ضرب وقسمة او جمع اذا شئت ولكنها امور اولية من قواعد الحساب تكاد تدرك بالبداية

على قلوبين من ركايم وعنترين فيما شجع
كافًا غادرت كلاكلها والثغناث الخفاف اذا وقعا
موقع عشرين من قطا زمر وقعن خمسا خمسا معا شجع^{١)}

ثقافة الادبية

واذا تعدينا هذه الامور الى الادب والشعر نرى ان عمر قد نشأ نشأة ادبية راقية ، فقد كان على اطلاع على الكثير من شعر الشعراء الذين تقدموه او عاصروه . ويظهر من بعض الاخبار ان اولاد الزعماء في ذلك العصر كانوا يتادبون على ايدي معلمين يروونهم الشعر . وقد ذكروا انه كان لولد عبدالله بن جعفر معلم ، وان عبدالله قال له : لا تروهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها :

دعيني للفتى اسمى فاني رايت الناس شرهم الفقير

ويقول : ان هذا يدعوهم الى الاغتراب عن اوطانهم .^{٢)}
والمهم في نظرنا هنا ان نعلم ان عمر كان قد ألمّ بشعر الكثيرين من معاصريه واسلافه . وفي قصته مع الفتيات المدينيات اللواتي خرجن ليتزينن فراين خالد الحريث وواعزن اليه ان يحتال على عمر في ان يزورهن متنكرًا وهن في احسن زينة ، اقول في قصته هذه ما يشير الى ان عمر جلس اليهن يحادثهن وينشدهن اشعارًا لكثير وجميل والاحوص ونصيب .^{٣)}

(٢) الاصبهاني ٢ : ١٩١

(١) ابن أبي ربيعة (ع) ٣٣٨

(٣) الاصبهاني ١ : ٧٣

وقد زعموا انه كان يعارض جميعاً فاذا قال هذا قصيدة قال عمر مثلاً^(١) بل انه لما زار
بثينة روى لها شيئاً من شعر صاحبها جميل المذكور^(٢).
كذلك روى ان عمر رأى مالكا بن اسما وهو يطوف بالبيت، وقد بهر الناس جماله،
فاعجب به، ثم سأل عنه فعرفه فعانقه وسلّم عليه وقال له: انت اخي حقاً. فقال له مالك:
ومن انا؟ ومن انت؟ فقال عمر: اما انا فستعرفني، واما انت فالذي يقول:

ان لي عند كل نفحة ريحان م من الورد او من الياسينا
نظرةً والتفاتةً أترجى ان تكوني حلت فيا يلينا

ثم اخذا يتحادثان وترى في حديثهما ما يفيد اطلاع عمر على شعر مالك ونقده اياه^(٣).
واذا تعدينا اخباره الى شعره نرى آثار هذه النشأة الادبية وتلمس المامه بشعر القدماء
والمعاصرين. وسنعرض الى هذه الناحية بتفصيل دقيق عند بحثنا في شعره في الجزء الثالث
من هذا الكتاب. ونكتفي هنا بذكر أسماء طائفة من الشعراء الذين تأثرهم او اقتبس منهم
او عارضهم او تناشد الشعر معهم. فن القدماء امرؤ القيس، وعنترة، وزهير، والناطقة،
والاعشى، وحسان، وعدي بن زيد، وابن اوس، وعلقمة، وابو قيس بن الصلت،
والخطيب، والاسود بن يعفر، وعبد بني الحسحاس، والمثقب العبدى، وغيرهم. ومن
النساء الخنساء. ومن معاصره جميل، وكثير، والاحوص، ونصيب، والفردق،
ومالك بن أسماء، والحزین الكناني، والحارث بن خالد المخزومي، وغيرهم. وقد اجتمع
بمعاصره هؤلاء في المدينة او مكة او ضواحيهما.

أضف الى هذا كله ان عمر كان متضلعا من اللغة حتى استطاع ان يرضي الرواة والنقاد
في العصور التي تلت عصره، وقد روى الاصمعي والتوزي عن ابى عمرو بن العلاء انه قال:
عمر ابن ابى ربيعة حجة في اللغة العربية، وما تعلق عليه الا بحرف واحد وهو قوله:
ثم قالوا تحبها قلت جراً عدد الرمل والحصى والتراب

وكان ينبغي ان يقول أحبها لانه استفهام، وله وجه ان كان اراد الخبر ولم يرد
الاستفهام^(٤).

(٢) الاصبهاني ٧: ١٠٥

(٣) المرزباني ٢٠١: ٢٠٢

(١) الاصبهاني ٣: ١٢٣

(٤) ١٦: ٤٣ وياقوت ١: ٥٤٤

حياته في المدينة

لم تقتصر الحياة في المدينة ذلك العصر على هاتين النهضتين الدينية والادبية اللتين ساهم فيهما عمر كما ذكرنا في الفصل السابق . بل كانت هناك نواح أخرى كان لها اثر اقوى في نفوس ابناء ذلك الجيل . وان هذا الانقلاب السياسي العظيم الذي هز الجزيرة العربية هزاً قد قلب معه الحياة في مناحيها المختلفة ، فتطورت النظم الاجتماعية الى حد كبير وتطورت معها الاخلاق والعادات . وكانت المدينة اذ ذاك في عصرها الذهبي ، وكان الخلفاء قد جعلوها مقراً لهم ، وعاصمة لهذه الدولة الفتية التي انشأتها سيوف الفاتحين من رجالهم ، فاصبحت في عهد عثمان تنعم في لين العيش وخفضه ، فكان المال يسيل اليها من كل وادى ، وكان السبي يتحدر اليها من كل صوب ، فيفرقان فيها ، وكانت الجوارى توزع بالملئ في ميوت سرارة القوم فتنشر فيهم كثيراً من الوان المدينيات المختلفة التي كن فيها وتنقل اليهم ضروباً من أساليب حضارة الاقوام التي سبين من وسطها ، حتى اذا نشبت الفتنة بين العرب ، وقتل عثمان ، وانتقلت الخلافة الى الكوفة ثم الى دمشق ، انقطعت المدينة عن الحياة السياسية الى حد ما ، ولكنها لم تنقطع عن الحياة الاجتماعية الجديدة ، بل اصبحت موطناً لهذا النفر الارستقراطي الغني من قریش وغير قریش ، وملجأً لهؤلاء الناس من الزعماء الذين اضطرتهم السلطة الاموية في دمشق الى ان يبتعدوا عن الحياة السياسية ويقبعوا كارهين او راضين في حماها .

ومات والد عمر في اول خلافة علي كما ذكرنا ، وصينا في الثانية عشرة من عمره قد أنهى درسه في الكتاب او كاد . وها هو الآن مقبل على الشباب ، ابن جاه وثروة ، حسن الهيئة ، جميل الطلعة ، وافر النعمة ، كريم الاصل ، فنشأ على شيء عظيم من الدلال والرخاء والسعة في العيش ، يتطلع حوله فيرى جو المدينة الذي صورنا وهذا النفر من شباب قریش والانصار ممن وصفنا في الجزء الاول من هذا الكتاب يلهون ويعشون ، فيندفع معهم يشاطرهم حياتهم « ينهز بدلوهم ، ويسيم سرح اللهو حيث أساموا » . فهو في الصيد اذا كانوا في الصيد . وهو مع صواجه في السمر واللهو اذا كانوا مع صواحبهم في مثل ذلك . اما اذا سال العقيق ، واهتزت المدينة طرباً وابتهاجاً بمسيله ، وهرع اليه اهلها

افواجاً افواجاً ، فانتثروا على ضفافه ينعمون بجمال الطبيعة الذي يحيط بهم ، في حلقات
عقدوها للأنس والطرب ، فان المكان ليققد روعته وجماله اذا غاب عنه عمر .

تقول ليت ابا الخطاب وانفسا كي ناهو اليوم او نشد اشعارا^(١)

واذا اذاع المذيع ان جماعة من المغنين او المغنيات قد اقامت حفلة للغناء فان عمر اسبق
الساعين الى السماع . وقد أوتي ، فوق ما أوتي من النعم ، ملكة لقرض الشعر ، وهبة
لتذوق الجمال ، فكان ينشد وقائمه هذه شعراً رقيقاً تردده الركبان . هي اوقات لذّة
وانس وهو لم ينس طيبها طول حياته ، وفيها يقول :

ولقد اشد المحدث عند الم قصر فيه تغف ويسان
في زمان من المعيشة لذّر قد مضى عصره وهذا زمان^(٢)

وله :

يذكرني الدهر ما قدمضي من العيش فالعين تغورق
لبالي اهلي واهل التي دموعي بذكراهم تسبق
خليطان محضنا واحد فجبل المودة لا يخلق^(٣)

ولعله كان يشير الى هذه الحلياة المرححة حين نظم الابيات التالية :

ضحكت ام نوفل اذ رأني وزهيرا وسالف بن سنان
عجبت اذ رأت لدائي شابوا وقتيرا من المشيب علائي
ان تريني أقصرت عن طلب م التي وطاوت عاذلي اذ خاني
وتركت الصبي وادر بني الحلم م وحرمت بعض ما قد كفاني
ودعاني الى الرشاد فواد كان للنبي مرة قد دعاني
فجوار مستقلات الى اللهو حسان كناضر الانصان
قتل للرجال يرشعن بالطرف م حسان كخذل الغزلان
قد دعاني وقد دعاهن للهو م شجون من اعجب الاشجان
فاهصرنا من الحديث غصونا حيث لا يجتني لعمر كجاني
ذاك طورا وتارة ابث القينة م وهنا بالمرهر الحنان
وانص المطي بالركب يطلبن م سراعا بواكر الاظنان
ذاك دهر لو كنت فيه قريبي غير شك عرفت لي عصابي
وتقلبت في الفراش ولا تعرف الا الظنون ابن مكاني^(٤)

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٥١

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٧١

(٣) الاصمعي ١ : ٤٦ وابن ابي ربيعة (ع) ٥٧٠

(٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٧٢

ولقد حاول اخوه الحارث ان يردعه عن بعض هذه السبل - وكان مُشفقاً عليه - فكان يعاقبه ويعظه حين يراه متورطاً في اللهو ، ولكن عمر لم ينتفع بنصح اخيه كثيراً .
ولقد كان لهذه الحقبة التي قضاها عمر في المدينة أثر كبير في حياته وفي شعره ، وكان له في المدينة اصحاب من خيرة اشرافها كان يتردد معهم الى بعض الملاحي ، وكان يشهد معهم مواسم العقيق ، وكان يذهب معهم الى دور الغناء . نخص بالذكر منهم ثلاثة كادوا يتفقون مع عمر في الخلق والمزاج فقد كانوا جميعاً يحبون الدعابة والمزح واللهو ، وكانوا جميعاً كرماء اجواداً ، واعتزلوا جميعاً الحياة السياسية الا واحداً صار من اعظم الولاة الذين عرفوا زمن بني امية ، ولي لهم الحجاز ، وولي لهم العراق ، وجنت عليه السياسة فبات ميتة مشؤومة .

وكان لصداقتهم معاً اثر لم يقتصر على حياة عمر و اخلاقه فحسب ، بل تعداه الى شعره ، هذا الشعر الذي يزعم الرواة ان عمر كرسه للغانيات ووقفه على مدحهن . وسرى عند درسنا اخلاق عمر ان كثيراً من نواحي خلقه وصفاته كانت عند هؤلاء ايضاً ، بل ان ادراجهم فيما يظهر لنا من بعض الروايات تكاد تكون متازجة . زعموا ان احدهم قال لعمر في احدى جلساتهم الادبية وهو ينشده قصيدته في الثريا التي فيها :

كان ذا في سبرنا اذ حججنا علم الله فيه ما قد نوينا

« ان ظاهر امرك ليدل على باطنه ، فأروِد التفسير ! ولئن مت لاموتن معك ، أفّ للدنيا بعدك يا ابا الخطاب ! فقال له عمر : بل عليها بعدك الغناء يا ابا محمد !^(١)
ولهذا فاناً نرى لزماً علينا قبل التبسط في درس حياة عمر ان نقف وقفة قصيرة عند هؤلاء النفر من اشراف ساكني المدينة نتعرف اليهم ونلمّ بشيء من حياتهم و اخلاقهم .

اصحابه في المدينة

خالد بن عبد الله القسري

اما اولهم خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد القسري . وقد ذكر له ابو الفرج ترجمة يظهر منها انه كان شديد التحامل عليه وعلى ابيه . وربما ننصف ابا الفرج اذا قلنا انه على تحامله لم يهمل من ذكر مناقبهم ما رواه بعض الرواة عن خالد وابيه من المجد والسؤدد . قال : وهم اهل بيت شرف في بجيلة لولا ما يقال في عبد الله بن اسد ، فان اصحاب المثالب ينفونه عن ابيه ، ويقولون فيه اقوالاً انا اذا كررها في موضعها من اخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا ان شاء الله ، وعلى ما قيل فيه ايضاً فقد كان له ولابنه خالد سؤدد وشرف وجود .^(١) وقال ايضاً في اسد : وكان اسد بن كرز يدعى في الجاهلية رب بجيلة .^(٢) وكان يزيد جد خالد فيما يروي ابو الفرج مطاعاً في اليمن عظيم الشأن وخرج ايام عمر في بعوث المسلمين الى الشام .^(٣) ونشأ ابنه عبد الله بعده فلم يكن ناهياً كايه .^(٤) غير انه كان كاتباً مفوهاً فيما يروي ابو الفرج ، كتب لجبيب بن مسلمة الفهري في اماراة عثمان بن عفان فتال حظاً وشرفاً وكان يقال له خطيب الشيطان .^(٥) وعظم امره ، ونشأ ابنه خالد بعده ، ومات هو فكان خالد في مرتبته .^(٦)

اما خالد هذا فقد ذكر ابو الفرج عنه انه نشأ بالمدينة نشأة المخنثين ، وكان في حدائته يتخنث ويتبع المغنين والمخنثين ، ويمشي مع عمر ابن ابي ربيعة وينقل رسائله الى النساء .^(٧) وله مع عمر اخبار كثيرة ، وقد ذكره عمر بشعره كثيراً ، قال مصعب الزبيري : كل ما ذكره عمر ابن ابي ربيعة في شعره فقال ارسلت الخريت او قال ارسلت الخري فاما يعني خالداً القسري ، وكان يترسل بينه وبين النساء .^(٨) وكثير من اخباره التي تروى عنه مع

(٢) الاصباهي ١٩ : ٥٢

(٤) " ١٩ : ٥٥

(٦) " ١٩ : ٥٧

(٨) " ١٩ : ٥٥

(١) الاصباهي ١٩ : ٥٢

(٣) " ١٩ : ٥٥

(٥) " ١٩ : ٥٧

(٧) " ١٩ : ٥٥

عمر تشير الى انه كان صغيراً وقتذاك ، كأن يقول الراوي مثلاً : « وكان في حياته » او « وهو يومئذ غلام » .^(١) غير ان علاقته بعمر لم تنقطع في صغره ، فقد كان يتردد الى عمر هو وابن ابي عتيق . وله معها اخبار كثيرة .^(٢) ويجب ان نذكر هنا ان أحوال عمر كانوا يمينين فلم يكن غريباً على قرشي مثل عمر ان يرافقه يمينياً كخالد . وكان خالد اصغر منه فقد روى ان امه كانت رومية نصرانية وهبها عبد الملك لاييه .^(٣) وعاش خالد مدة طويلة بعد عمر كان له فيها شأن عظيم . فقد ولي مكة للوليد سنة ٨٩ للهجرة .^(٤) ثم لسليمان ، ثم عزله سليمان ، ثم ولي العراق سنة ١٠٥ هـ . وخراسان وعرف بالبأس والشدة .^(٥) ولسنا نعرف شيئاً عن علاقته بعمر في ايام عمر الاخيرة ، كما واننا لسنا متحققين هل ادرك عمر ولاية خالد للوليد أم لا .

وقد نسب الرواة الى خالد انه كان يتألف الذين يقولون بنسبه الكريم ويفدق عليهم العطايا وانه كان يميل الى اليمينية ويحمل على مضر وكان شديد التعصب لبني امية . زعموا انه صعد على المنبر فقال : الى كم يغلب باطلنا حقكم اما ان لربكم ان يغضب لكم .^(٦) وكانت امه نصرانية كما اشرنا ، فرغم ابو الفرج انه كان يتساهل مع النصارى كثيراً . ثم ذكر اخباراً عنه نستبعد جداً وقوعها او صدورها عن عامل من عمال بني امية ، كتعريضه بلاء زمزم ، وتفصيله بعض الخلفاء على النبي محمد وغير ذلك .^(٧)

ويجب ان نلاحظ ان اكثر المؤرخين في الزمن العباسي كانوا شديدي التحامل على خلفاء بني امية وعمالمهم بوجه عام . اما الاصبهاني فقد كان فوق هذا شيعي الميل فزادت نقمته على بني امية وعمالمهم اجمعين ، ولذلك فقد قبل هذه الروايات التي نقلت عنهم ثم اظهر غضبه وحقده على خالد فلغنه في اكثر المواضع ، وقال : اللهم العن خالداً واخزه وجدد على روحه العذاب .^(٨) وقال : لعن الله خالداً ومن ولاه وقبحهم .^(٩) ولكن رغم ما في هذه الاخبار من دس وتحامل على خالد . فانه يظهر انه كان عتياً شديداً وكانت تناصره

-
- | | |
|--|-----------------------------------|
| (١) الاصبهاني ١٩ : ٥٦ و | (٢) الاصبهاني ١٩ : ٥٦ |
| (٣) " ١٩ : ٦٠ اذا صحت هذه الرواية فالراجح ان عبد الملك كان شاباً عندما وهبها لعبد الله بن يزيد (والد خالد) | (٤) الطبري ٢ : ١١٩٦ و ١١٩٩ و ١٢٣٠ |
| (٥) الطبري ٢ : ١٤٦٨ | (٦) الاصبهاني ١٩ : ٥٩ - ٦٠ |
| (٧) الاصبهاني ١٩ : ٥٩ - ٦٠ وانظر الطبري ٢ : ١١٩٩ | (٨) الاصبهاني ١٩ : ٥٩ |
| (٨) الاصبهاني ١٩ : ٦٠ | |

اليمنية فيعتز بها ويطنى ، وهو وان لم يكن شيئاً مذكوراً في صباه يوم كان يتربل بين عمر وصاحباته ، فقد كان طموحاً وقتئذ في معاشرته مثل ابن ابي عتيق وعمر وربما عبدالله ابن جعفر بحيث مهد له طموحه فيما بعد ان يصير الى ما صار اليه . ورغم ما اتهم به اكثر الرواة الذين لم يخلوا من هوى او غرض في نفوسهم فانه لم يعدم منهم من اشار الى شيء من مكانته وكرمه . قال ابو عبيدة في طعنه بخالد واهله : ان عبدالله سلك منهاج والده في الكذب ثم نشأ خالد ففاق الجماعة ، الا ان رياسته وسخاءه كانا فيه سترا ذلك من امره^(١).

ابن ابي عتيق

اما رفيق عمر الثاني في المدينة - وهو اكرم نسباً من خالد وارفح قدراً - فابن ابي عتيق عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق ، وقد كان كل من ابيه وجدّه ووالد جدّه وجد جدّه صحابياً ، ولم يكن احد كذلك من الصحابة غيرهم فيما يزعمون^(٢). ولقد كانت صداقة عمر مع ابن ابي عتيق غير صداقته مع خالد القسري ، وكان حبهما الواحد للآخر غير الحب الذي كان بين خالد وعمر . فلو قلنا ان خالداً كان يتربل بين عمر وصاحباته ، فان هذا يكاد يكون كافياً ليضع خالداً عن منزلة الندى والمثيل اذا قوبل مع عمر . اما ابن ابي عتيق ، على ما كان عليه في بعض الاحيان من حب او ميل لمساعدة عمر في الجمع بينه وبين صاحباته ، فانه ارفع من ان يوسم بما وسم به خالد ، وكان اقرب الى روح عمر واحب اليها من سائر الاصدقاء . وكان ابن ابي عتيق يقدر هذه الصداقة ويحرص عليها ويرى لذة الحياة في ان يكون مع عمر ، والا فان الحياة وقد فارق عمر الدنيا لا تعدل شيئاً ، حدث ابو الفرج باسناده قال :

انشد عمر ابن ابي ربيعة ابن ابي عتيق قوله :

لم تر العين للثريا شيئاً بميل التلاع يوم التقينا

فلما بلغ الى قوله :

ثم قالت لاختها قد ظلمنا ان رددناه خائباً واعتدينا

(١) الاصبهانى ١٩ : ٥٨ ويجب ان تصف ابا الفرج في قولنا انه لم يفته ان يذكر الاخبار التي مدح فيها خالد واهله
(٢) المبرد ١ : ٢٧٤

قال ابن ابي عتيق : احسنت الهدايا واجادت ٠٠٠ فلما بلغ عمر الى قوله في شعره :
في خلاء من الانيس وامن ٠٠٠

قال ابن ابي عتيق : امكنت للشارب العُدْر ، من عال بعدها فلا انجبر : فلما بلغ
الى قوله :

فكشتا كذاك عثراً تباعاً في قضاء لديننا واقتضينا

قال : اما والله ما قضيتها ذهباً ولا فضة ولا اقتضيتها اياه ، فلا عرفكما الله قبيحاً .
فلما بلغ الى قوله :

كان ذا في سيرنا اذ حججنا علم الله فيه ما قد نوينا

قال : ان ظاهر امرك ليدل على باطنه ، فأرورد التفسير ! ولئن مت لاموتن معك ،
أفـ للندنيا بعدك يا ابا الخطاب ! فقال له عمر : بل عليها بعدك العفاء يا ابا محمد ^(١)
وكان ابن ابي عتيق متعصباً لعمر ، يعجب بشعره ويفضله على شعراء عصره ^(٢) قالوا :
ذكر شعر الحارث بن خالد المخزومي وشعر عمر ابن ابي ربيعة عند ابن ابي عتيق في
مجلس رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام ، فقال : صاحبنا يعني الحارث بن خالد
اشعرهما . فقال له ابن ابي عتيق : بعض قولك يا ابن اخي ! لشعر عمر ابن ابي ربيعة نوبة
بالقلب وعلوق بالنفس ودرك للحاجة ليست لشعر ، وما عصي الله جلّ وعزّ بشعر اكثر مما
عصي بشعر ابن ابي ربيعة ، فخذ عني ما اصف لك : أشعر قرش من دقّ معناه ، ولطف
مدخله ، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه ، واثارت معانيه ، واعرب عن
حاجته . فقال المفضل للحارث : اليس صاحبنا الذي يقول :

اني وما نغروا غداة مني	عند الجار يوؤها العقل
لو بدلت اعلى مساكنها	سفلاً واصبح سفها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بما	فبرده الاقواء والمحل
لعرفت معناها بما احتملت	مني الضلوع لاهلها قبل

فقال له ابن ابي عتيق : يا ابن اخي استر على نفسك ، واكتم على صاحبك ، ولا
تشاهد المحافل بمثل هذا ! اما تطير الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ؟ ما بقي

ألا ان يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارة من سجيل . ابن ابي ربيعة كان احسن صحة للربيع من صاحبك ، واجمل مخاطبة حيث يقول :

سائلا الربيع بالبي وقولا هجت شوقاً لي الغداة طويلا
ابن حي حلوك اذ انت محنو م فجم اهل اراك جميلا
قال ساروا فامعنوا واستلوا وبرغمي لو استطلت سيلا
شمونا وما شئنا مقاما واحبوا دماثة وسهولا

قال فانصرف الرجل خجلاً مذعناً .^(١)

قالوا ولقي الحارث بن خالد المخزومي ابن ابي عتيق ، فقال : قد بلغني ما دار بينك وبين عمر ابن ابي ربيعة ، فكيف لم تتحلا مني ؟ فقال له ابن ابي عتيق : يغفر الله لك يا ابا عمرو ، ان ابن ابي ربيعة يبرىء القرح ويضع الهناء مواضع النقب ، وانت جميل الخفض . فضحك الحارث بن خالد وقال : حبك للشيء يعمي ويصم . فقال ابن ابي عتيق : هيات انا بالحسن عالم نظار .^(٢)

وقد كان ابن ابي عتيق في نظر الرواة صالحاً عفيفاً ، وكان على ذاك يحب المزاح والدعابة واللهو . قال عنه المبرد في كامله : انه من نسائك قريش وظرفائهم بل كان قد بذهم ظرفاً . وقد غلبت عليه الدعابة وشهر بها .^(٣) وذكر عنه الحصري في زهر الآداب انه كان من افاضل زمانه علماً وعفافاً ، وانه كان احلى الناس فكاهة واطرفهم مزاحاً .^(٤) ولعل القارئ لا يزال يذكر قصته مع عثمان بن حيان المرمي وسلامة المغيرة في الجزء الاول من هذا الكتاب وكيف استطاع ان يصرف الوالي عن امره بطرد المغتربين .^(٥) وانشده نصيب الاسود قوله :

وكدت ولم اخلق من الطير ان بدا لها بارق نحو الحجاز اطيرو

فقال له يا ابن ام : قل غاق فانك تطير . يعني انه غراب أسود .^(٦)

- (١) الاصبهاني ٤٨ : ١
بعد الحديث الذي دار بين عمر وابن ابي عتيق بشأن شعره في الثريا ، وهو في نظرنا اولي ان يكون حيث وضعناه . ولعل ابا الفرج او الرواة الذين نقل عنهم ابو الفرج قد خلطوا بين القصتين .
(٢) المبرد ٣٧٤ : ١
(٣) الحصري ٢٩١ : ١
(٤) الاصبهاني ١٠ : ١ والمبرد ٣٧٥ : ١
(٥) الاصبهاني ١٤٥ : ١
(٦) الاصبهاني ١ : ٩١ ان ابا الفرج يضع هذا الخبر

وسمع مرة شعراً لعمر يقول فيه :

ومن كان محروباً لامراق دمة وهي غرجا فليأتنا نبكه غدا

ففضى الى خالد القسري وسارا معاً الى عمر ، وقالوا له : قد جئنا لموعدك . قال : واي موعد بيننا ؟ قال ابن ابي عتيق : قولك « فليأتنا نبكه غداً » قد جئناك لموعدك ، والله لا نبرح او تبكي ان كنت صادقاً في قولك او ننصرف على انك غير صادق .^(١) وانشد عمر مرة ابياته التي يقول في آخرها :

لبت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجةً واعتاراً

فقال : ان في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمال .^(٢)

وله قصص كثيرة تشير الى ظرفه ودعابته . منها ان عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب ابن الزبير فهجرتة ، فقال مصعب : هذه عشرة الاف درهم لمن احتال لي ان تكلمني . فقال له ابن ابي عتيق : عدل (عد لي) المال اثم صار الى عائشة فجعل يستعقبها لمصعب ، فقالت : والله ما عزمي ان اكلمه ابداً . فلما راي جدها ، قال لها : يا بنت عم انه قد ضمن لي ان كلت عشرة الاف درهم ، فكله حتى اخذها ثم عودي الى ما وعدك الله .^(٣) ومنها ما يتعلق بصاحبنا عمر ، فقد زعموا ايضاً ان الثريا هجرتة وصرته فقال في هجرها :

من رسولي الى الثريا فاني ضقت ذرعاً بجرحها والكتابر

قال بلال مولى ابن ابي عتيق وأنشد سيدي هذا الشعر فقال : اي اي اراد وبني نوه ، لا جرم والله لا اذوق اكلاً حتى اشخص فاصلح بينهما . ونهض ونهضت (الضمير يعود الى بلال) معه فجاء الى قوم من بني الدليل بن بكر لم تكن تفارقهم نجائب لهم يكرونها ، فاكثرى منهم راحلتين واغلى لهم ، فقلت له : استوضعهم او دعني اما كسهم فقد اشتطوا عليك . فقال : ويحك ! اما علمت ان المكاس ليس من اخلاق الكرام . ثم ركب احدهما وركبت الاخرى ، فسار سيراً شديداً ، فقلت : أبقر على نفسك ، فان ما تريد ليس يفوتك . قال : ويحك ! « ابادر جبل الود ان يتقضا » وما حلاوة الدنيا ان تم الصدع

(٢) الاصبهاني ٨ : ٥٦

(١) الاصبهاني ١٩ : ٥٦

(٣) المبرد ١ : ٣٧٥

بين عمر والثريا . وينتهي بلال في حديثه بان ابن ابي عتيق مرّ على عمر فاخذه معه الى الثريا في الطائف ، وقال لها : هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة اليك ، فجتك به معترفاً لك بذنب لم يجنه ، معتذراً اليك من اساءته ، فدعيني من التعداد والترداد ، فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون . فصاحته احسن صلح واتمه واجمله .^(١)

وكان ابن ابي عتيق يحب الغناء كثيراً ، وكان يرافق عمر وعبدالله بن جعفر الى كثير من مجالس الغناء كما راينا .^(٢) لا سيّما الى بيت غزة الميلاء التي كان ابن ابي عتيق ينوع خاص معجباً بصوتها ،^(٣) وقد كانت اخذت كثيراً عن نشيط وسائب خاثر وهما من موالي عبدالله بن جعفر ، فكان هو وعبدالله هذا وعمر ينشون غزاة في منزلها فتغنيهم .^(٤) وكان يحب غناء ابن سريج وقد رووا انه كان ينحدر عنه بعد موته كل سنة بدنة ويقول هذا اقل حقه علينا .^(٥) وكان بعد هذا كله طروباً .^(٦)

وكان يحب غناء ابن عائشة ، ورأى مرة حلقه مخدشاً فسأله من فعل هذا بك ؟ قال : فلان افضى قترع ثيابه وجلس للرجل على بابه ، فلما خرج اخذ بتلييه وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له : ما لك تضربني ، اي شي . صنعت ؟ وهو لا يجيبه ، حتى بلغ منه ثم خلاه ، واقبل على من حضر فقال هذا اراد ان يكسر مزامير داود وشدّ على ابن عائشة خنقه وخدش حلقه .^(٧)

وكان عمر ينشده شعره ويتحدث اليه باخبار جبه ، فيرتاح هذا اليها ويتلذذ في سماعها ويسعى في ان يوفق صاحبها في جبه . روى ابو الفرج ان عمر انشد ابن ابي عتيق قوله :
« احن اذا رايت جمال سعدى »

قال فركب ابن ابي عتيق فأتى سعدى بالجناب من ارض فزارة فانشدها قول عمر ، وقال لها : ما تأمرين ؟ فقالت : أمره بتقوى الله يا ابن الصديق .^(٨)

(١) الاصبهاني ١ : ٨٩ والمبرد ١ : ٢٧٤ والحصري ١ : ٢٩٤

(٢) " ١٦ : ١٤ و ٧ : ١٢٣ (٣) الاصبهاني ١٦ : ١٩

(٤) " ١٦ : ١٤ (٥) " ١ : ١٠٩

(٦) " ١٦ : ٢٠ (٧) " ٢ : ٦٣

(٨) " ١٦ : ١٣ يرى ابو الفرج ان الفتاة يجب ان تكون ليلي بنت الحارث بن عوف

وان الشعر والقصة يجب ان يكونا في ليلي لا في سعدى .

وكان ابن ابي عتيق في كثير من الاحيان يذكر لعمر احدى الجميلات ويتحدث له عنها فيبيحه على الحب ، ويلج عمر في ان يراها ويشبب بها . وقد ذكروا أنه ذكر له مرة احدى قريباته زينب بنت موسى الجمحية واطرى له جملها ، فشهرها عمر في شعره ، وسمع ابن ابي عتيق فعذله في ذكره لها في شعره ، فقال له عمر :

لا تلمني عتيق حسي الذي بي ان بي ياعتيق ما قد كفاني
لا تلمني وانت زيتيها لي

قالوا: فبدره ابن ابي عتيق فقال :

« انت مثل الشيطان للانسان »

فقال ابن ابي ربيعة : هكذا ورب البيت قلته ، فقال ابن ابي عتيق : ان شيطانك ورب القبر ربما ألمّ بي فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته ، فيصيب مني واصيب منه .^(١)

وقد كان عمر يقدر نظر ابن ابي عتيق للجمال قدره ، فيروق له ما يروق لاصديقه ، كانها خلقا في ذوق واحد قال :

ودعاني ما قال فيها عتيق وهو بالحسن عالم نظار^(٢)

وما اكثر ما كان ابن ابي عتيق يبحث معه في جمال الفتيات او يدفعه الى حبهن او يسهل عليه ذاك ، غير انه كان فيما يظهر لنا من الروايات ومن شعر عمر شقيقاً عليه ، رفيقاً به يحب غزله ولكنه لا يريد ان يتورط في الالتم او ان يشتد به العشق والوجد قال عمر :

اقاد دمي بكر على غير ظنة ولم يتأثم قاتلاً غير منعم^(٣)

وقال :

يقول عتيق ان شكوت صباي وبين داء من فوادي مخامر
احقاً لئن دار الرباب تباعدت او انبت حبلى ان قلبك طائر
افق قد افاق العاشقون وفارقوا الموى واستمرت بالرجال المرائر
زع القلب واستبق الحياء فانما تباعد او تدني الرباب المقادر^(٤)

وقال :

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٤٤

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٠١

(١) الاصبهاني ١ : ٤٤

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦٨

وقول بكر الم تلمم لنسألم وانظر فلا بأس بالتسليم والنظر^(١)

وقال :

بكر دعا فاق عمداً لشقوته ما جاء من ذاك ان غياً وان رشد^(٢)

وقد كان عمر في كثير من الاحيان يسمي صاحبه ابن ابي عتيق في شعره بكراً او عتيقاً^(٣) فهو يعنيه في كل هذه الابيات التي ذكرنا . وكانت هناك بين الاثنين عوامل ، عدا اتفاق ذوقيهما ، تساعد على ان يكونا صديقين ، اهمها القرابة ، فقد كان اخو عمر كما راينا زوجاً لام كشموم اخت عائشة اي زوجاً لعمّة والده ، وكان عمر بعد ارتحاله الى مكّة اذا زار المدينة يتزل احياناً ضيفاً على صديقه ابن ابي عتيق^(٤) وقد عاش ابن ابي عتيق الى بعد موت عمر.^(٥)

عبدالله بن جعفر

وكان لعمر في المدينة صديق ثالث هو عبدالله بن جعفر ابن ابي طالب ، اخو محمد ابن ابي بكر لأمه وابن اخي الخليفة علي ابن ابي طالب.^(٦) وكان عبدالله اكبر من عمر فقد ولد قبل الهجرة .^(٧) وذكر الطبري انه كان غلاماً سنة ٨ هـ .^(٨) وانه كان زوجاً سنة ٢٤ هـ .^(٩) وانه كان رجلاً يؤخذ رايه زمن خلافة علي ، دعاه علي واستشاره في امر عامله على مصر ، فاشار على عمه في ان يعزل قيس بن سعد عن مصر ويعين محمد ابن ابي بكر .^(١٠) وروى ابو الفرج والنووي ان عبدالله ادرك النبي وحدث عنه .^(١١) وانه مات في حدود سنة ثمانين للهجرة فخرج اهل المدينة عليه وحزنوا حزناً عظيماً .^(١٢) وكان عبدالله هذا من اجواد العرب المشهورين ، عدّه ابن عبد ربه في عقده في الطبقة

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢١٢ | (٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١٢٥ |
| (٣) الاصبهاني ٨ : ١٤٥ | (٤) الاصبهاني ٧ : ١٢٤ |
| (٥) " ٤ : ٤٤ و ٨ : ١٠ و ١٠ : ٩ | (٦) الطبري ١ : ٢٢٤٥ والنووي ٢٢٨ |
| (٧) النووي ٢٢٧ | (٨) الطبري ١ : ١٦١٨ |
| (٩) الطبري ١ : ٢٧١٧ | (١٠) " ١ : ٢٢٤٣ |
| (١١) الاصبهاني ١١ : ٦٧ والنووي ٢٢٨ | (١٢) الاصبهاني ١١ : ٦٩ وانظر الخبلي |
| ٨٧ : ١ والنووي ٢٢٩ | |

الاولى منهم في الاسلام^(١). وكان يسميه البعض ببحر الجود^(٢). وان في اخبار جوده من المبالغات ما لو صح لكان عبدالله من اعظم الاجواد ، ان لم يكن اجود اهل الارض على الاطلاق . ومهما يكن من امر المبالغات في هذه الاخبار فان جود عبدالله كان عظيماً حتى ضرب به المثل وحتى نال صاحبنا عمر ابن ابي ربيعة على غناه وثروته نصيب منه . وقد زعم بعض الرواة ان اهل المدينة كانوا يدانون بعضهم من بعض الى ان يأتي عطاء عبدالله ابن جعفر^(٣) وكان عبدالله بن جعفر من المقربين الى معاوية في خلافته ، وروا انه ولد له ولد وهو عند معاوية ، فاته البشير بذلك ، وعرف معاوية الخبر فقال : سمه معاوية ولك مئة الف درهم ، ففعل ، فاعطاه المال ، واعطاه عبدالله الذي بشره به^(٤) .

واستمرت صداقة ابن جعفر مع بيت معاوية لئمن يزيد كما راينا ، فاجزل هذا لابن جعفر العطاء ، وكان معاوية بن عبدالله بن جعفر صديقاً ليزيد وسمى ابنه يزيداً على اسم صديقه^(٥) .

وظل ابن جعفر صديقاً لهؤلاء الخلفاء والامراء الى ان ولي الخلافة عبد الملك ، قالوا فجفا عبد الملك ابن جعفر ، فدعا الله ابن جعفر فيما يزعمون ، قال : اللهم انك عودتني عادة جريت عليها ، فان كان ذلك قد انتفى فاقبضني اليك^(٦) .

وكان ابن جعفر كصاحبيه عمر وابن ابي عتيق مولعاً بالغناء ، وقد اتخذ بعض القيان والمغنين ، وكان يقضي كثيراً من وقته في السماع اليهم . وذكر ابو الفرج ان معبداً امام المغنين في المدينة قد اخذ غناه عن سائب خاثر ونشيط . وكلا هذين كان مولى لعبدالله ابن جعفر^(٧) . ورووا ان ابن سريج المغني المكي صاحب عمر كان منقطعاً الى عبدالله بن جعفر^(٨) . وروي ان ابن جعفر كان يذهب الى العقيق ويستمع الى بعض المغنين فيه^(٩) . وانقطع سائب خاثر الى سيده فآلى فيما يزعمون ان لا يغني احداً سواه الا ان يكون خليفة او ولي عهد^(١٠) . وقد وفد عبدالله بن جعفر به على معاوية وابنه يزيد فغناهما واطربهما^(١١) .

(٢) النوي ٣٣٨

(٣) الاصمعياني ١١ : ٧١

(٤) " ١١ : ٦٩

(٥) " ١ : ٩٧

(٦) " ٧ : ١٨٨

(١) ابن عدي ربه ١ : ١١٠ - ١١٢

(٢) الاصمعياني ١١ : ٦٩

(٣) " ١١ : ٧١

(٤) " ١ : ٣٠

(٥) " ٢ : ١٧٣ - ١٧٤

(٦) " ٧ : ١٨٩

اما اخبار جوده فكثيرة روى ابن عبد ربه عن بعضهم قال: قدم عبدالله بن جعفر على يزيد بن معاوية ، فقال له : كم كان عطاؤك ؟ فقال له : الف الف . قال : قد اضعفناها لك . قال : فذاك ابي واممي وما قلتها لاحد قبلك . قال : قد اضعفناها لك ثانية . فقيل ليزيد اتعطي رجلاً واحداً اربعة الاف الف ؟ فقال : ويحكم ! انما اعطيتها اهل المدينة اجمعين ، فما يده فيها الا عارية .^(١)

وحدث بعضهم قال : جاب رجل الى المدينة سكراناً فكسد عليه ، فقيل له لو اتيت ابن جعفر قبله واعطاك الثمن ، فأتى ابن جعفر ، فأمر باحضاره وبسط له ، ثم امر به فنثر ، فقال للناس : انتهبوا ! فلما رأى الرجل الناس ينتهبون ، قال : جعلت فداك آخذ معهم ؟ قال : نعم ! فجعل الرجل يهيل في غرائره ، ثم قال لعبدالله : اعطني الثمن ! فقال : وكم ثمن سكرك ؟ قال : اربعة الاف درهم . فأمر له بها .^(٢) وحدث بعضهم ايضاً قال جاء شاعر الى عبدالله فانشده :

رايت ابا جعفر في المنام	كساني من الخمر درّاعة
شكوت الى صاحبي امرها	فقال ستؤتي بها الساعة
سيكسوكها الماجد الجعفري	ومن كفّه الدهر نقاعة
ومن قال للجود لا تمدني	فقال لك السع والطاعة

فقال عبدالله لغلامه : ادفع اليه دراعتي الخمر ، ثم قال له : كيف لم ترّ جبتي المنسوجة بالذهب ، هذه الجبة التي اشتريتها بثلاثمئة دينار ؟ فقال له الشاعر : يا بني دعني اغني اغفائة أخرى فلعلني أرى هذه الجبة في المنام ، فضحك منه وقال : يا غلام ادفع له جبتي الوشي .^(٣)

وروى ابن عبد ربه ان عبدالله بن عمر كان يحب عبدالله بن جعفر ، فدخل عليه فوجد عنده جارية معها عود ، فقال : ما هذا ؟ فقال : وما تظن به يا ابا عبد الرحمن ؟ فان اصاب ظنك فلك الجارية . قال : ما اراني الا قد اخذتها ، هذا ميزان رومي . فضحك ابن جعفر وقال : صدقت ! هذا ميزان يوزن به الكلام ، والجارية لك .^(٤)

(٢) الاصباهي ١١ : ٦٩

(٤) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٣

(١) ابن عبد ربه ١ : ١٤٥

(٣) الاصباهي ١١ : ٦٨

وكان فيما يظهر من اكثر الروايات يحب الدعابة واللهو والمنح^(١) شأن رفيقه عمر وابن ابي عتيق ، وكان هذان يرافقانه ويترددان معه الى مجالس القيان في المدينة لاستماع الغناء من بعضهن كغزة الميلاء وغيرها^(٢) . وقد لام بعضهم ابن جعفر على ذلك . زعموا ان عبدالله ابن صفوان ، وكان امياً ، قال لابن جعفر : يا ابا جعفر لقد صرت حجة لقتياننا علينا ، اذا نهيناهم عن الملاهي قالوا هذا ابن جعفر سيد بني هاشم يحضرها ويتخذها . فقال له : وانت يا ابا صفوان صرت حجة لصبياننا علينا ، اذا لمناهم في ترك المكتب قالوا هذا ابو صفوان سيد بني جمح لا يقرأ آية ولا يحطها^(٣) . وكان قبل هذا كله كاتباً كتب لعلي في خلافته^(٤) ، وكان كصاحبه عمر وابن ابي عتيق على حظ كبير من الثقافة العلمية والادبية .

وهناك رواية تشير الى انه كان رقيق العاطفة حساساً . رووا انه لما اهدى بنته الى الحجاج اوغز ابن ابي عتيق صديقه الى الدلال المغني ان يُغني ، وقد هُيئت الموائد والرواحل وصيرت بنت ابن جعفر فيها مع جواريا والمشيعة لها ، فغنى ثم مضت بنت ابن جعفر فاتبعها يغنيها بشعر عمر ابن ابي ربيعة :

ان الخليل اجد فاحتملا	واراد غيظك بالذي فعلا
فوقفت انظر بعض شأخيم	والنفس مما تأمل الاملا
واذا البغال تشد صافئة	واذا الخداة قد ازعموا الرحلا
فهاك كاد السوق يقتلي	لو ان شوقاً قبله قتلا

فدمعت عينا عبدالله بن جعفر ، وقال للدلال : حسبك ! فقد اوجعت قلبي . امضوا في حفظ الله على خير طائر واين نقيية^(٥) .

اما المواضع التي كان يجتمع فيها عمر مع عبدالله بن جعفر فهي دور الغناء في المدينة ، وقد كانت كثيرة ، ولعلمهم كانوا يجتمعون ايضاً في دورهم الخاصة . وكان العتيق متزهاً لهم يقصدونه اذا سال في مواكب تلفت الانظار^(٦) .

وكان لصداقة عبدالله بن جعفر اثر في نفس عمر وفي حياته . وقد نشأ عمر متبعاً الى حذر ما الطريق التي رأى صاحبه عليها ، وكان فيما سئى كصاحبه كريماً رقيق العاطفة

(٢) الاصبهاني ١٦ : ١٤
(٣) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠٦
(٤) جبور (ع) ١ : ٩٥-٩٩

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٢-٢٢٧
(٣) ابن عبد ربه ٢ : ١٥٢
(٥) الاصبهاني ٦ : ٧١

حساساً ، وكان بالوقت نفسه اخا لهو يجب الدعاية والغناء . وكان لجود عبدالله اثر في حياة عمر في دور كان يحتاج فيه الى شي . من المساعدة والمعونة من مثل ابن جعفر . وترى اثر هذا الالتباس في شعر لعمر نفسه يظهر انه قطعة من قصيدة ضاع اكثراها ولم يبق سوى هذه الايات فاثبتت في ديوانه ، دون ان يكون هناك فيما نعلم من الكتب خبر او شرح لها . ولعل القصيدة - اذا وجدت او عرف خبرها - تظهر ناحية مجهولة من حياة عمر فيما يتعلق بامر نفيه او ابعاده الى الطائف او الى اليمن او الى موضع آخر . ويظهر من الايات انه كان بعيداً عن ابنائه يتمنى الاجتماع بهم ويطلب الى ابن جعفر ان يعكس النوى فيقرب له البعيد او يوفر عليه تحمل اعباء السفر قال :

على اخا ناحت ولم تذر عبدةً ونحت واسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ومن دون افراخي ممامه فيح
عسى جود عبدالله ان يعكس النوى فتضحى عصا التسيار وهي طريق^(١)

وغريب ان يكون ابن جعفر سبق عمر الى مفارقة هذه الدنيا ولم يرثه عمر او يظهر جزعه عليه . وقد ذكر الرواة كما راينا ان اهل المدينة اجمعين جزعوا عليه وحزنوا . ولكن من يدري ، لعل فيما ضاع من شعر عمر - وهو كثير كما سنرى - ما يزيل استغرابنا . وليلاحظ ان هذه الايات التي التمس فيها جود عبدالله مبتورة ناقصة .

اصدقاء آخرون

ولقد كان لعمر في المدينة اصدقاء غير هؤلاء . ذكر بعضهم الرواة وأشار هو الى بعضهم في شعره ، ولكننا لا نعلم من اخبارهم معه شيئاً كثيراً ، وربما كانت صداقته مع بعضهم بعد شبابه . منهم الاحوص فقد ذكر انه رافقه هو وابن ابي عتيق في زيارة الى جميلة المغيرة .^(٢) وذكر في موضع آخر انه كان رفيقه في زيارة لكثير .^(٣) ومنهم جميل ، ولكنه لم يكن من اهل المدينة ، بل كان يتردد عليها كثيراً ، وكذلك قل عن نصيب وقد وفد عمر مرة على المدينة فشيعة الاحوص عند مغادرتها وتولا على نصيب بطريقهما .^(٤) وكان نصيب يقول

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٢٨ والضمير في ناحت يرجع الى الحمامة الخزينة

(٢) الاصبهاني ٦ : ١٢٢ (٣) الاصبهاني ١١ : ١٨ والمرزباني ١٦٢

(٤) ١٨ : ١١ "

عن عمر : انه اوصفنا لربأت الحجال .^(١) وكان عمر يحفظ اشعاراً لاكثر هؤلاء .^(٢) وكان يعارض جميلاً ، فاذا قال هذا قصيدة قال عمر اخرى على رويها .^(٣) وقد اجتمع به عمر مرة وقال له اذهب بنا الى بئينة . نخشي جميل ، وذهب عمر فقابلها وحده .^(٤) وسلك عمر وهو في المدينة مع بعض هؤلاء سبلاً للهو سنفرد لها ابواباً خاصة حين فبحث في لوه ، وزى من الخير الآن ان نتقل معه الى مكة .

(٢) الاصبهاني ١ : ٧٣ و ٧ : ١٠٥ و ٦ : ٨٦

(١) الاصبهاني ١ : ٣٥

(٣) " ١ : ٥١ و ٢ : ١٣٣-١٣٤ وابن قتيبة (ش) ٣٥٠ والقالي ٢ : ٧٦

(٤) " ٢ : ١٠٤-١٠٥

انتقاله الى مكة

ويظهر من اخبار صاحبنا انه قد انتقل الى مكة . ولسنا نعلم متى كان ذلك ، ولكننا نرجح ان هجرته اليها وقعت في الزمن الذي اخذ الأشراف فيه ينتقلون من المدينة اليها . فانه بعد ان مات معاوية وانتقلت الخلافة الى يزيد ، حاول عامله ان يأخذ اشراف المهاجرين والانصار بشي . من الشدة حتى يبايعوا يزيد ، فأبى بعضهم وتركوا المدينة ولاذوا بمكة ، وكان من هؤلاء عبدالله بن الزبير والحسين بن علي وكثير من اشياعها ومواليها .^(١) وبقي نفرٌ بايعوا مكرهين ، ثم انتقضوا على عامل المدينة واخرجوه منها ، واخذوا بدورهم يضطهدون الامويين من ساكني المدينة ، فبعث هؤلاء برسلهم الى الخليفة يزيد يشكون اليه ما يلاقون من اهل المدينة ، فخرَّد على الثائرين جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة ، وكانت واقعة الحرة سنة ثلاث وستين .^(٢) وكان عبد الرحمن اخو عمر مع حامية المدينة كما ذكرنا سابقاً ، وكان يدافع جيوش بني امية ويردّهم عنها ، ثم غلب على أمره ، ولكنه نجح ولم يقتل . اما الحارث اخوه الثاني فيظهر انه هاجر مع عبدالله بن الزبير ، فاذا لم يكن عمر قد هاجر مع الحارث منذ اول ولاية يزيد ، فانه من الطبيعي ان يكون قد هاجر مع اخيه عبدالرحمن بعد واقعة الحرة . ولعله قد اشترك مع اخيه في الحصار وعان شيئاً من هول تلك الايام . وله شعر زعم الرواة انه قاله يرثي من قتل يوم صفين ويوم الجمل من اهل العسكرين ، ونرى ان هذا الشعر اقرب الى ان يكون قيل في قتلى الحرة منه في قتلى الجمل وصفين . قال :

تقول ابنة البكرين لما لقيننا	لقد شاب هذا بعدنا وتنكرا
فمثل الذي عاينت شيب لتي	ومثل الذي اخفي من الخزن نكرا
فكم فيهم من سيد قد رزنته	وذى شيبه كالبدرد اروع ازهرا
اولئك قومي لا وجدك لا ارى	لهم شيباً فيمن على الارض معشرا
اذب وراء المستضيف اذا دعا	وأضرب في يوم الهياج السنورا
وافضل احلاماً واعظم نائلاً	واقرب معروفًا وابعد منكرا

وان انموا ثنوا عليه بصلح ولم يتبعوا الا حسان مثلاً مكدراً^(١) ومهما يكن من الامر فالواقع انه عاش في مكة قسماً كبيراً من حياته . وتردد اليها كثيراً وهو في المدينة ولعله كان حريصاً ألا يفوته موسم الحج كل سنة . وزى في اخباره ذكراً لرجال نعرف من تاريخ حياتهم انهم مكثيون كانوا يرافقونه الى مواضع في مكة ، وكان له صاحبات مكيات يتردد اليهن ، وكان بعض اصحابه الذين خلفهم في المدينة يقدمون عليه الى مكة ويوزرونه فيها ، ثم يعود بدوره فيزورهم في المدينة ويتردد عند بعضهم^(٢) . وكان يقصد المدينة احياناً مشياً صاحبة او ملياً دعوة صاحباته فيوافيهن ويحدثهن ويسمر معهن ثم ينصرف عنهن دون ان يطيل اقامته فيها . ولقد زعموا انه قال لمن مرة حين لبى دعوتهن : والله اني لحتاج الى زيارة قبر النبي والصلاة في مسجده ولكني لست اخلط بزيارتكن شيئاً . ثم انصرف الى مكة^(٣) . وتدعوه عوامل أخرى لزيارة المدينة فيمكث فيها حتى يئس ، فيقول :

(١) ذكر شارح ديوان ابن ابي ربيعة السيد محمد العناني ان ابنة البكرين هنا هي عائشة بنت ابي بكر الصديق ، غير اننا لم نر لها مثل هذه الكنية في جميع الاصول التي بين ايدينا . ولقد عرضت هذا الامر على بعض شيوخ الازهر فلم يجلب هذا الغموض ، واذكر اني تحدثت الى الدكتور طه حسين بهذا الشأن في مجلس ضمّ نفراً من كبار ادياء مصر فكادوا يتفقون على أنه الأولى ان تقرأ « ابنة البكري » بدل « ابنة البكرين » ولم نستطع تعيين صاحبة هذه . والشعر يدل على ان صاحبه قد بدأ الشيب يلعب في لثته وهذا وحده يكفي ان يمنع ان يكون قبل في واقعي الجمل وصقن وعمر اذ ذاك لم يتجاوز الثالثة عشرة ، بل يجب ان يكون عمر في حدود الاربعين . وهذا يوافق تاريخ واقعة الحرية . ويذكر ابن قتيبة (١) ١٨٠ ان الناس اخذوا ينوحون على اهل الحرية وان النوح مكث سنة لا يجدون . ويذكر الاصبهاني ١ : ٨٥ ان الثريا صاحبة عمر علمت الفريض النوح بالمرائي على من قتل من اهلها يوم الحرية . اما ابنة البكري او [البكرين] فلعلها عائشة بنت طلحة حفيدة ابي بكر الصديق من ابنته ام كلثوم . وليلاحظ انه أقسم ببداها . ولنذكر ايضاً ان اخاه كان زوج امها وانه حارب يوم الحرية . اما عائشة ام المؤمنين فقد ماتت كما هو مشهور قبل الحرية بنحو خمس سنوات . ولعمر شر آخر يرثي فيه موتى المدينة في البقيع (مقبرة المدينة) ليس بعيداً ان يكون قيل بعد واقعة الحرية :

يا ركباً نحو المدينة جسةً أجداً تلاعب حلقةً وزماما
اقرأ على اهل البقيع من امرئ كمد على اهل البقيع سلاما
كم غيبوا فيه كريماً ماجداً شهماً ومقتبل الشباب غلاما

ابن ابي ربيعة (ع) ٤٧٥

(٣) الاصبهاني ١ : ٤٧

(٢) الاصبهاني ١ : ٨٩

يا خليليَّ قد ملّت ثوائي بالمصلى وقد شئت البقيا
بلغاني ديار هند وسلمى وارجما بي فقد هويت الرجوعاً^١

ولم تختلف كثيراً حياة عمر في مكة عنها في المدينة ، فلم ينقطع ميله للهو والعبث ، ولم تنقطع سبل اللهو امامه . وكانت حركة الغناء قد انتقلت أيضاً الى مكة فنشأ جيل من المغنين المكيين وكاد يجذب اليه رواد هذا اللهو حتى من المدينة نفسها . ولم يقتصر عمر على هذا الضرب من اللهو بل كان له في مواسم الحج نصيب اوفر وكانت ايام الحج عنده خير ايام بحيث تمني ان تكون ايامه كلها حجاً واعتماراً . وفي هذا يقول :

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجة واعتماراً^٢

وكان له في مكة رفاق ، لعله كان يعرفهم من قبل ، اشهرهم ثلاثة منهم اثنان ليسا من طبقة ابن جعفر وابن ابي عتيق ، بل هما من المغنين . والثالث قريب له من مترفي شباب مكة . وكان يقضي مع هؤلاء اكثر اوقات لهوه . ومن الخير ان نفرد لكلٍ منهم باباً خاصاً .

ابن سريج

قالوا : اذا اعجزك ان تطرب القرشي
فغنى غناء ابن سريج في شعر
ابن ابي ربيعة فانك ترقصه

اما اولهم فابن سريج المغني المكي المشهور الذي قيل فيه لرجل سأل عنه : « أتذكره ويحك باسمه ولا تقول سيّد من غنى وواحد من ترنم . »^٣ وقال جرير فيه : « لله دركم يا اهل مكة ، ماذا اعطيتم ! والله لو ان نازعاً نزع اليكم ليقم بين اظهركم فيسمع هذا

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٣١ (٢) الاصبهاني ١ : ٦٩ و ٨ : ٥٦ لقد كان لهذا الشعر صدق عظيم بين معاصريه ولقد ذكرنا سابقاً تعليق ابن ابي عتيق عليه حين قال لعمر : ان في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمال . ولقد انشده عمر امام عبدالله بن عمر بن الخطاب فقال له هذا : يا ابن اخي اما انتقيت الله ؟ فاجابه عمر : بأبي انت وامي اني وضعت ليتاً حيث لا تغني . وقال له ابن ابي عتيق مرة : الله ارحم بعباده ان يجعل عليهم ما سألته لئتم لك فسك . (الاصبهاني ١ : ٦٩)

(٣) الاصبهاني ١ : ١٢٥

صباح مساء لكان اعظم الناس حظاً ونصيلاً ، فكيف ومع هذا بيت الله الحرام ،
ووجوهكم الحسان ، ورقة البستكم ، وحسن شاركتكم ، وكثرة فوائدكم .^(١)
وكان ابن سريج يرافق عمر في بعض الاحيان الى المواضع التي كان يلتقي فيها الآخر
بمحبوباته ، وكان شاهد عيان لبعض وقائع حب صاحبه ، حتى ان احدى النساء فيما يظهر
من شعر عمر - رجت ابن سريج الا يذيع سرها مع عمر . قال عمر :

قالت وعيناها تجودانها صوحت والله لك الراعي
يا ابن سريج لا تُذع سرنا قد كنت عندي غير مذباغ^(٢)

ولسنا نعلم متى بدأت صداقة ابن سريج مع عمر فقد كان ابن سريج يتردد الى
المدينة ويستمتع الى المغنين فيها .^(٣) وكان له فيها اصدقاء ، منهم ابن ابي عتيق الذي حفظ
له صداقته ، فكان بعد موته يسوق في كل عام بدنة وينجرها عنه .^(٤) ومنهم
عبدالله بن جعفر الذي قيل ان ابن سريج كان منقطعاً له .^(٥) ويجوز ان يكون عمر قد
تعرف الى هذا المغني في بيت احدها ويجوز ان ملازمته لعمر لم تسبق شهرته كعمر . وقد
زعموا انه لم يشتهر بالغناء قبل واقعة الحرة ، فانه حين ورد الخبر مكة بما فعله مسلم بن عقبة
بالمدينة ، علا على ابي قبيل ، واخذ ينوح بشعر هو :

يا عين جودي بالدموع السفاح وابكي على قتلى قريش البطاح^(٦)

وكان ابن سريج اكبر من عمر ، ولد على الأرجح في خلافة عمر بن الخطاب وغنى في
خلافة عثمان بن عفان .^(٧) وكان في صغره جميلاً . - قيل في وصفه وهو غلام « كانه فلقة
قمر » .^(٨) وكان حذقاً حكيماً . قال عنه ابو الفرج : وكان ابن سريج عاقلاً اديباً وكان
يغني الناس بما يشتهون ، فلا يغنيهم صوتاً مدح به اعداؤهم ، ولا صوتاً فيه عليهم عار

(١) الاصبهاني ١ : ١١٧ والاصبهاني « د » ١ : ٢٩٧

(٢) الاصبهاني ١ : ١٢٧ وابن ابي ربيعة (ع) ٢٢٢

(٣) ابن عبد ربه ٣ : ٢٤٢ والاصبهاني ١٦ : ١٤ (٤) الاصبهاني ١ : ١٠٩

(٥) الاصبهاني ١ : ٩٧ (٦) " ١ : ٦٦

(٧) " ١ : ٩٦ و ٩٧ (٨) " ١ : ١٢٥

او غضاضة^(١). وقال عنه في موضع آخر : كأنه خلق من قلب كل واحد ، فهو يغني له بما يشتهي^(٢). وكان كعمر يرغب في الزينة ، فيلبس الثياب الجميلة^(٣) ، ويتطرف بالحناء^(٤). واتهم في اخلاقه^(٥) ، وقد اتخذ له غلاماً يحمل عوده^(٦). ولقد كان لابن سريج مع عمر شأن ليس بقليل ؛ فهو احد هؤلاء الذين ساعدوا على ان يشتهر شعر عمر . ذلك انه كان من اعظم المغنين الذين لحنوا اشعار عمر . والذي يقرأ الاشعار التي ذكرها ابو الفرج لعمر ، واخبار الحانها ، يرى ان ابن سريج قد كان الملحن للكثير منها . وقد ذكر الرواة انه لما وضع معبد المدني اصواته السبعة تله بها وفضلها على المداين التي افتتحها قتيبة في خراسان ، فلحق المكين غير شديدة ، واجتمعوا وعرضوا اصوات مغنيهم ، فاخاروا من غناء ابن سريج سبعة فجاولوها ازاء اصوات معبد ، ثم خايروا اهل المدينة فانتصفوا منهم . وقد كانت اكثر الاشعار التي اختيرت اصوات ابن سريج فيها من شعر صاحبه عمر^(٧). وكان ابن سريج معجباً بشعر عمر حتى قيل انه تغنى ذات يوم بشعر لعمر يقول فيه :

خانك من عوى فلا تخنه وكن وفيّاً ان سلوت عنه

قال المكيون : قال ابن سريج ما تغنيت بهذا الشعر قط الا ظننت اني احل محل الخليفة . وكان ابن ابي ربيعة بدوره معجباً بصوت ابن سريج وبالحانها ، فكان يستصحبه معه في مواسم الحج ليغنيه ، وكان موكبهما اذا سارا معاً دهشة الناظرين . وهكذا فقد قرن شعر عمر الى الحان ابن سريج وغنائه فكانا فتنة قرش فيما يزعمون . حدث ابن عبد ربه ان اشعب انتجع اهل مكة في المدينة ، فوفد على رجل من اهلها من بني هاشم ، قال اشعب : فلما دخلت عليه غنيته بغناء اهل المدينة واهل العقيق ، فلم ينجع ذلك فيه ، ولم يحرك من طيبه ولا اريحيته ، فلما عيل صبري غنيته بغناء ابن سريج المكي وقول ابن ابي ربيعة القرشي :

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظر لولا التخرج عازم الح

(٢) الاصبهاني ١ : ١٢٣

(٤) " ١ : ١٠٧

(٦) النويري ٢ : ٣٧٥

(١) الاصبهاني ١ : ١٠٥

(٣) " ١ : ١٠١

(٥) " ١٥ : ١٣١

(٧) " ٨ : ١٤٣

قال : فخرت والله من طربه ، وكان الذي اردت . ثم غنّيته لابن ابي ربيعة القرشي ايضاً :

ولولا ان تقول لنا قريش مقال الناصح الادنى الشفيق
لقلت اذا التقينا قبليني وان كنّا بفارعة الطريق

فقال : احسن والله ! هكذا يطيب التلقي . قال : فغنّيته الثالث من غناء ابن سريج قول عمر ابن ابي ربيعة « ما زلت امتحن الدساكر دونها » الخ : فصاح الهاشمي : اواه ! احسن والله ، واحسنت ! وامر لي بالف درهم ، وثلاثين حلّة ، وخلعة كانت عليه .^(١) وقال ابن عبد ربه : انه كان يقال قديماً اذا قسا عليك قلب القرشي من تهامة ، فغنّيه بشعر عمر ابن ابي ربيعة وغناء ابن سريج .^(٢) وروى ابو الفرج انه كان يقال : اذا اعجزك ان تطرب القرشي فغنّيه غناء ابن سريج في شعر عمر ابن ابي ربيعة فانك ترقصه .^(٣)

وكان كلّ منهما حريصاً على صداقة صاحبه . وكان كل منهما محتاجاً الى فن صاحبه . ولهذا كانت اكثر الحان ابن سريج واحسنها في اشعار لعمر . ولعمر مع ابن سريج اخبار ربما نعرض لبعضها في موضع آخر من درسنا هذا .

وكان لابن سريج منافس في صناعته وفنه ، وفي صداقته مع عمر ، هو الغريض . قيل انه لما ناوآه في الغناء ، واخذ ينافسه ، جعل ابن سريج لا يغني صوتاً الا عارضه فيه ، وكانت ببعض اطراف مكة دار يأتيناها في كل جمعة ، ويجتمع لها خلق كثير ، فيوضع لكل من هذين المغنيين كرسي ، ثم يتناقضان الغناء ويتآدانه .^(٤)

الغريض

يا غريض ! لو لم يكن لي في ولايتي مكة حظ الا انت
لكان حظاً كافياً وافياً . يا غريض ! اما الدنيا زينة ،
فازين الزينة ما فرح النفس ، ولقد فهم قدر الدنيا من فهم
قدر الغناء . [الحارث بن خالد المخزومي]

وهو لقب لقب به ، لانه كان طرياً الوجه ، نضراً ، غضّ الشباب ، حسن المنظر .^(٥)

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥٥

(٤) الاصبهاني ١ : ١٠٨

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥٥

(٣) الاصبهاني ١ : ١١٢

(٥) " ٢ : ١٢٩

واسمه عبد الملك ، وكان مولداً من مولدي البربر ، وكان ولاؤه للثيا صاحبة عمر ، ولاخواتها .^(١) وقد اخذ الغناء اول امره عن ابن سريج ، ثم لما رأى ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطلقه خشي ان يأخذ غناؤه فيغلبه عليه عند الناس ويفوقه بحسن وجهه وجسده ؛ فاعتل عليه ، وشكاه الى مولياته ، وهن كن دفعنه اليه ليعلمه الغناء ، وجعل يتجنى عليه ثم طرده ، فشكا ذلك الى مولياته وعرفن غرض ابن سريج في تنجيته اياه عن نفسه ، وانه حسده على تقدمه .^(٢)

ويظهر ان الغريض ما اعدم من يتابع تعليمه حتى صار يقارن بابن سريج ، فلا يفضل عليه الاخير الا بالتقدم . زعموا انه لما غنى الغريض وابن سريج «عوجي علينا ربة الهودج» امام سكيكة قالت : والله ما افرق بينكما ، وما مثلكما عندي الا كمثل اللؤلؤ والياقوت في اعتناق الجواري الحسان لا يدري اي ذلك احسن .^(٣) ورووا انه قد انبرى الغريض ايام الحج مرة ، ووقف حيث لا يرى ويسمع صوته وترنم ورجع صوته وغنى في شعر عمر ابن ابي ربيعة :

اجا الرائح المجد ابتكارا قد قضى من حمامة الاوطارا

فما سمع السامعون شيئاً كان احسن من ذلك الصوت ، وتكلم الناس فقالوا : طائفة من الجن حجاج .^(٤)

وقد كان الغريض مغني عمر . وكان عمر معجباً بغناء الغريض في اشعاره ، وكان كثيراً ما يسأله ان يغنيه منها .^(٥) وقد رووا انه لما حج الوليد بن عبد الملك ، وقابل عمر ، قال عمر للوليد : ان عندي اجمل الناس وجهاً ، واحسنهم حديثاً ، فهل لك ان تسمعه ؟ قال : هاته ! فدعا به ، وغنى الوليد بشعر عمر .^(٦)

وكان الغريض ايضاً - كابن سريج ، بل اكثر من ابن سريج - رفيق عمر في كثير من وقائع حبه ورسوله في بعض الاحيان الى صاحباته ، حتى سماه الحارث بن خالد المخزومي

(٢) الاصبهاني ٢ : ١٢٩

(٤) " ٢ : ١٣٠

(٦) " ٢ : ١٤٥

(١) الاصبهاني ٢ : ١٢٩

(٣) " ٢ : ١٣٠

(٥) " ٦ : ٨٥

« فَوَيْيَقُ عَمْرٍ »^(١) . ولقد روى ابو الفرج انه لما ارسلت سكينه وصاحباتها حين تشوقن الى رؤية عمر واستماع حديثه ، رسولا وراء عمر ، اتى هو والغريض من مكة ، فحدثن حتى وافى الفجر ، وانصرف عمر والغريض . فلما صار بمكة قال شعراً في وصف الليلة التي كان فيها فليخنه الغريض ، وغناه عمر ، فسر به ، وامضاه به الى النسوة ، فانشدهن اياه وفيه يقول :

الم بزيب ان الين قد افدا قلّ التواء لئن كان الرحيل غدا

فقات سكينه : فيا ويحه فما كان عليه ان لا يرسل في غده . . . ثم غناه امامهن ، فقات سكينه : احسنت والله واحسن ابن ابي ربيعة ! لولا انك سبقت ففتنيته عمر قبلنا لاحسناً جاترتك ، يا بنانة اعطه بكل بيت الف درهم . فانجرت اليه بنانة اربعة آلاف درهم ، فدفعها اليه ، وقالت سكينه : لو زادنا عمر لزدناك^(٢) .

وروي ايضاً ان نسوة من قریش واعدن عمر ابن ابي ربيعة الى العقيق ليتحدثن معه ، فخرج اليهن ، ومعه الغريض فتحدثوا ملياً ، ومطروا ، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فاظلوا عليهن بمطرفة وبردين له حتى استترن من المطر الى ان سكن ، ثم انصرفن . فقال له الغريض : قل في هذا شعراً حتى اغني فيه . فقال عمر :

الم تأل المتزل المقفرا يائناً فيكم او بخبرا
ذكرت له بعض ما شجاك م وحق لذي الشجون ان يذكرنا
مقام المحبين اذ ظاهرا كساء وبردين ان يطرأ^(٣) الخ

وروي ايضاً انه لما غضبت بنو تميم على عمر لذكره عائشة بنت طلحة في شعره ، امتنع عن التصريح بها ، وكره في الوقت نفسه اغفال ذكرها ، فنظم ابياتاً واعطاها للغريض ، فلحنها . ثم قال له : ان ابلغتها هذه الابيات في غنائك فلك خمسة آلاف درهم . وقد ذهب الغريض برسالته فغنى عائشة اولاً شعر الحارث بن خالد المخزومي فيها :

زعموا بان الين بعد غد فالقلب ممّا احدثوا يحف

فقات له : غنني بشعر غيره . ولعلها كانت تتشوق الى سماع غناء الغريض بشعر عمر

(٢) الاصبهاني ٢ : ١٢٦

(١) الاصبهاني ٦ : ٨٥

(٣) " ١ : ٦٦

فيها ، وقد ادركت سبب مجيئه . فغناها الايات التي نظمها عمر لهذا الغرض :

اجمت خلتي مع الفجر بينا جلل الله ذلك الوجه زينا
اجمت بينها ولم نك منها لذة العين والشباب قضينا
فتولت حولها واستقلت لم تثل طائلاً ولم تقض ديننا
فاصابت به فؤادي فهاجت حزننا لي مبرحاً كان حيننا
ولقد قلت يوم مكة لبنا ارسلت تقرأ السلام علينا
انعم الله بالرسول الذي ارسل والمرسل الرسالة علينا

قال : فضحكت عائشة ، ثم قالت : وانت يا غريض ، فانعم الله بك عينا ا وانعم
بابن ابي ربيعة عينا ا لقد تلطفت حتى اديت الينا رسالته . وان وفاءك له لما يزيدنا رغبة
فيك وثقة بك .^(١)

وكان الغريض فيا يظهر يحب الغناء في شعر صاحبه عمر . فقد رووا انه اجتمع مع
جماعة من نساء اهل مكة ، وهو يغنيهن طول ليلتهن التي سهر بها بشعر عمر .^(٢) وكان
عمر بدوره يحب غناء الغريض ويحرص على ان لا تفوته فرصة يسمع فيها صوت صاحبه .^(٣)
وقد ذكره عمر كثيراً في شعره الذي نظمه في بعض وقائع حبه . من ذلك قوله :

ولقد قلت مخفياً لغريض هل ترى ذلك الغزال الأحماً^(٤)

ولقد اتهم الغريض في اخلاقه كما اتهم ابن سريج ، فلقد زعموا انه كان يصنع نفسه
ويبرقها وانه فتن اهل مكة بجسده وجهه وحسن صوته ، ونسبوا اليه افعالا شنيعة نكتفي
بالاشارة الى بعضها .^(٥)

وكان الغريض يحب ذكر اسمه في شعر عمر حتى رووا ان عمر نظم ذات يوم شعراً
قال فيه :

هاج الغريض الذكر ١١ غدوا فانشمروا

فجعله الغريض لئلا غنى فيه : هاج الغريض الذكر . يعني نفسه .^(٦)

(١) الاصبهاني ٣ : ١٠٤-١٠٥ وابن ابي ربيعة (ع) ٥٤٦

(٢) " ٢ : ١٣٥ (٣) الاصبهاني ٦ : ٨٥-٨٦

(٤) " ١ : ١٢١ (٥) التويري ٤ : ٢٨٥ وانظر الاصبهاني ٣ : ١٢٩ و ١٣٣ و ١٣٥

(٦) " ٢ : ١٤٥

الحارث بن خالد المخزومي

اما رفيق عمر الثالث فهو الحارث بن خالد المخزومي الشاعر ، ولنذكر ان الحارث كان اموي الهوى مروانياً فيما يزعمون ، بينما كان اكثر المخزوميين مع ابن الزبير.^(١) ولكن عمر لم يلتفت الى السياسة كثيراً ولم يكن يرى بأساً في ان يرافق اميراً شاعراً من بني قومه عُرف بميله الى آل مروان . وهناك رواية تذكر ان الحارث خرج مرة يشيع احد خلفاء بني امية فسار معه عمر ونفر من اصحابهما وتناشدوا الشعر جميعاً عند رجوعهم.^(٢) ولقد ولي الحارث مكة لعبد الملك بن مروان وكان فيما يزعمون ذا قدر وخطر ومنظر في قریش.^(٣) ولقد تنافس الحارث وعمر في حب عائشة بنت طلحة فكانا يتوددان اليها ولقد زعم الرواة ان الحارث أخر الصلاة مرة وهو والحق فرغت عائشة من طوافها ، فانكر اهل الموسم ذلك وشكوه الى عبد الملك فعث اليه يؤنبه فيما فعل ، فقال الحارث : ما اهون والله غضب عبد الملك اذا رضيت عائشة .^(٤) وكان ينظم فيها الاشعار وكذلك كان يفعل عمر ، واخذ الناس في زمنهما يفاضلون في اشعارهما فكادوا يتفقون على تفضيل شعر عمر .^(٥) وكان الحارث كعمر يحب الغناء كثيراً ويظهر انه كان يتوسل بصداقة عمر لاستماع بعض المغنين ، وللإجتماع مع بعض النسوة الشريقات . ولقد روى عن نفسه انه بلغه ان الغريض خرج مرة مع نسوة مكيات من اهل الشرف ليلاً الى بعض المتزهات من نواحي مكة ، وكانت ليلة مقمرة جذابة ، فتناقت نفسه الى مجالسة هاته النساء ومحدثتهن ، وخاف على نفسه لجناية كان يطالب بها . قال : وكان عمر مهيباً معظماً ، لا يقدم عليه سلطان ولا غيره ، وكان مني قريباً ، فاتيته ، فقلت له : ان فلانة وفلانة وفلانة حتى سميتهن كلهن قد بعثني ، وهن يقرآن عليك السلام ، وقلن : تشوقنا اليك في ليلتنا هذه لصوت انشدناه فويسقك الغريض . وكان الغريض يغني هذا الصوت فيجيده ، وكان ابن ابي ربيعة به معجباً . وكان كثيراً ما يسأل الغريض ان يغنيه به . قال الحارث : فلما اخبرته الخبر قال لقد ازعجتني في وقت كانت الدعة احب فيه الي ، ولكن صوت الغريض وحديث

(٢) الاصبهاني ١ : ٦٧

(٤) " ١٠٢ : ٣

(١) الاصبهاني ٣ : ١٠٢

(٣) " ١٠٠ : ٣

(٥) " ١٠١ : ٣

النسوة ليس له مُتَرَك ولا عنه محيص . فدعا بشيابه فلبسها وقال : امض ! ففضينا نمشي العجل حتى قربنا منهم . فقال لي عمر خَفِضْ عليك مشيك ففعلت ، حتى وقفنا عليهن وهن في اطيب حديث واحسن مجلس ، فسلمنا ، فتبيننا وتحقَّرن منا . فقال الغريص : لا عليكن ! هذا ابن ابي ربيعة والحارث بن خالد جاءا متشوقين الى حديثكن وغنائى . فقالت فلانة وعليك السلام يا ابن ابي ربيعة ، والله ما تمَّ مجلسنا الا بك ، اجلسا . فجلسنا غير بعيد ، واخذن عليهن جلابيبهن ، وتقتعن بأخمرتھن ، واقبلن علينا بوجوههن ، وقلن لعمر : كيف احسست بنا وقد اخفينا امرنا ؟ فقال : هذا الفاسق جاءني برسالتكن ، وكنت وقيداً من علّة وجدها ، فاسرعت الاجابة . . . ثم اخذ الغريص يغميهم بشعر عمر . قال الحارث : فلم تزل بانعم ليلة واطيبها حتى بدا القمر يغيب فقمننا جميعاً .^(١)

ويظهر ان الحارث بن خالد المخزومي كان ينافس عمر في صحبة الغريص . وكان يسمي الغريص كما قلنا فويسق عمر ، وكان الغريص فيما يظهر يؤثر عمر . فاذا طلبه الحارث واستدعاه ، لا يلبسه ولا يجيبه . فلما صارت ولاية مكة الى الحارث ، اراد ان ينتقم من الغريص ، فطرده ، فخرج هذا الى ناحية بالطائف . ثم رق له فردّه ، وقال له : لم كنت تبغضنا ، وتهجر شعرنا ، ولا تقربنا ؟ ويظهر ان الغريص قد لان بعد نفيه ، او خشى الحارث في ولايته . فقال : كانت هفوة من هفوات النفس ، وخطرة من خطرات الشيطان . وغنّاه ثلاثة اصوات في شعره . روي انه بلغ بالحارث الطرب الى ان قال له : لا لوم في حبك ولا عذر في هجرك ، ولا لذّة لمن لا يروّح قلبه بك . يا غريص ! لو لم يكن لي في ولايتي مكة حظّ الا انت ، لكان حظاً كافياً وافياً . يا غريص ! انما الدنيا زينة ، فازين الزينة ما فرّح النفس ، ولقد فهم قدر الدنيا من فهم قدر الغناء .^(٢)

ويظهر ان كلا الشاعرين الحارث وعمر اتفقا - في صداقتهما للغريص - على فهم قدر الدنيا وفهم قدر الغناء .

رفاه آفرون

ولقد كان لعمر من الرفاق في مكة غير هؤلاء ، منهم دلال المغني والايجر وغيرهم

ولعلنا نعرض لبعض أخبارهم مع عمر في مناسبة أخرى .
 وكان له في مكة أو المدينة قريب لا نعرف اسمه بينه وبينه شيء من الجفاء ، وليس
 في كل أخباره ما يشير إلى هذا ، إلا أن في شعره صورةً للألم الذي كان في نفسه من قريبه
 هذا . قال :

ومشاحن ذي بفسية وقرابة	يزجي لأقربه عقارب لُسَعَا
يسعى ليهدم ما بنيت وإني	لمسيد بنيانه التضعُضُعا
وإذا سررتُ يسوءه ما سررتني	ويرى المرأة مروتني أن تقرعا
وإذا عثرت يقول إني شامت*	واقول حين أراه يعثر دعدعا ^٢

رحلاته

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشي فيخسر
أخاسفر جواب أرض تقاذفت به فلوأت فهو أشعث أغبر

لم يكن عمر، على تيهه ودله وغروره، بالشاعر الكسل الذي يكره التنقل والسفر أو يحجم عن السعي وراء الحبيب، بل كان في كثير من الأحيان يحشم هول السرى في سبيل الوصول الى حبيبه . أضف الى هذا ان حياته العائلية، وعلاقات القرى التي كانت تربطه مع اخوال في اليمن، واشتراك اخويه في الحياة السياسية - كل هذه او بعضها - قد اقتضته ان يقوم ببعض الرحلات الطويلة . ولست اعرف شاعراً في عصره تنقل بين البلدان العربية تنقله . وسنرى انه عرف اكثر بقاع الجزيرة العربية من عدن في الجنوب على الشاطئ الهندي الى الشام في الشمال الى اهم حواضر العراق في الشمال الشرقي . ولم يخل شعره الذي غلب فيه التيه والعجب والذي اظهر نفسه فيه بمظهر المحبوب المرغوب من ذكر الأسفار التي قام بها والمشقات التي كابدها فيها . فهو لا يركن الى السكون، ولا يقنع بنعيم الحياة الهادئة، بل يشد الركاب وينص المطي وراء الحبيب حتى يفوز به .

وانص المطي بالركب يطلبن م سراعاً بواكر الاظمان^(١)

وله من قصيدة يقول فيها :

واشعث ان دعوت اجاب وهناً على طول الكرى وعلى الدؤوب
وكان وساده احناء رحل على اصلا ب ذلعة محبوب
اقيم به سواد الليل نصاً اذا حب الرقاد على المبوب^(٢)

وله في رائيته :

وليلة ذي دوران جشمتي السرى وقد يحشم الهول المحب المغرر^(٣)

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٧

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ١٨١

وفيا يقول :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشي فيخصر
أخا سفر جَوَّابِ اَرْضٍ تَفَادَتْ به فلوأت فهو اشعث اغبر

وله في قصيدة أخرى :

رأت رجلاً شاحباً جسمه مساري ارض اطلال الوجيفا
أخا سفر لا يجم المطي م بعد الكلاله إلا خفوا^١

أما إذا كان الحبيب على مسير ليلة منه فهو عنده قريب الدار داني المزار وليس عنه
مترك ولا عن لقائه محيص .

أترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذا لصور^٢

وهكذا فان عمر قد ألف السفر والتنقل ، فطاف اكثر اقطار العالم العربي . واكسبته
هذه الرحلات اختبارات ظهرت آثار بعضها في خلقه وفي شعره . ولم كنأ نود لو اشارت
المصادر الى الازمان التي قام فيها بهذه الاسفار حتى ندونها بترتيبها التوقيتي ، ونذكر اذا
امكن الامر ، العوامل التي دفعته الى القيام بها . أما الآن فسندكرها بحسب الاقطار غير
مهلين ما نعرفه عن الاسباب التي كانت وراءها .

في الحجاز

أما رحلاته في الحجاز فكثيرة . ولعله كان يقوم ببعضها في شبابه حين كان في المدينة ،
وحين كانت الحياة السياسية في العالم العربي هادئة في ظل معاوية الأكبر ، وحين كانت
سبل اللهو في الحجاز ميسرة لمن هم على شاكلته . ويظهر انه لم يفته ان يقضي بعض الزمن
في مكة او الطائف حين كان يتحلل اليها ، ثم يعود الى المدينة . فلما انتقل الى مكة ظلت
آثار هذه الحياة المرححة الناعمة التي قضاها في المدينة عالقة في نفسه بحيث لم ينسها ، فكان
إذا رأى حجاج المدينة يعودون ، ورأى في مواكبهم ما يرغبه في العودة معهم ، شد الرحال
وازمع على السفر . بل كان في بعض الاحيان اذا سمع ان احدى صاحباته العراقيات ستحج
وافي المدينة ليعرف خبرها ويرافقها الى مكة . روى انه لما حجبت سبيعة العراقية رأها فعلق

(١) ابن أبي ربيعة (ع) ٢٦٦ مساري الارض طارقها ليلاً . يُجم المطي يريها . الكلاله التعب .
الخفوف سرعة السير . (٢) ابن أبي ربيعة (ع) ٢٦١

بجتها ، فلما عادت الى العراق شيئا ، حتى اذا كان العام الثاني سمع بعزمها على الحج ثانية فصار الى المدينة ليلاقيها ، ثم لما قضت حجبها وعادت ذهب معها الى المدينة .^(١)
وحجّت عائشة بنت طلحة ثم عادت الى المدينة فنظم الشعر فيها واعدت اياها بزيارة المدينة :

سوف آتي زائراً ارضكم ييقين فاعلميه غير ظن
فاجابت هذه امنية ليت انا نشتريها بشن^(٢)

ولسنا ندري هل برّ بوعده ام لا . غير اننا نرى في قصيدة له قالها في عائشة ما يشير الى انه ظلّ حزينا قلقاً منذ فارق المدينة . فهو يذكّر حبها ، ويتأوه لبعدها ، ويظهر جزعه وألمه لفراقها ويقول :

من لقلب أمسى حزينا معني مستكيناً قد شفته ما أجنا
اثر شخص نفسي فدت ذاك شخصاً نازح الدار بالمدينة عناً

ثم يقول :

خبرينا بما كتبت البنا اهو الحق ام خزأت منا
ما نرى راكباً يخبر عنكم او يريد الحجاز^(٣) الا حزناً
ثم ما غت بعدكم من منام منذ فارقت ارضكم مطمناً^(٤)

ولقد روي في خبر وفود جميلة المغنية على مكّة حاجة ان عمر سألها عند انقضاء حجبها مجلساً تجلسه اليه والى اصحابه ، فابت ان تخلط عملاً صالحاً بمثل هذا اللهو ، وأشارت عليهم ان يتبعوها الى المدينة اذا كانوا حقاً يرغبون في سماع غنائها . ويذكر الرواة ان هؤلاء تبعوها ، وانها جلست في المدينة للناس عامة مجلس غناء ، ثم جلست لعمر ورفاقه مجلساً خاصاً .^(٥)
وروي في موضع آخر ما يظهر ان عمر قد تشوق مرة الى مجلس جميلة وسماع غنائها ، فقدم المدينة من مكّة ، وقابل الاحوص وابن ابي عتيق ، وساروا معاً ، فاتوا منزل جميلة ،

(١) الاصبهاني ٧ : ١٤٢

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٤٤

(٣) لا بد لنا من الاشارة ان كلمة « الحجاز » في شعر هؤلاء القدماء وفي اكثر الاصول القديمة كانت تطلق على المدينة وضواحيها وبعض البقاع الشالية من الحجاز الحالي . وعلى هذا فمكّة لم تكن من الحجاز بعرف القدماء بل من حامية

(٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٥٢ و (ش) ق ١١٩

(٥) الاصبهاني ٧ : ١٢٤-١٣٦

والاصبهاني ١ : ٨١-٨٢

واستأذنوا عليها ، فاذنت لهم ، فلما جلسوا سألت عمر عن حاله واحفت ، فقال لها عمر :
اني قصدتك من مكة للسلام عليك .^(١)

وهناك خبر رحلة أخرى - اشرفنا اليها سابقاً - قام بها عمر من مكة الى المدينة اثر دعوة تلقاها من سكينه بنت الحسين وصاحباتها . وقد قال في زيارته هذه شعراً ، فلما رجع الى مكة اوعز الى الغريض ان يلخنه ، فلخنه ، ثم ارسل عمر مغنيته هذا ليعتني بصوته في هذا الشعر ، ففعل ، واحسنت سكينه جائزته .^(٢)

وقدم عمر المدينة مرة من اجل امرأة من اهلها ، فاقام بها شهراً او اكثر ، ثم ملّ وخرج الى مكة ، وخرج معه الاحوص ، ونزلا بطريقهما على نصيب الشاعر ، فذبح لهما واكرمهما ، ثم ذهبوا جميعاً فزاروا كثيراً ، وكان لهم معه قصة طريفة ربما نعرض لها في غير هذا الباب .^(٣)

ويذكر الحصري ان عمر كان آخر حياته يسكن المدينة ، ويؤمن انه كان في نسكه .^(٤)

الى الطائف

اما رحلاته الى الطائف فكثيرة فيما تزعم ، ولكن اخبارها قليلة . ولقد ذكر الاصمعياني ان الثريا صاحبة عمر كانت تصيف بالطائف ، وان عمر كان يغدو (عليها)^(٥) كل غداة على فرسه فيسائل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار قبلهم .^(٦) وتاقت الثريا ذات يوم لرؤيته ، فاوعزت الى بعض الركب ان يخدعوه ، فيزعموا له حين يسألهم عن الاخبار ان امرأة اسمها اسم نجم لا يذكرونه قد ماتت وقد سمعوا صوتاً وصياحاً عالياً عليها ، وخدع عمر ، فوجه فرسه على وجهه الى الطائف يركضه ركضاً شديداً سالكاً طريق « كداء » وهو اخشن الطرق واقربها ، حتى جهد جواده . وانتهى صاحبنا الى منزل الثريا

(٢) الاصمعياني ١ : ٤٦ وابن ابي ربيعة (ع) ١٣٤-١٣٧

(١) الاصمعياني ٢ : ١٣٣

(٣) " ١١ : ١٧-١٨ والمبرد ١ : ٣٣٠ والمرزباني ١٦٣

(٥) هنالك اضطراب وتشويش في هذه الرواية ،

(٤) الحصري ١ : ٣٠٠

ونرى انه اذا حذف كلمة « عليها » من النص استقام المعنى ، اذ يستحيل على الفارس ان يقطع المسافة بين مكة والطائف وهي تبلغ نحو خمسة وسبعين ميلاً في اقل من يوم . فكيف يمكن لعمر ان يغدو كل غداة على ثرياه ؟

(٦) الاصمعياني ١ : ٨٥

فألفاها سليمة عسمة تتوقعه وتتشوق للقياء ، فأخبرها الخبر ، فضحكت . وقالت : والله أنا امرتهم لاختبر ما لي عندك . فقال عمر في ذلك :

تسكى الكميثُ الجري لا جهْدُهُ وبين لو يستطيع أن يتكلم
فقلت له أن القى للمين قرّة فبان علينا أن نكلّ وتسا
عدمت إذا وفري وفارقت مهجتي لأن لم اقل قرناً إذا الله سلما
لذلك ادني دون خيلي رباطه واوصي به أن لا جان ويكرما
فما راعها إلا الاغرة كأنه عقاب هوت منفضة قد رأت دما
فقلت لهم كيف الثريا هبيلتم فقالوا ستدري ما مكرنا وتعلما^(١)

كذلك مرّ معنا أن ابن أبي عتيق زار عمر قادماً من المدينة ، ثم أخذه معه إلى الطائف ليصلح بينه وبين الثريا بعد أن هجرته وضاق ذرعاً بذلك .

وكان عمر - لكثرة تردده إلى الطائف - خبيراً بأمورها وبقاعها ، حتى روى الرواة أنه لما حجّ الوليد بن عبد الملك طلب رجلاً عالماً بأموال الطائف يدله على أحيائها ويخبره بشؤونها ، فلم يلقَ مثل عمر ، فركب معه من مكة يحدّثه في طريقه .^(٢)

وهناك رواية تشير إلى أنه لما حجّ سليمان بن عبد الملك - ويجب أن يكون ذلك قبل استخلافه - منع عمر من أن يهيج مع الناس ، واقصاه في ذلك الموسم إلى الطائف .^(٣)

وليس غريباً على شاب غني مترف مثل عمر أن يتردد كثيراً إلى الطائف مصيف الأغنياء من أهل الحجاز ، ويشهد مواسم الاصطياف مع اشراف ذلك العصر من فتيان وفتيات فيلهو كما يلهون ويمرح كما يمرحون ، وقد كانت الثريا وعائشة صاحبتاه تصيفان في كثير من السنين هناك .^(٤)

ولقد كانت الطائف بعيدة عن عين الرقباء والولاة فدلّف إليها الكثيرون من طلاب اللهو الذين كانوا ينجشون شرّ ذوي السلطان .^(٥)

(١) الاصبهاني ١ : ٨٥ وابن أبي ربيعة (ش) ق ٣٠٠ وكداء جبل باعلى مكة وقد ذكر الدكتور حسين هيكل في كتابه منزل الوحي ص ٢٠٨ طريق كداء في مصوّر لمكة . ولكنه ذكر طريقاً آخر في ص ٢٤٣ يوصل بين مكة والطائف ماراً ببجل كراء وبقرن المنازل وهذا هو الطريق الذي سلّكه عمر كما يقول في البيت الثالث ، فهل كداء تحريف عن كراء ؟

(٢) المرزباني ٢٠٣

(٣) الاصبهاني ١ : ٥٠ و ١٤٥

(٤) راجع جبور (ع) ١ : ٩٩-١٠٢

(٥) الاصبهاني ١ : ٨٩ و ٣٠٦

الى بادية الحجاز وضواحي مدنها

وكان عمر يتردد ايضاً الى بادية الحجاز ، والى اراضي بني عذرة بنوع خاص ، فقد كان له اصدقاء من العذريين كجميل ونصيب واي مسهر العذري وغيرهم ، وقد كان فيما يظهر من شعره يصف تتبّعه لبعض صاحباته في ضواحي هذه المدن الحجازية . بل قد كان له بين البدويّات صاحبات ذكر في اشعاره اخبار تسلّله الى خيامهن وسعيه وراءهن . وقد زعموا انه سعى مرة في ان يجمع بين شاب عذري وصاحبه ، فسار معه الى خيام اهل حبيته وطلب من ابيها ان يزوجهما حبيلها العذري ، فرفض ودفع عمر عن صاحبه هذا صداقها .^(١)

وكان لعمر ابنة اسمها امة الواحد دفعها الى هذيل الى بيت رجل منهم يكنى بابي خالد ، لتسترضع عندهم ، ثم سار مرة يطلبها وضلّ الطريق وكابد في مسيره مشقّات وهو يبحث عن بيت صاحبه هذا . وفي ذلك يقول :

لم تدروا ليفتر لها ربّها	ما كلفتنا امةً الواحد
جشمت الحول براذنتنا	نأل عن بيت ابني خالد
نأل عن شيخ ابني كاهل	اعيا خفاء نشدة الناشد ^(٢)

الى العراق

وقد كانت لعمر رحلات الى خارج الحجاز وباديته ، قام ببعضها الى العراق ، فزار الكوفة وزار البصرة .

اما عن زيارته الكوفة فقد رُوي في الاغانى ان عمر قدم اليها فتزل على عبدالله بن هلال الذي كان يقال له صاحب ابليس ، وكان لهذا قيتان حاذقتان في الغناء ، وكان عمر ياتيها فيسمع منهما . وقد قال في ذلك :

يا اهل بابل ما نفست عليكم	من عيشكم الا ثلاث خلال
ماء الفرات وطيب ليل بارد	وغناء مسمعين لابن هلال ^(٣)

(٢) الاصبهاني ١ : ٢٤

(١) الاصبهاني ١٠ : ٥٠-٥٢

(٣) " ١ : ٦٧

وقد ورد في عنوان هذين البيتين في احدى نسخ الديوان الخطية ما يشير الى انه نزل على محمد بن الحجاج بن يوسف حين أتى الكوفة^(١). وقد كان الحارث اخو عمر كما ذكرنا عاملاً لابن الزبير على العراق ، ثم نجي عن العراق ، وعُين مُصعب فابقاه مصعب على الكوفة ، ويذكر لنا الطبري انه كان للحارث دارٌ في الكوفة في حي التَّارِين وانها كانت معروفةً زمن الحجاج بن يوسف^(٢). ولسنا ندري تماماً متى كانت رحلة عمر الى الكوفة ، غير انه يظهر انها كانت بعد ولاية اخيه على العراق ، ولعلها في ولاية الحجاج . وكان في الكوفة مخزوميون ، وكان لهم مسجد معروف في زمن المختار^(٣).

واما زيارته للبصرة فقد وقعت على الراجح في خلافة معاوية ، والرواة يذكرون انه لما ضربته الثريا على ثنيتيه وكادتا ان تقلعا خاف ان تسقطا فقدم البصرة فعولجنا له فثبتتا واسودتا^(٤). ولسنا ندري هل اطال الاقامة فيها وهل قام بغير هذه الزيارة الى البصرة ام لا . غير انه يظهر من الرواية الاولى انه يعرف البصرة من قبل ، او على الاقل يعرف ان فيها مهرة بطبابة الاسنان ، فذلك قصدها حالاً خوفاً من ان تسقط ثنيتاه . وقد ذكر القالي في آماله في صدد ضبط اسم البصرة ان التوزي انشد لعمر ابن ابي ربيعة وكان عمر قد قدم البصرة واقام بها اياماً :

حبذا البصرة ارضاً في ليالٍ مقمرات^(٥)

وليس هنا ذكرٌ لسبب قدومه الى البصرة او اقامته فيها هذه المدة ، ولعل هذه الرحلة غير تلك ، ومهما يكن من امرها فان الظاهر من شعر عمر ان ايامه في البصرة كانت ايام هناء وهو كايامه في الكوفة .

وهناك في الاغاني ذكرٌ لرحلة قام بها عمر الى العراق دون تعيين بلدٍ خاص . روى انه بينما كان يطوف بالبيت اذ رأى امرأة من اهل العراق فاعجبه جمالها ، فشى معها حتى عرف موضعها ، ثم اتاها فحادثها وناشدها وانشدته وخطبها ، فقالت : ان هذا لا يصلح هنا ، ولكن ان جئتني الى بلدي وخطبتني الى اهلي تزوجتك . فلما ارتحلوا جاء الى صديق له

(١) شوارذ ٦ : ١٦ وراجع شرح اخبار الفصائد في الديوان نشر المذكور تحت رقم ٢٠٢

(٢) الطبري ٢ : ٣٤١-٣٥٠

(٣) الطبري ٢ : ٢٩٠

(٤) القالي ٣ : ٢١ ويروى هذا البيت في ياقوت

(٥) الاصبهاني ١ : ٩١

٣ : ٦٤١ باختلاف يسير لشاعر آخر

من بني سهم وقال له : ان لي اليك حاجة ، اريد ان تساعدني عليها . فقال له : نعم !
 فاخذ بيده ولم يذكر له ما هي ، ثم اتى منزله فركب نجيباً له واركبه نجيباً ، واخذ معه
 ما يصلحه ، وسارا لا يشك السهمي في انه يريد سفر يوم او يومين ، فما زال يحفد حتى لحق
 بالرفقة ، ثم سار يسيرهم يحدث المرأة طول طريقه ويسايرها وينزل عندها اذا نزلت حتى ورد
 العراق ، فاقام اياماً ، ثم راسلها يتنجزها وعدها ، فاعلمته انها كانت متزوجة ابن عم لها
 ولدت منه اولاداً ثم مات واوصى بهم وبماله اليها ما لم تتزوج ، وانها تخاف فرقة اولادها
 وزوال النعمة ، وبعثت اليه بخمسة الاف درهم واعتذرت ، فردها عليها ورحل الى مكة .^(١)
 وله رحلة أخرى الى العراق قام بها لاجل عراقية اسمها سبيعة من ولد عبد الرحمن ابن
 ابي بكرة ، وكانت فيما يظهر من اخبار ابي الفرج من اجل النساء ، فابصرها عمر ، فلما
 انحدرت الى العراق اتبعها يشيعها حتى بلغ معها موضعاً يقال له الخورنق ،^(٢) فقالت له :
 لو بلغت الى اهلي وخطبتي لزوجك ، فقال لها : ما كنت لاخلط تشيعي اياك بخطبة ،
 ولكن ارجع ثم آتيكم خاطباً . فرجع ومرت بالمدينة فقال فيها :

من البكرات عراقية تسمى سبيعة اطربها
 ومن حبها زرت اهل العراق واسخطت اهلي وارضيها
 اموت اذا شحطت دارها واحيا اذا انا لاقيتها
 فاقسم لو ان ما لي جا وكنت الطيب لدويتها

وعرض شعره على جميلة المغنية فصنعت فيه صوتاً ، ثم وجه الى بعض موالياته ممن كانت
 تطلب الغناء ان تأتي جميلة وتأخذ الصوت منها ، فطارحتها اياه اياماً ، حتى حذقته ومهرت
 به ، فاخرجها عمر الى سبيعة لتغنيها شعره فيها ، وارسل معها رسالة لها ، فعادت الى عمر تنبئه
 بعزم سبيعة على الحج في تلك السنة .^(٣)

ويظهر انه رغم التقاء عمر بها مرة ثانية فانه لم يبحث معها في امر الزواج . وهكذا
 فقد انتقم لنفسه - ربما دون قصد - من العراقيات ، فقد خيبت امله الاولى غيب امل
 الثانية .

وحجّت بنت لمحمد بن الاشعث ، وكانت معها امها ، وسمعت الفتاة بعمر ابن ابي ربيعة

(٢) في ياقوت ٢ : ٤٩٠ الخورنق موضع بالكوفة

(١) الاصبهاني ١ : ٧١

(٣) الاصبهاني ٢ : ١٤١ وراجع ابن ابي ربيعة (ع) ١١٢

فارسلت اليه ، فجاءها ، وكانت لما جاءها ارسلت بينها وبينه سترأ رقيقاً تراه من ورائه
ولا يراها ، فجعل يحدثها حتى استنشده ، فانشدها :

تنط غداً دار جيراتنا وللدأر بعد غداً بعد

فاستخفها الشعر ، فرفعت السجف فرأى وجهاً حسناً في جسم ناضج ، فخطبها وارسل
الى امها بنحسمة دينار ، فابت وحجته ، وقالت للرسول : تعود اليانا . فكان الفتاة
غتمها ذلك فقالت لها امها : قد قتلك الوجد به فتزوجيه ! قالت : لا والله لا يتحدث اهل
العراق خلني اني جئت ابن ابي ربيعة اخطبه ، ولكن ان اتاني الى العراق تزوجته . ويقال
انها راسلته ووعدته ان تزوره ، فاجمر بيته واعطى المشرمة دينار ، فاتته ووعدته اذا
صدر الناس ان يشيعها ، وجعلت علامة ما بينهما ان ياتيها رسوله ينشدها ناقة له ضلت ، فلما
صدر الناس فعل ذلك عمر وشيعها ونظم شعراً وفيه يعدها بانه سيزورها في العراق وكثيراً
ما كان يعد صاحباته مثل هذا الوعد . قال :

عجباً لموقفنا وموقفها	وبسع تربيتها تراجعا
ومقالها سر ليلة معنا	نهد فان البين فاجعا
قلت العيون كثيرة معكم	واظن ان السير مانعا
لا بل تزورك بارضكم	فيطاع قائلكم وشافعا
قالت أشي؟ انت فاعله	هذا لعمر ك ام تخادعا
بالله حدث ما تؤمله	واصدق فان الصدق واسعا
اضرب لنا اجلأ نعد له	اخلاف موعدة تقاطعنا ^١

ولقد مر معنا انه لما قتل مصعب امرأة المختار رآها عمر وجزع لمقتلها . وهذا ان صح
فهو يشير الى ان عمر كان في العراق في أوّل ولاية مصعب .

الى سورية

ولعمر رحلات الى سورية أشار الاصبهاني الى واحدة منها ذكر فيها التقاء عمر بزعيم
الشعراء العذريين جميل بن معمر : قال خرج عمر يريد الشام ، فلما كان بالجانب لقيه جميل .

ويذهب ابو الفرج الى انها تناشدا الاشعار فاستخذى جميل حين سمع شعر عمر الذي يقول فيه :

وقرّين اسباب الهوى لمتيم يقيس ذراعاً كلما قسن اصبعاً

وقال : الا ان النسيب اخذ من هذا . وما انشد بعد ذلك حرفاً .^(١) وقد ذكر ابو الفرج ايضاً ان عمر زار بثينة صاحبة جميل وتحدثا قليلاً وانصرف . وأشار غير الاصبهاني الى ابيات من شعر قاله عمر في سفره الى الشام دون تعليق او شرح يحلو شيئاً من غوامض هذه الرحلات .

اما ديوان عمر فيحفظ لنا قصائد ثلاث فيها وصف لسفره الى فلسطين والشام ، وقد عدت بعض ابياتها في نظر مصعب الزبيري من الشعر الذي امتاز عمر فيه وفاق نظراءه :

قلت سيرا ولا تقيا بصرى وحفير فما احب حفيرا
فاذا ما مررتما بحفير فاقلاً جا الثواء وسيرا
انما قصرنا وان حسر السير م بغيراً ان نستفيد بغيراً^(٢)

والقصيدة في ستة عشر بيتاً يذكر عمر فيها اشفاق صاحبه عليه ساعة ودعها وودعته ودعاه الى الله ان يرجع سالماً مأجوراً :

وتذكرت قولها لي لدى الميل م وكفت دموعها ان تمورا
اسأل الله عالم الغيب ان تر م جمع يا حب سالماً مأجوراً

ويظهر من هذه القصيدة ايضاً انه قالها عند رجوعه ماراً بهذه المواضع التي ذكرها ، وانه يتشوق الى لقاء احبابه فهو لذلك يُغذُّ السير ويتعب المطايا ، وماذا عليه ان حسرهما السير ؟ إنه لمستبدلها بغيرها :

يا خليلي هجرا فحجيرا ثم روحا واحكماً لي المسيرا
يا خليلي ما تشيران اني فاعل ما امرتاً فاشيرا
ضربا الامر ساعة ثم قالاً قد رضيتك ما اصطحبنا اميرا
ان خطباً علي حقاً يسيرا ان ارى منكماً بغيراً حسيرا
انما قصرنا وان حسر السير م بغيراً ان نستفيد بغيراً

(٢) الاصبهاني ٢ : ٦١ وابن ابي ربيعة (ش) ق ٢٢

(١) الاصبهاني ٢ : ١٠٤

ولنلاحظ في هذه القصيدة دعاء جبيته له في ان يرجع سالماً مأجوراً . وأي أجر هناك ان لم يكن عمر في طريقه الى حرب ؟ وهل تطلب له صاحبته السلامة دون ان يكون هناك خطر ؟

ولكن اي حرب هناك ؟ لقد استولى العرب على هذه الاقطار الشامية قبل ان يولد عمر ، ولم يكن من الطبيعي ان ياتي عمر وصحبه مدداً للامويين في حروبهم مع الروم في الشمال . ناهيك بان عمر في قصيدته هذه لم يتعدّ وصف بلاد حوران وشرقي الاردن . لم يكن من الطبيعي ان ياتي مخزومي من اقرباء ابن الزبير لنجدة الامويين في حروب الشمال ، ولم يتعدّ وصف عمر اراضي سورية الجنوبية ، فاذا كانت هناك حرب في فلسطين او شرقي الاردن او حدود الشام ، فيجب ان تكون اذاً بين العرب انفسهم ، ويجب ان يكون عمر فيها خصماً للامويين لا سنداً . والواقع ان اكثر المخزوميين كانوا خصوماً للامويين . ولندكر ان اخاه عبد الرحمن كان في وقعة الحرّة أحد الزعماء في الدفاع عن المدينة . وان الكثيرين من اقارب عمر واصحابه قد نكبوا وقتلوا في تلك الوقعة وان عبد الرحمن هذا نجاة فاته بعدها . ولندكر ايضاً ان عمر رثى موتي البقيع ، وقال شعراً آخر رجحنا انه في قتلى الحرّة يصف فيه ما عاينه من الهول الذي يشيب .

ونحن نعلم ايضاً كيف ان جيوش الشام سارت الى مكة تحارب الزبيريين في عقر دارهم ، وكيف حوضر عبدالله وضيق عليه الخناق ، حتى اذا اتى الخبر بوفاة يزيد وابنه بعده ، انفرجت الازمة وتنفس الزبيريون وحلفاؤهم الصعداء . وهوذا القوم في الشام يختلفون في من يبايعون بعد موت يزيد ، وهوذا الضحّاك بن قيس يعلن ولائه لابن الزبير ، فيميل اليه جماعة من قيس ، ويعدّه النعمان بن بشير الانصاري من حمص بجماعة من رجاله ، ويأتيه زفر بن الحارث مع نفر من اعوانه ، وهوذا السيف يحكم في مرج راهط بين الامويين ومن والاهم من قبائل كلب وغيرها وبين الضحّاك وجماعته ، وغلب الضحّاك على امره ، وقتل ، وتشتت جماعته ، ولكن التاريخ لم يذكر انه كان بينهم نجدة من الحجاز ، بل لم يكن هناك متسع من الوقت لابن الزبير ان يرسل مدداً للضحّاك . وهنا ذاعت الأخبار فبلغت الحجاز ، فتهبّ ابن الزبير للامر ، وكان مروان بالوقت نفسه قد سار الى مصر فاخضعها ، واستخلصها لنفسه من عاملها الذي كان يدعو الى ابن الزبير ، وعيّن عليها اميراً من قبله ، ثم اقبل عائداً نحو دمشق ، حتى اذا دنا منها بلغه ان ابن الزبير قد بعث اخاه مصعباً نحو فلسطين ، فسرّح اليه مروان جيشاً يقوده عمرو بن سعيد بن العاص ، واستقبل عمرو مصعباً

وجماسته قبل ان يدخل الشام وقاتله فهزم اصحاب مصعب بعد عراك عنيف .^(١) فاذا كان عمر قد سار حقاً الى حرب ، وفي فلسطين ، فالتألب انه كان مع نسييه مصعب ، وها هو في شعره يصف ما عاناه عند رجوعه مسرعاً متشوقاً الى الحبيب الذي دعا له ان يرجع سالماً مأجوراً . ولقد يبدو غريباً للبعض ان يكون عمر قد جدّ مثل هذا الجدّ في حياته ، ولكن الذي يتصفح ديوانه يرى فيه ما يغير هذا الاعتقاد . وهو القائل :

كُتِبَ القتل والقتال علينا وعلى الغنايات جرّ الذبول

ولنذكر ان اخويه الحارث وعبد الرحمن اشتركا في المعارك والحروب في المدينة وفي العراق .

اما قصيدة عمر الثانية في وصف سفره الى الشام فهي بائنة يذكر فيها محبوبة كناها بام زيد ، وأشار الى ان خيالها الم به وهو في عمان فيقول :

ذكر القلب ذكرة ام زيد والمطايا بالسهب سهب الركاب
فاستجن الفؤاد شوقاً وهاج الشوق حزناً لفلبك المطراب
وبذي الاثل من دوين تبوك ارقنا ولية الاحزاب
وبعمّان طاف منها خيال قلت اهلاً بطيفها المتاب
هجرته وقرته لوعده وتجنّ لحجرتي واجتاني^(٢)

واما قصيدته الثالثة فدالية يذكر فيها وجده من حبّ فتاة من بني سعد في مكة وهو بعيد عنها في فلسطين :

يا صاحبيّ تصدعت كبدي اشكو الغداة اليكما وجدي
من حبّ جارية كلفت جما حلّت بمكة في بني سعد
حلّت بمكة والنوى قذف هيات مكة من قري لدّ
لا دارها داري فتسعتني هذا لعمر من شقا جدّي
والله لا انسى مقاتلها حتى اضمن ميتاً لحدي
ووداعها يوم الرحيل وقد زم المطي لينهم تحدي
والعين واكفة وقد خضت مما تفيض عوارض الحدّ
اذهب فديتك غير مبتعد لا كان هذا آخر العهد^(٣)

(٢) ابن أبي ربيعة (ع) ٤٩

(١) الطبري ٢ : ٤٨١

(٣) ابن أبي ربيعة (ش) ق ١٥٧

وظاهر من هذه الايات انها تكاد تتفق بالمعنى مع ايات القصيدة الاولى حيث يذكر وداع حبيبته له وبكائها على فراقه ودعاءها الى الله ان يرجع سالماً وان لا تكون ساعة الوداع تلك آخر عهد بينه وبينها .

وفي الاغاني اشارة الى رحلة لا علاقة لها بما ذكرنا من الرحلات قام بها عمر الى ضواحي الشام وراء فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، ويقص راوي الخبر كيف تعرف عمر الى فاطمة بالحجاز ، فيروي رواية هي اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة ، ثم يذكر كيف ان عمر تبعها بعد حجها لا يحاط موكبها حتى اذا صاروا على اميال من دمشق انصرف .^(١) وقد سبق الجاحظ فذكر رواية مثل هذه عن عمر و اشار الى ان القصة هي رملة اخت عبد الملك بن مروان ، غير انه اشفق على عمر فلم يرجعه خائباً بل ذكر ان عبد الملك خرج للقاء اخته فابصر مضرب عمر فبعث وراءه وزوجه اخته .^(٢)

الى اليمن

ومع ان اليمن هي موطن امه كما رجحنا ، ومع ان اياه كان عاملاً في الجند وكان لبيتهم علاقات تجارية مع اليمن وارض فيها فاننا لم نرَ فيما بقي من اخباره ذكراً لرحلات كثيرة له الى تلك البلاد ، وكل ما في كتب الاخبار من هذا القليل روايتان لم يكن الدافع الى السفر - فيما يظهر منهما - رغبة خاصة في نفس عمر ، بل كان هناك عامل خارجي ايضاً . فقد روى ابو الفرج ان الحارث ابن ابي ربيعة اخا عمر كان ينهى عمر عن قول الشعر فيأبى ان يقبل منه ، فاعطاه الف دينار على ان لا يقول شعراً ، فاخذ المال وخرج الى اخواله بلحج وابين مخافة ان يبيحه مقامه بمكة على قول الشعر .^(٣) ويروون انه طرب يوماً وهو في اليمن فقال قصيدته المشهورة :

هيات من امة الوهاب مترلنا اذا حللتا بسيف البحر من عدن

قالوا : فسارت القصيدة حتى سمعها اخوه الحارث ، فقال : هذا والله شعر عمر قد قتلك وغدر .^(٤)

(٢) الجاحظ (م) ٣٤٢-٣٤٧

(٣) الاصبهاني ١ : ٤٩

(١) الاصبهاني ١ : ٢٦-٢٨

(٣) " ١ : ٤٩

اما الرواية الثانية فتذكر ان عمر ابن ابي ربيعة كان قد اُخ على الثريا بالموى فشق ذلك على اهلها ، ثم ان مسعدة بن عمرو اخرج عمر الى اليمن في امر عرض له ، وزوجت الثريا وهو غائب من رجل اسمه سهيل بن عبد الرحمن الزهري ، فبلغه تزويجها وخروجها الى مصر فقال :

ايما المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل ياتي

وعاد الى المدينة ، ويقال انه كتب اليها من هناك وكتبت اليه .^(١)
ويعلق ابو الفرج على هذا الخبر بعبارة تظهر شكه فيه ، قال : وهذا الخبر عندي مصنوع وشعره مضطرب يدل على ذلك . ولعل الذي حدا بأبي الفرج ان يشك في هذا الخبر هو جواب الثريا لعمر ، وقد وُضع شعراً . ولا نستطيع الآن قبوله وقد رفضه ابو الفرج ، انما لا نرى مانعاً من ان يكون القسم الاول من الرواية قد وقع حقاً ، يعني خروج عمر الى اليمن في امر عرض لمسعدة بن عمرو المذكور .
وقد يجوز انه لما اخذ عمر المال من اخيه فكر في تجارة يقوم بها فعزم على السفر الى اليمن حيث كان اخواله وحيث تجارة ابيه وعلاقاته ، فاتفق عزمه على السفر مع الغرض الذي كان يقصده مسعدة بن عمرو من اخراجه الى اليمن ، فاسافر . ومهما يكن من الامر فالذي يظهر من شعره ان غرضه من السفر تجاري . قال في قصيدته :

ما انسَ لا انسَ يوم الحيف موقفاً وموقفي وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو سنن
بالله قولي له في غير معتبة ماذا اردت بطول المكث في يمن
ان كنت حاولت دنيا او رضيت بها فما اخذت بترك الحج من ثمن^(٢)

وفي شعر عمر اشارة الى مكثه باليمن مدة طويلة قضى معظمها او قسماً كبيراً منها على الاقل يعالج مرضاً يظهر من وصفه انه البرداء (الملاريا) وقد استمر هذا المرض يعاوده ثلاث سنين . قال :

ارقت ولم يُمسِر الذي اشتبه قريبا وحملت من اسماء اذ ترحت نصبا
لعمرك ما جاوزت غمدان طائفاً وقصر شعوب ان اكون بها صباً

(٢) الاصبهانى ١ : ٤٩ وابن ابي ربيعة (ش) ق ١٣٦

(١) الاصبهانى ١ : ٩٣

ولكن حمى اضرعتني ثلاثة^١ مجرمة ثم استمرت بنا غياً^٢

ولعله يشير الى مرضه هذا في شعره الذي يقول فيه :

سقى سدرتي اجياد فالدومة التي الى الدار صوب الساكب المتهلل
هنالك لو اني مرضت لعادني كرام ومن لا يأت منه^٣ يرسل^٤

ويصعب علينا ان نتصور ان علاقة بيت ابيه التجارية باليمن قد انقطعت بعد موته ، وكنا نتظر ان نسمع اخباراً عن حياة عمر التجارية واثراها في اليمن ، ولكن ليس في كل شعره ما يشير الى هذه الناحية سوى الايات التي ذكرناها عند اشارتنا الى رحلته الى اليمن . ولسنا نعلم الزمن الذي قام فيه بكل من هذه الرحلات المختلفة في الحجاز او خارج الحجاز . ولعل رحلته الى اليمن كانت من اوليات رحلاته الى خارج الحجاز ، فقد ذكر في شعره فيها وقتذاك الثرياً التي احبها وشبب بها في خلافة معاوية .^٥

وقل مثل هذا في رحلته الى البصرة لمعالجة ثنيتيه اللتين كادت ان تقلا حين ضربته الثرياً . والغريب ان عمر لا يذكر في شعره في هذه الرحلات الطويلة ما ينفعا جغرافياً او علمياً ، ولا هو يشير الى وصف المواضع التي مر بها او شاهدها ، ولا يذكر الا بعضها ، ولا هو يلتفت الى وصف البراري التي اجتازها او وصف ما يمكن ان يكون قد رآه فيها او تحيّل ، وقلمنا كان يعنى في ذكر ما كان يحدث له ، الا اذا كان خاطر شوق الى محبوبته ، وكان اذا ذكر تعبها او اشار الى هذه الرحلة في جسمه فذاك لكي يظهر بعد المكان عن الحبيب وينتقل الى مبتغاه وقصده - الحب والحبيب -

يا صاحبي تصدعت كبدي اشكو الغداة اليكما وجدي
من حب جارية كلفت جا حلت بمكة في بني سعد
حلت بمكة والنوى قذف هبها مكة من قري لد^٦

وقال :

وتنوفة ارمي بنفسي عرضها شوقاً اليك بلا هداية هادي^٧

اما شعره في تنقلاته بارض الحجاز وفي ضواحي مدنها فانه لم يهمل فيه ذكر كثير من المواضع ووصفها ، ولكنه وصف مختصر لا يروي غليلاً .

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٥٥ و (ش) ق ٢٣٥

(٤) " " ١٥١

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٧٩

(٣) الاصمعي ١ : ٨٥

(٥) ابن ابي ربيعة (ع) ١٧١

عمر والخلفاء

قال سليمان بن عبد الملك لعمر :
ما يمنعك من مدحنا ؟ قال :
اني لا امدح الرجال انما امدح النساء .

لقد مرّ معنا في الجزء الاول من هذا الكتاب ما كان من عناية خلفاء بني امية بامر الشعر ، وحبهم له ، ونشأة بعضهم على قرضه ، وعطف اكثرهم على اصحابه ، ورعايتهم لهم ، واحسانهم اليهم بالعطاء والهدايا ، وتألفهم اياهم بحيث يستميلونهم للدفاع عن سياستهم ، والتفاتهم اليهم والى ما كانوا يقولون حتى زعم الرواة ان عبد الملك كان يقول : انه ما من شاعر الا وقد سبق الينا من شعره قبل رؤيته .^(١) فكان من الطبيعي ، والحالة هذه ، ان يكون لصاحبنا نصيب من هذا الالتفات ، غير ان هناك امرأ يجب الانتباه اليه ، ذلك ان عمر لم يكن كغيره من الشعراء مستجدياً او راغباً في عطاء بل كان ابن ثروة وشرف جعله في غنى عن مدح الملوك واستجداء اكفهم للنوال . ثمّ لقد انقطع عمر او كاد الى شيء خاص - الى مدح النساء - بحيث قصر اكثر شعره عليهن ولم يشأ ان يتعداه الى غيرهن ، والرواة يزعمون ان سليمان بن عبد الملك قال لعمر : ما يمنعك من مدحنا ؟ قال : اني لا امدح الرجال انما امدح النساء .^(٢) اصف الى هذا ان عمر كان يميل الى آل الزبير حيث كان هوى اكثر رجال عشيرته بني مخزوم . وكان ابنا عبد الله ابن ابي ربيعة بنوع خاض اقرب المقربين الى آل الزبير ، وكان الحارث اخو عمر كما يتّناً من قبل عاملاً للزبيرين على العراق ، واتصلت اواصر القرابة بين هذين البيتين فكان عبد الرحمن أخوه الآخر عديلاً للزبير نفسه ، اي زوجاً لحالة عبد الله بن الزبير (ام كلثوم) ، واشتدت هذه الاواصر وثوقاً حين زوج عمر ابنته « امة الحميد » من محمد بن مصعب بن الزبير .^(٣) فكان على عمر بحكم هذه القرابة ان يظلّ بعيداً عن الاتصال بالخلفاء او الامراء من بني امية .

(٢) الاصبهاني ١ : ٢٥

(١) ابن قتيبة (ش) ٤٦٠

(٣) الاصبهاني ١ : ٦٨ وانظر الاصبهاني « د » ١ : ٦٥

ونستعرض كتب الادب والتاريخ فنجد اخباراً كثيرة عن وفود عمر على الخلفاء والتفات بعضهم اليه وانصراف البعض الآخر عنه . بل هناك من نسب اليه علاقات قري مع نفرٍ منهم لا نستطيع تصديقها الآن . وزى ان اكثر اخباره مع الخلفاء ملققة ومن اليسير اظهار بطلانها . فمن هذه الروايات ان مرواناً زوج من احدى بنات عمر^(١) وليس هناك سوى نص واحد يشير الى هذا ، وليس من الامر الذي يسهل قبوله ان يكون عمر قد زوج بنتاً لابن مصعب بن الزبير وأخرى الى خصم آل الزبير (مروان بن الحكم) ولندكر ان مرواناً كان شيخاً حين كان عمر في اواخر شبابه وقد مات مروان قبل ان يكون لعمر بنت فوق العشرين من عمرها .

ولقد زعم راوي الخبر ان بنت عمر هذه ولدت لمروان ام عمرو ، وقد كانت ام عمرو هذه كما نعلم من اخبار عمر وشعره احدى صاحباته ، وعلى هذا يكون عمر قد احب حفيدته ، وهذا منتهى السخف والحلظ عند الرواة . والظاهر ان كنية عمر في هذا النص محرقة عن كنية أخرى لرجل آخر^(٢) .

ومن هذه الروايات ان عمر زوج من رملة اخت عبد الملك ، ولقد تفرّد الجاحظ بذكر هذا الخبر ، وسنعرض له عند بحثنا عن ازواج عمر . وهناك اخبار تشير الى وفوده على عبد الملك وعلى سليمان بن عبد الملك وعلى عمر بن عبد العزيز وهم خلفاء ، وليس من شك ان اكثرها مختلق ، الا اذا فرضنا ان التقاء ببعض هؤلاء كان قبل ان يستخلفوا .

ونستعرض اخبار عمر مع الخلفاء فلا نرى انه وفد او اجتمع الى معاوية ، ولا الى يزيد ابنه ، غير ان الأخير فيما يزعمون تمثل مرة بشعر لعمر . قالوا : استعرض جيشه الذي سيّره الى المدينة بقيادة مسلم بن عقبة فرأى احدهم يحمل ترساً خرقاً ، فقال له : يا اخا اهل الشام ، مجنّ ابن ابي ربيعة خير من مجنّك . يشير الى قول عمر في رائيته المشهورة :

فكان مجنّي دون من كنت اتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر^(٣)

ومن الغريب الا يكون هناك خبر اتصال او شبهه بين عمر ويزيد في كتب المؤرخين والادباء . وقد كان عمر قبل وفاة يزيد قد احرز شهرته كشاعر غزلي ، وكان يزيد مغرمّاً بالشعر والغناء ، ولم يكن بينهما اختلاف بين في السن ، فقد ولد يزيد قبل مولد عمر بنحو

(٢) يذكر البلاذري (١) : ١٦٤ ان مرواناً

(١) الاصبهاني ٦ : ١١٣

تزوج من زينب بنت عمر ابن ابي سلمة المخزومي (٣) المبرّد ١ : ٢٨٥ وابن عبدربه ٣ : ١٧٧

سنتين فقط ، وزار الحجاز مرة او مرتين حول سنة ٥١ للهجرة وهو في حدود الثلاثين حاجاً بالناس .^(١) ولم يكن بعد قد ظهر الخلاف او اشتد بين آل الزبير وبني امية . نقول من الغريب ان لا يتصل عمر يزيد وهما على مشرب واحد ، وفي سن واحدة ، وقد هيات لهم ظروف الحج ان يجتمعا ، وكان كلاهما صديقاً لعبد الله بن جعفر . ومن يدري فلعل هناك اموراً خاصة منعت مثل هذا اللقاء ، او لعل هذه الاخبار التي تروى عن عمر ويزيد ابن عبد الملك قد وقعت لعمر مع يزيد بن معاوية وليس مع يزيد بن عبد الملك إذ ان هناك ادلة تنفي وقوعها مع الخليفة يزيد بن عبد الملك كما سيحيي بعد حين .

واما خلافة معاوية بن يزيد فقد كانت قصيرة ، ولم نسمع خبراً عن علاقة بينه وبين عمر ، وكذلك لا نرى اشارة الى اتصال عمر بمروان . ولعل هذا يؤيد ما ذهبنا اليه من انكار خبر المصاهرة بينهما .

واما عبد الملك بن مروان وابنه الوليد فهما في عرف الرواة اكثر الخلفاء اتصالاً بعمر . ويجب ان نلاحظ هنا ان هذه الصلة لم تعرف الا بعد زوال الفتن بين آل الزبير وآل مروان ، وبعد ان استطاع عبد الملك ان يقهر خصومه ، ويغلبهم على ملكهم في العراق والحجاز ، ويقتل زعيم المعارضة مصعباً واخاه عبد الله .

ولقد حاول عبد الملك ان يتألف قلوب الحجازيين حتى اشيع آل الزبير ، والرواة يذكرون لنا انه صفح عن اكثرهم ، واستطاع ان يفوز بمدح بعض الشعراء منهم . فقد كان عبيد الله بن قيس الرقيأت شاعرٌ مصعب طريد عبد الملك فلاذ بعبد الله بن جعفر مستشفعاً به ، واستطاع عبد الله ان ينال له العفو من عبد الملك . فقال عبيد الله بن قيس :

ما تقموا من بني امية الا م اضم يملعون ان غضبوا
واضم معدن الملوك فلا تصالح الا عليهم العرب^(٢)

والرواة يذكرون لنا ان عبد الملك ادنى الحارث ابن ابي ربيعة اليه بعد ان تغلب على ابن الزبير ، واظهر اعجابه به .^(٣) ولما حج عام ٧٤ للهجرة كان معه الحارث وتحادثا في امر الكعبة وهدم ابن الزبير لها واصلاحها ونقض الحجاج لما فعله ابن الزبير ، فلام الحارث الحجاج ، وصوب ما فعله ابن الزبير ، واستشهد بحديث سمعه عن عائشة . قالوا : فاقنع

(٢) ابن قتيبة (ش) ٣٤٤

(١) الطبري ٢ : ١٥٦

(٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٤

عبد الملك وقال : وددت والله اني تركت ابن الزبير وما تحمّل من ذلك .^(١) هذا وقد كان عبيد الله بن قيس والحارث من انصار آل الزبير ومن ساهموا في الدفاع عن سلطتهم والتعرض لحصومهم ، فكيف باولئك الذين لم تعرف عنهم خصومة للبيت الاموي بمثل هذه الشدة . واذاً فليس غريباً ان يكون عمر قد التقى بعبد الملك او وفد عليه حين كان الخليفة يزور الحجاز في موسم الحج .

ولقد روى ابو الفرج الاصبهاني ان عمر وفد على عبد الملك ،^(٢) فأدخل عليه ، فسأله عن نسبه ، فانتسب له ، فقال عبد الملك :

لا انعم الله بعبين عينا تحية السخط اذا التقينا

أأنت لا ام لك القائل :

نظرت اليها بالمحصب من منى	ولي نظر لولا التخرج عازم
فقلت أشمس ام مصايح يعة	بدت لك خلف السجف ام انت حام
بعيدة مهوى القرط اماً لتوفل	ابوعا واما عبد شمس وهاشم
ورد عليها السجف حين لقيتها	على عجل تباعها والحوادم

قاتلك الله ما الأملك ! اما كانت لك في بنات العرب مندوحة عن بنات عمك ؟ فقال عمر : بنست والله هذه التحية يا امير المؤمنين لابن العم على شحط الدار وتناثي المزار . ثم ينتهي الحديث في ان يعد عمر عبد الملك انه يتوب ويرتدع ، فيقبل عبد الملك توبته ، ثم يسأله ان يقص عليه خبر منازعته الفضل اللهي في المسجد الجامع ، وخذلانه امامه ، فيقصها عمر ، ويضحك عبد الملك ويرضى ويسأل عمر ان يرفع حوائجه ، فيرفعها ، ويقضيها عبد الملك ويحسن جازته .^(٣) وهناك مجال كبير للشك في هذه الرواية ، لا سيما القسم الاخير منها وسنعرض لذلك في غير هذا الموضع . وقد اورد المرزباني خبر هذه الوفاة دون ان يذكر قصة المنازعة ، وزاد عليها في ان عمر لقي عبد الملك بالمدينة لمّا حج ، وأشار الى ان عبد الملك استجيا من عتاب عمر وقضى حوائجه .^(٤) وكذلك ذكر ابن قتيبة ان هذا اللقاء وقع عام حج عبد الملك ، ولم يشر الى ان عبد الملك وصل عمر بآل .^(٥) امّا الحصري فقد

(٢) لم يشر ابو الفرج الى سنة الوفاة او الى موضعها

(٤) المرزباني ٢٠٣

(١) النهروالي ٣ : ٨٤

(٣) الاصبهاني ١٥ : ٧-٩

(٥) ابن قتيبة (ش) ٢٥١

روى ان عمر أجاب عبد الملك حين روى له عبد الملك شعره بقوله : ان بعد هذا يا امير المؤمنين :

طلبن الهوى حتى اذا ما وجدته صدرن وهن المسلمات الكرائم

فاستحيا منه عبد الملك وقضى حوائجه ووصله .^(١)

وأشار ابو الفرج الى لقاء آخر جرى بين عبد الملك وعمر قال فيه عبد الملك لعمر : أنت القائل :

أأترك ليلي ليس يني وبينها سوى ليلة ، اني اذا لصبور ؟

قال : نعم ! قال : فبئس الحب انت ! تركتها وبينك وبينها غدوة . قال : يا امير المؤمنين انما من غدوات سليمان ، غدوها شهر ، ورواحها شهر .^(٢) فضحك عبد الملك . ويروي ابو علي القالي ان عمر وكثيراً وجميلاً اجتمعوا بباب عبد الملك ، فاذن لهم ، فدخلوا ، فاستنشدهم ارق ما قالوا في الغواني ، فانشد كل واحد ثلاثة ابيات . وكان آخرهم انشاداً عمر ، فقال في آخر بيت من ابياته :

الا ليت ام الفضل كانت قريني هنا او هنا في جنّة او جهنّم

فقال عبد الملك لحاجبه : اعط كل واحد منهم الفين ، واعط صاحب جهنم عشرة آلاف .^(٣) ولسنا نطمئن الى هذه الرواية كثيراً لما يبدو عليها من مسحة الصنعة والتكلف . وهناك رواية رواها الجاحظ سرد فيها ان عمر خرج وراء رملة اخت عبد الملك حين رجوعها من الحج حتى صار قريباً من الشام . وهنا يخرج عبد الملك ليلاقي اخته ، فيرى عمر ، ويعرض عليه ان يزوجه من رملة ، فيبتهج عمر ، ويجمع عبد الملك بين الاثنين ، وتصبح رملة زوجاً لعمر ، فيقول :

لعمرى لقد نلت الذي كنت ارجي واصبحت لا اخشى الذي كنت احذر
فليس كمثلي اليوم كسرى وهرمز ولا الملك النعمان مثلي وقيصر^(٤)

والرواية هذه في نظرنا اقرب الى روايات الف ليلة وليلة منها الى الحقيقة . والروح

(١) الاصبهاني ١٨ : ١٢٢

(٢) الجاحظ (م) ٢٤٢-٢٤٧

(١) الخصري ١ : ١٢٠

(٣) القالي ٣ : ٦٨-٦٩

المسيطر فيها هي روح الدعابة والمجون التي عرفت في كتب اخبار العصر العباسي . وراويها الكلبي وهو غير ثقة عند النقاد المحققين . وسنعرض لهذه القصة في موضع آخر . ولعل هذا كل ما بين ايدينا من اخبار عمر مع عبد الملك ، وهو كما يتبين امرئيسير قد يرد - بعد حذف ما لم نقله - الى اجتماعين لعلهما وقعا عام ٧٤ او ٧٥ للهجرة وهو العام الذي ذكروا فيه حجة لعبد الملك .^(١)

اما اخبار اتصال عمر بالوليد بن عبد الملك فهي اكثر وضوحاً . فهناك لقاءان وكلاهما في الحجاز ايام الحج . اما اللقاء الاول فالرواية فيه تذهب الى ان الوليد سأل عن خير بامور الطائف فدل على عمر ، فرفضه ، ثم سأل ثانية وثالثة فلم يذكرها له غير عمر ، فارسل وراءه واستصحبه معه من مكة الى الطائف ، ورجعا معاً .^(٢) ويذهب بعض الرواة انه استأذن الوليد بعد ذلك في استحضار الغريض مغنيته ، وان هذا غنى الخليفة شيئاً من شعر عمر ، فسر الوليد وقال : يا عمر هذه رقيتك ا ووصله وكساه وقضى حوائجه .^(٣) ولعل هذا اللقاء وقع سنة ٧٨ للهجرة وهي السنة التي ذكر الطبري فيها حجة للوليد .^(٤) واما اللقاء الثاني فغيره ان عمر حج وهو شيخ ، فلما انصرف الفى الوليد وقد فُرش له على ظهر الكعبة ، فجاءه وسلم عليه وجلس معه ، فقال له : انشدني شيئاً من شعرك . فاعتذر عمر وقال : انا صرت شيخاً كبيراً ، وقد تركت الشعر ، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد ويحفظان كل ما قلته من الاشعار ، واني اهديهما لك . فقال الوليد : اتني بهما ا فأتي بهما ، وانشداه رائية عمر وغيرها ، فاجزل الوليد صلة عمر ورد الغلامين اليه .^(٥) ولا نسمع بعد هذا سوى خبر وفود الثريا على الوليد في دمشق وسؤاله اياه عن شعر لعمر وترجيحها عليه .^(٦) وحج سليمان بن عبد الملك ، فلما قدم مكة ارسل فيا يزعمون وراء عمر ابن ابي ربيعة فقال له : أأنت القائل :

وكم من قتل لا يباء به دم ومن غلق رهناً اذا ضمه مني
وكم مالى عينه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمي
فلم أر كالتجوير منظر ناظر ولا كليلي الحج افلن ذا هوى

(١) الطبري ٢ : ٨٥٦ و ٨٨١ والاصباهي ٢ : ٥٢ والنهر والي ٣ : ٨٤

(٢) الاصباهي ١ : ٥٠ (٣) الاصباهي ٢ : ١٤٥-١٤٦

(٤) الطبري ٢ : ١٠٣٥ (٥) " ١ : ٥٣

(٦) الاصباهي ١ : ٩٣

قال : نعم ! قال : لا جرم والله لا تحجّ مع الناس العام . واخرجه الى الطائف حتى قضى الناس حجبهم .^(١) ويالوح لنا ان هذه الحادثة اذا كانت قد وقعت حقاً فقد وقعت وسليان امير ، اي قبل استخلافه . ولعلّ سليمان انتقم لنفسه من عمر بعد لقائه الاول الذي عاتبه فيه لانه لم يدحه فقال عمر : انما انا امدح النساء لا الرجال .^(٢)

والراجح عندنا ان اتصال عمر بالخلفاء قد انقطع بعد اواخر خلافة الوليد ، ولكن الرواة قد اشفقوا الا تكون هناك صلة بين عمر وسميّة عمر بن عبد العزيز فأحبّ بعضهم ان يتوب عمر الفاسق على يدي عمر الصالح ، كما ولد عمر الفاسق يوم مات عمر الصالح فزرعوا فيما يروي الاصبهاني ان عمر بن عبد العزيز لما تولّى الخلافة لم تكن له همّة الا عمر ابن ابي ربيعة والاحوص ، فكتب الى عامله بالمدينة يذكر له خبشها وشرها ، ويسأله ان يحملها اليه ، فلما صار اليه اقبل الى عمر فقال له : هيه !

فلم ار كالتجبر منظر ناظر ولا كليا لي الحج افلنن ذا هوى
وكم ماني عيني من شيء غيره اذا راح نحو الجمره البيض كالدمى

فاذا لم يفلت الناس منك في هذه الايام فتى يفتون ؟ اما والله لو اهتممت بامر حجبك لم تنظر الى شيء غيرك ! وامر بنفيه . فاعتذر عمر عن نفسه ، والتمس من الخليفة خيراً من ذلك ، وعاهده فيما يزعمون الا يعود الى مثل هذا القول ولا يذكر النساء في شعر ابدأ ويمجد التوبة على يديه ، فقبل ذلك منه وخلاه ، بينا نرى الاحوص الى دهلك ولم يقبل شفاعته فيه .^(٣)

اما ابن قتيبة فكانه لم يقنع بمثل هذه التوبة بل اراد ان يعاقب عمر على يدي هذا الامام الصالح ، فرغم انه نفاه الى دهلك مع الاحوص ، وهناك تطورت حياته فاذا بجائتها خير خاتمة ، واذا بعمر يغزو في البحر مجاهداً ، فتحترق السفينة فيه ويموت ويحتم له بالشهادة . ويعود ابن قتيبة فيتورط مرة أخرى ويزعم ان عبد الله بن عمر قال : فاز عمر ابن ابي ربيعة بالدنيا والآخرة .^(٤) ونحن نعلم من ابن قتيبة نفسه ومن غيره ان عبد الله بن عمر قد فارق الدنيا في خلافة عبد الملك بن مروان . اي قبل خلافة عمر بن عبد العزيز بنحو عشرين سنة .^(٥)

(٢) الاصبهاني ١ : ٢٥٥

(١) الاصبهاني ٨ : ٥٨ والمرزباني ٢٠٢

(٢) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩

(٣) " ٨ : ٥٦

(٤) ابن قتيبة (م) ٩٢ والازرقى ١ : ٤٣٣

ولم يكتف الرواة بهذه المقابلة بل ذكروا ان عمر وفد على عمر بن عبد العزيز هو وجماعة من الشعراء ، وزعموا ان الخليفة أبي ان يقابل احداً منهم غير جرير^(١) .
 بقي من الخلفاء الذين زعم الرواة ان لعمر خبراً معهم يزيد بن عبد الملك ويظهر ان هذا النفر من الرواة اشفقوا ايضاً الا يكون هناك اتصال بين هذا الخليفة الماخن وبين عمر الفاسق فجمعوا بينهما ، وزعموا ان يزيد حج بالناس سنة ، وكان عمر وابن سريج قد خرجا الى الحج ، فجاءا يعترضان الحجاج ويتعرضان للنساء حتى اظلم الليل فعرجا الى كتيب عال واخذا يشرفان على المواكب المارة ، وانهما كذلك والقمر يطلع فيضي . بسناه طريق قوافل الحجاج وابن سريج يغني عمر بشعره :

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظر لولا التخرج عازم

اذا برجل على فرس كريم يطلع عليها من أسفل الكتيب ، فيسلم من بعيد ، ثم يقف ويسأل ابن سريج ان يعيد الغناء ، فيعيده ، فيطرب ويعلمها انه عرفها وانها ابن سريج وعمر^(٢) . ولهذا القصة حواش فضاضة وذيل طويلة ليس هنا موضع سردها ، ولكنها تؤيد ما سنده اليه من انه لا يمكن ان يكون هذا الاجتماع قد وقع حقاً بين يزيد ابن عبد الملك وعمر ، فقد كان يزيد ابن اربع وعشرين سنة حين استخلف ، وكان عمر فيما سنرى قد مات قبل ذلك بثلاثي سنوات . ولو فرضنا ان هذه المقابلة وقعت قبل استخلاف يزيد ، فيجب ان يكون يزيد في السادسة عشرة او دونها ، وعمر شيخ عجوز ، وليس يوسعنا ان نتصور مثل هذا اللقاء - بين شيخ تقدمت به السن كعمر وبين غلام طرير كيزيد - يجري في مثل هذا السبيل الذي رواه الرواة .

وليلاحظ في كل اخبار عمر مع الامراء او الخلفاء من بني امية ان الصلة بينه وبينهم لم تكن وثيقة ، وان اكثرهم كان ناقماً عليه لا يقابله الا بشيء من الجفاء او البرودة ، وان عمر نفسه لم يقصدهم وهم في الشام ، بل كان اجتماعهم بهم على الغالب في ارض الحجاز . ولعل مصدر هذا الجفاء منهم ، او الاحجام من ناحية عمر ، يرجع الى ميل عمر السياسي والى انه كان يتعرض لبعض النساء الامويات بشعره . ومن المتع ان نلاحظ ايضاً ان ابياته التي روينها سابقاً والتي فيها :

(١) ابن عبد ربه ١ : ١٥٤-١٥٦ والابشهي ١ : ٧٨ والسيوطي (ش) ٧١

(٢) الاصبهاني ١ : ١٠٠-١٠١

فلم أرَ كالتجبر منظر ناظر ولا كليا لي الحج افلتن ذا هوى

كانت السبب الظاهر لنقمة هؤلاء الامراء عليه ، وقد قالها عمر في احدى الاميرات الامويّات من بنات مروان بن الحكم .^(١)

عمر والاشراف من معاصره

ونريد قبل ان نفرغ من هذا الفصل ان نذكر ان عمر قد اتصل بالكثيرين من الامراء والاشراف في ذلك العصر من غير الامويين . ولعلّ القارئ قد لاحظ اواصر القرى التي جمعت بين عمر وآل الزبير وبنوع خاص مُصعب . وقد كان محمد بن مُصعب كما اسلفنا صهر عمر ، وكان عمر يتردد الى بيته ، وله وقائع واخبار عند بنته روتها مولاة لصهره المذكور . وكذلك اتصل عمر بasher الصحابة والتابعين من معاصره ، وكان بعضهم يستنشد الشعر في المسجد كما مر معنا ، ويدافع عنه منافسيه . ولعلّ الامام عبدالله بن عباس والامام سعيد بن المسيّب كانا اشدّ الايتمه جاً له ودفاعاً عنه . وكانت له دالة على كليهما . وانشد عمر مرة الامير طلحة بن عبدالله بن عوف رائيته ، وكان طلحة راكباً ناقته ، فوقف وظلّ شائعاً الناقة حتى كُتبت القصيدة له .^(٢) وكان عمر صديقاً لمحمد بن الحجاج بن يوسف ، ولعلّ عمر تعرّف الى ابن هذا الامير بعد زوال سلطة آل الزبير . وقد زار عمر العراق مرة وتزل عند محمد ضعفاً . وكان عمر فوق هذا كله مهيّباً معظماً حتى زعم الحارث بن خالد المخزومي ان عمر لم يكن يقدم عليه سلطان ولا غيره . وان هذه المكانة التي احرزها عمر ، وهذه الصداقة التي كانت بينه وبين هؤلاء الامراء والائمة ، وشرف العائلة التي تحدر منها ، والغنى الذي كان فيه ، وفته الشعري ، كل هذه الامور ساعدت على ان يسلم عمر من شر الولاة واذى المتحرجين .

(١) المبرّد ١ : ٢٧٠ والميني ٣ : ٥٣١

(٢) الاصبهاني ١ : ٢٨

عمر وازواجه وأولاده

ولقد كان لعمر ازواج لم تشر المصادر التي بين ايدينا الى شيء مفصل عن حياته معهن ومعاملته لهن ، ولهذا فلسنا نعلم الآن من منهن كانت اولى نساءه ، ومتى كان زواجه منها ، او من منهن كانت احظاهن في عينه ، ولماذا ، حتى شعره الذي تحدر اليها فانه قد خلا من تبيان شيء هام في هذا السيل ، وليس فيه سوى قصيدة واحدة يشير فيها الى زواجه من احدها دون ان يذكر من هي ، ولعله لم يكن ليذكر امر هذا الزواج لولا وقع خبره على احدى صاحباته وغيظها منه وجزعها امام اترابها فيما زعم . قال :

خبروها بانني قد تزوجت م فظلت تكاتم الفيط سراً
ثم قالت لا تخفها ولاخرى جزعاً لبته تزوج عثراً
واشارت الى نساء لدجها لا ترى دونهن للسر سترأ
ما لقلبي كأنه ليس مني وعظامي إخال فيهن قترا
من حديث غي الي فطيعر خلت في القلب من تلفيته جمراً^١

وهناك قصيدة اخرى فيها اشارة الى معاتبة زوجته له وتجنّبها عليه الذنوب . ويظهر من الايات التي وردت فيها ان عمر قد ودّع الشباب أسفاً لانه لم يقض منه وطراً ، فهو يتمنى رجوعه ويتحسر على ايامه :

ليت الشباب بنا حلّت رواحله واصبح الشيب عنا اليوم منتقلاً
اودى الشباب وامسى الموت يخلقه لا مرحباً بمحلّ الشيب اذ تزلأ
ما بال عرسي قد طالت مطالبي امست تجشّي عليّ الذنب والملا^٢

وجلّ ما نستطيع استقائه من ديوانه ومن المصادر القديمة المختلفة ان عمر تزوّج من بضع نساء فكان له من بعضهن ابنا خلفوه .

كلم بنت سعد المخزومية

وكانت كلم بنت سعد المخزومية احدى هاته النساء . وكان له معها قبل زواجها وقائع

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٩٦

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٩٦

طريقة سنائي على ذكرها حين نبش حبه . ولقد ولدت كلثم منه ابنين وماتت عنده^(١) ومن الغريب ان ديوان عمر لا يحفظ لنا شيئاً عن حياة عمر معها بعد زواجهما ، بل ليس هناك إشارة فيه الى موتها عنده . وكل ما فيه اشعار تدور على حبه لها قبل ان تصبح زوجاً له . والرواة يذكرون انها كانت متمنعة تأبى ان تلين فكانت تطرد رسله اليها حتى احتال عليها بطريقة جذابة اغواها فيها ، فرضيت ان تقبله في مجلسها ، فزارها ، ولم يخرج من لديها الا وقد عقد زواجه معها .^(٢) غير انه يظهر من شعره في كلثم انها كانت تكتبه وتحبّه .^(٣)

جُوان وافوه

ولكلثم من عمر ولدان احدهما اسمه جوان والثاني لا نعرف عنه شيئاً . اما جُوان فقد نشأ نشأةً صالحةً ، وعرف بحسن السيرة .^(٤) ولقد عينه احد ولاة مكة عاملاً له على تبالة فحمل على خشم في صدقات اموالهم حملاً شديداً ولم يتساهل في شيء من ذلك ، جعلت خشم سنة حكمه عليهم تاريخاً ، وقال شاعرهم :

ولو شهدتني في ليالٍ مضين لي لعامين مرّاً قبل عام جوان^(٥)

وكان جُوان صادقاً في قوله ، عادلاً في شهادته حتى ضرب فيه المثل . واستغل هذا الامر « العرجي » احد شعراء الحب فذكره في شعره على انه شاهد حبه ، فقال :

شهدني جُوان على حبها البس بعدلٍ عليها جُوان

قالوا : بخاء جُوان الى هذا الشاعر وعاتبه . فقال له : يا هذا ما لي وما لك تشهدني في شعرك ؟ متى اشهدتني على صاحبك هذه ؟ ومتى كنت انا اشهد في مثل هذا ؟^(٦) وزعموا ان جُواناً هذا شهد بشهادة عند زياد بن عبدالله الحارثي امير الحجاز فتشلت هذا بشعر العرجي وأجاز شهادة جوان .^(٧)

(٢) الاصبهاني ١ : ٨٢-٨٣

(٤) " ١ : ٢٣

(٦) " ١ : ٢٣

(١) الاصبهاني ١ : ٨٢-٨٣

(٣) ابن أبي ربيعة (ع) ٤٧٦-٤٧٧

(٥) الاصبهاني ١ : ٢٤

(٧) " ١ : ٢٣

وقد أعقب جوان وعُرف عن ابنه انه كان يغني^(١). ولعل هذا خير موضع^(٢) نصح فيه خطأ ابن قتيبة حين يزعم ان الحارث ابن ابي ربيعة قد أعقب وان عمر لم يكن له عقب^(٣).

فناء مجمية ؟

وهناك امرأة اخرى زعم الرواة ان عمر تزوج منها ، وقالوا انها جمحية ولم يذكرها اسمها ، وأشاروا الى ان عمر رآها في الحج فاحبها وقال فيه نونيته المشهورة التي مطلعها :

اصبح القلب في الحبال رهينا مقصداً يوم فارق الطاعنيننا

ولم يزل بها حتى تزوجها وولدت له^(٤). غير ان هناك مجالاً للشك في صحة هذه الرواية لأن فريقاً آخر من الرواة زعم ان هذا الشعر قاله عمر في رملة بنت عبد الله بن خلف الحنظلية . قالوا فبلغت الايات كثيراً الشاعر ، فغضب لذلك وساءه ان يذكر ابن ابي ربيعة فتاة من عشيرته ، ونظم شعراً يذكر به نسوة من قريش حاجات ، ثم ساقهن في شعره حتى بلغ بهن الى ملل ، ثم اشفق فجاز ولم يزد على ذلك^(٥).

رملة اخت عبد الملك بن مروان ؟

وهناك رواية تشير الى ان عمر قد زوج من رملة اخت الخليفة عبد الملك بن مروان ، والخبير فيها مسنود الى عمر نفسه^(٦) ، ولكن الاختراع بين في هذه القصة والصناعة ظاهرة . وسنعرض لها بالتفصيل في دراستنا لحته .

عمر بخطب عراقبة فنغذّر

ورأى عمر عراقبة في الحج ، ثم حادتها فأحبها وأحبته ، فخطبها ، فوعده ان تتزوجها اذا جاءها الى بلدها وخطبها الى اهله ، فسار عمر وراءها الى العراق ، ثم راسلها يتنجزها وعدها ، فاعتذرت^(٧).

(٢) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩

(٣) الاصبهاني ١ : ٨٦-٨٨

(٤) الاصبهاني ١ : ٧١

(١) الاصبهاني ٢ : ٨٢

(٣) " ١ : ٨٨

(٥) الجاحظ (م) ٢٤٢-٢٤٧

هل انتقم عمر لنفسه ؟

ولعلّ الدرس الذي القته عليه صاحبتنا كان قاسياً ، فانه علق عراقية اخرى اسمها فاطمة بنت محمد بن الاشعث وكانت تحجّ فراسلها وقابلها وانشدها شعره فاستخفها فاحبته وزارته في بيته فخطبها فاسترطت مثل ما استرطت تلك . ولسنا نعلم ما الذي تمّ بعد ذلك .^(١)

بنت أمة الواعد

وكان لعمر بنت اشرفنا الى شيء من اخبارها في الفصول السابقة اسمها أمة الواحد . ولعلها هي التي زوجت من محمد بن مصعب بن الزبير . وكان عمر يزورها بعد زواجها ويقضي في بيتها بعض اوقات لهو . وله مقطوعة قالها في مغنيتين وهو عند ابنته هذه .^(٢)

حياة زوجية هادئة

ويظهر ان حياة عمر الزوجية كانت هادئة هنيئة فليس هناك اشارة الى اختلاف بينه وبين احدى ازواجه او بينه وبين احد اولاده ، فقد كان يحبهم وله مقطوعة ذكرناها سابقاً يشير فيها الى بعده عنهم مرة وحزنه وألمه لذلك . وكان له عبدان يحبهما ويقول : هما عندي بمنزلة اولادي .^(٣) وقد تمتّ احدى محبوباته ، فيا زعم عمر نفسه ، ان تكون زوجاً له ، قال :

لبيتي مُتّ يومَ النِّمِّ فاهَا اذْخِشْنِي فِي مَنْظَرِ أُمُوالَا
اِذْ تَمْنَيْتِ اِنِّي لَكَ بَعْلٌ قُلْتُ بَلْ لَبَيْتِي بِجَدِّكَ خَالَا^(٤)

ولعلّ هذه المحبوبة هي الثريا فقد كانت تريد ان تستأثر بقلبه وحبّه فسارت الاقدار على غير ما يشتهيان ، وتزوج من اخرى - لعلها كلثم - فغضبت الثريا حين بلغها الامر وحزنت ثم تزوجت من آخر وارتحلت الى مصر .^(٥)

(٢) الاصبهاني ١ : ٦٨

(٦) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٤٢

(١) الاصبهاني ١ : ٤٠-٤٢

(٣) الاصبهاني ١ : ٥٢

(٥) البغدادي ١ : ٢٢٨

سبيل اللهو التي سلكها

عمر والسماح

يا اهل بابل ما نفست عليكم
من عيشكم الا ثلاث خلال
ماء الفرات وطيب ليل بارد
وغناء مسعنين لابن هلال

لقد مر معنا ان صاحبنا قضى شطراً غير يسير من شبابه في المدينة . وكانت المدينة كما سبق فاشترنا بلد الغناء والطرب ، فمنها ظهرت القافلة الاولى من اهل هذا الفن ، وفيها نشأ اشهرهم ، واليها وفد اكثر الطلاب يقصدونها دون غيرها فيستمعون الى المغنين فيها ويأخذون عنهم ويتعلمون منهم حتى اشتهرت في هذا المضمار وذاع صيتها . رَوَّوا ان ابن سريج والغريض المكيين قدما المدينة يتعرضان لمعروف اهلها ويزوران من بها من اصحابها ، فلما شارفاها تقدما ثقلها ليرتادا منزلاً حتى كانا بالغسلة ، وهي موضع باطراف المدينة ، اذا هما بغلام بيده حباله يتصيد الطير وهو يتغنى ويقول :

القصرُ فالتخل فالجماء بينهما
اشهى الى النفس من ابواب جبرون

فلما سمعاه مالا اليه واستعاده ، فاعاد الصوت ، فسمعا شيئاً لم يسمعا بمثله قط ، فاقبل احدهما على صاحبه فقال : هل سمعت كاليوم قط ؟ قال : لا والله ! فما رأيك ؟ قال ابن سريج : هذا غناء غلام يصيد الطير ، فكيف بمن في التجربة ؟ يعني المدينة . قال : اما انا فشكلته والدته ان لم ارجع فكراً ! راجعين .^(١)

وكان فيها من مغني الجيل الاول سائب خاثر ، ونسيط ، وعزة الميلاء ، وجميلة . ومن غيرهم هيت ، وطوليس ، والدلال ، وبرذ الفؤاد ، ونومة الضحى ، وفند ، ورحمة ، وهبة الله ، ومعبد ، ومالك ابن ابي السمح ، وابن عائشة ، ونافع بن طنبورة ، وبديح المليح ، ونافع الخير . ومن النساء المغنيات - عدا عزة وجميلة - خليدة ، وربيعة ،

وعُقيلة ، والشامسيّة ، وفرعة ، وبُلبلة ، ولذّة العيش ، وسُعيدة ، والزرقاء . ومن المتأخرات
سَلَامَة وَحَبَابَة .^(١) ويكنى المدينة خُراً في الغناء ان يكون معبد وهو امام المغنين
وزعيمهم منها ، قال الشاعر :

اجاد طويس والسُرَيْحي بعده وما قصبات السبق الا لبعير^(٢)

وكان معبد هذا يعلم بعض الجوّاري الغناء ويُعنى بتخريجهم ثم يبيعهم .^(٣)
وكان السماع ضرباً من ضروب اللّهُو التي الفها الناس في المدينة ، أجازها الفقهاء ولم
يروا فيه حرجاً حتى زعم الرواة ان اهل الحجاز عامة يجيزون الغناء واهل المدينة (بنوع
خاص) يستحسنونه ويستسيغونه .^(٤)
ولاحدهم يقول :

لا تسأل مديناً فتكفره الا عن البمّ والمثني والزرير^(٥)

ولقد سُئل عبدالله بن جعفر (رفيق عمر) عن الغناء فقال : انه لا يصلح الا
بالمدينة .^(٦)

وكان للغناء تأثير عظيم في نفوس المدينيين والمدينيات حتى رووا ان احدهم اتى المدينة
يبيع خُمراً فباعها كلّها الا السود فلم تنفق ، وزعموا ان صاحبها لم يستطع بيعها الا بحيلة
احتالها له مديني معروف نظم شعراً فيه ذكر للخمار الاسود وقد ارتدته الفتاة المليحة :

قل للمليحة في الخمار الاسود ماذا فعلت بزاهد متعبّد

واعطاه لمغنٍ يغني فيه ، فشاع الغناء في المدينة ولم تبق مليحة الا اشترت خمّاراً اسود ،
وباع التاجر جميع ما كان معه .^(٧) وظلت هذه الشهرة في الغناء ملازمة لاهل المدينة حتى
زمن ابن عبد ربه الاديبي فتنظم شعراً يذكر فيه انه يشرب الشراب على مذهب
العراق ويستمتع الى الغناء على مذهب اهل المدينة :

ديننا في السماع دين مديني م وفي شربنا الشراب عراقي^(٨)

- | | |
|------------------------------|---------------------------------|
| (١) الاصماني ٧ : ١٣٤ و ١٣٥ | (٢) الاصماني ١ : ٢٠ |
| (٣) " ١ : ٢٤ | (٤) ابن عبد ربه ٣ : ٣٢١ و ٣٤١ |
| (٥) ابن عبد ربه ٣ : ١٣٣ | (٦) " ١ : ١٤٦ |
| (٧) " " ٣ : ٢٣٥ | (٨) الشعالي ١ : ٣٦٣ |

وكذلك كان دين عمر في السماع دين مديني يُقبل عليه أنى وجده وحيثما وقع عليه وكان يقصد مجالسه حتى في مرضه . ولعل القارى لا يزال يذكر قول عمر الى صديقه الحارث بن خالد المخزومي حين أتاه يدعوه الى مجلس غناء : يا حارث لقد ازعجتني في وقت كانت الدعة احب فيه اليّ ، ولكن صوت الغريض وحديث النسوة ليس له مُتْرَك ولا عنه محيص !

وليس غريباً ان ينشأ على هذا في مثل ذلك الجو وقد كان صديقه عبدالله بن جعفر يشتري الجوازي الحسان ويأتيهن بعمالين يدرّوهن على الغناء^(١) حتى شهر بالسماع وعابه عليه ابو صفوان الجمحي^(٢) ، ولامه فيه معاوية وعبد الملك ثم عذراه^(٣) . وكان صديقه الآخر ابن ابي عتيق كما تصوّره كتب القدماء وكيل دفاع للمغنين والمغنيات يدافع عنهم لدى المتخرجين ويسعى لدى الولاة ان يكفّوا عن ملاحقتهم ويشيد بذكرهم في كل نادٍ ومكان^(٤) . وقد روى الرواة ان احد الولاة بعث الى عزة المغنية يسألها ان تترك الغناء لانها قد فتنّت به الرجال والنساء ، ووافق وقتذاك وجود عبدالله بن جعفر وابن ابي عتيق عندها ، فردّ ابن جعفر الرسول وقال له : ارجع الى صاحبك فقل له عني اقيم عليك ألاّ ناديت في المدينة اياماً رجل فسد او امرأة فتنّت بسبب عزة الا كشف نفسه بذلك لنعرفه ويظهر لنا ولك امره ، فنادى الرسول بذلك فما اظهر احدٌ نفسه^(٥) . وكان هذا الثالث من عمر وعبدالله وابن ابي عتيق اعظم عامل في تشجيع فن الغناء في المدينة والحجاز . اما المواضع التي كانوا يجتمعون فيها للسماع وهم في المدينة فهي كثر . وكان العقيق وهو متّزه المدينة ابهج بقعة يأوي اليها طلاب هذا اللہو . فاذا هطلت الامطار وسال واديه هرعوا اليه وعقدوا على ضفافه ورياضه حلقات الانس والطرب . ويندفع المغنون في انشادهم فتجاوب في ارجاء ذلك الوادي اصداً اصواتهم مع خرير المياه وهمسات النسيم وتمايل النخيل .

وكان بعض الاشراف قد بنوا قصوراً لهم فيه فصار من الممكن لابنائهم ان يقضوا اياماً متتابعة في لهُوهم مع نسايتهم وجوازيهم . وربما انتحى بعضهم ناحية بعيدة عن اعين

(٢) ابن عبدربه ٢ : ١٥٢

(٤) " " " " ٣ : ٢٥٤

(١) ابن عبدربه ٣ : ٢٥٧

(٣) " " " ٣ : ٢٢٦-٢٢٧

(٥) الاصبهاني ١٦ : ٢٠

الرقباء فجلسوا على احدى ضفافه ومالوا بارجلهم الى السيل يبتدون وهم يستمعون الى مغنيهم
ينشد لهم اطييب الالحان .^(١) ولم يفت عمر ان يصور بعض هذه المواقف التي شهد بها مع
رفاقه وصاحباته في العقيق حين كان يسيل او حين كانوا يمتطرون في لهوهم وطربهم . ولقد
خشي مرة ان تتبلل النسوة اللاتي كنَّ معه من ماء المطر فنهض وخلع مطرفه وبرديه
وأمسك بهما هو ومغنييه الغريض ليظلا عليهن كي يسترن من سقوط المطر . وفي ذلك
يقول :

ألم تسأل المتزل المغفرا يائنا فيكم أو يُخبرا
ذكرت له بعض ما قد شجاك م وحق لذي الشجو ان يذكرا
مقام المحبين اذ ظاهرا كساء وبردين ان يطررا

الى ان يقول :

غفلن عن الليل حتى بدت تبشير من واضح أسفرا
وقمن وقلن لو انَّ النهار م مدَّ له الليل فاستأخرا
قضينا به بعض أشجاننا وكان الحديث به اجدرا^(٢)

وكان عمر يتردد مع رفاقه الى مجالس الغناء فيغشون عزة الميلاء ومتزل جميلة . والرواة
يزعمون ان تفرأ منهم وفدوا على عزة مرة فعقدت لهم مجلس غناء ، ثم اندفعت تغني لحناً لها
بشعر عمر فطرب وشقَّ ثيابه وصاح صيحة عظيمة صعق معها ، فلما أفساق قال له القوم :
لعيرك الجهل يا ابا الخطاب ا قال : اني سمعت والله ما لم املك معه نفسي ولا عقلي .^(٣)
وكان هناك مغنٍ في المدينة يعرف بالدلال ، وكان يرافق عمر وابن جعفر ويغنيهما ،
وقد صنع عمر له ابياتاً واعطاه مئة دينار وسأله الغناء فيها ففعل وأجاد .^(٤)
واستمر عمر في هذا اللهو حين انتقل الى مكة ، وليس ادل على هذا من اختياره اثنين
من اعظم مغني مكة في ذلك العصر ليكونا مغنييه ورفيقيه الى اكثر مجالس العشب
والطرب ، هما ابن سريج والغريض اللذان تقدم ذكرهما .
وكان له مولات يدربن على الغناء ، وكان يرسل بعضهم ليغنين محبوباته اشعاره فيهن ،

(١) راجع اذا شئت التوسع في هذا الصدد بحثنا عن العقيق جبور (ع) ١ : ٩٣-٩٩

(٢) الاصمعي في ١٦ : ١٤

(٣) الاصمعي في ١ : ٦٦

(٤) " ٦ : ٧١

وقد ارسل مرة مولاة له الى المدينة لتأخذ صوتاً عن جميلة المغنّية في شعر قاله في احدى صاحباته حتى اذا حذقته هذه الجارية ارسلها الى صاحبتها تغنيها فيه .^(۱)
ولم ينس عمر وهو في مكة مجالس جميلة في المدينة فكان يتردد اليها كثيراً فتحثني بقدميه وترحب بمجيئه وتغني له فتطربه .^(۲) ولقد غنّته مرة فاهتز من الطرب وقال :
لله درك يا جميلة ماذا اعطيت ! انت اول الغناء وآخره .^(۳)

ولقد حاول الرواة ان يصفوا هذه المجالس الغنائية التي كان يتردد اليها عمر فبالقوا في ذلك حتى كادت تظهر صورة الحياة فيها ماثلة لتلك في العصر العباسي . ولعل من الخير ان ندع ابا الفرج يقص علينا بعض هذه الاخبار ، ولنحترس في قبولها كما هي حيث ان اثر الصنعة فيها ظاهر بين . قال ابو الفرج :

وحدثني الحسن بن عتبة اللهي قال : حدثني من رأى ابن ابي عتيق وابن ابي ربيعة والاحوص بن محمد الانصاري وقد اتوا منزل جميلة فاستأذنوا عليها فاذنت لهم جميعاً ، فلما جلسوا سألت عمر واحفت ، فقال لها عمر : اني قصدتك من مكة للسلام عليك . فقالت له : اهل الفضل انت . قال : وقد احببت ان تغرغني لنا نفسك اليوم وتخلي لنا مجلسك . قالت : افعل . قال لها الاحوص : احب الا تغني الا ما أسالك . قالت : ليس المجلس لك ، والقوم شركاؤك فيه . قال : اجل . قال عمر : ان تُردّ ان تفعل ذلك بك يكن . قال الاحوص : كلا ! قال عمر : فاني ارى ان نجعل الخيار اليها . قال ابن ابي عتيق : وفقك الله . فدعت بالعود وغنّت :

غشي العوينا اذا مشت فُضلاً	مشي التريف المخبور في الصُعد
تظل من زور بيت جارحاً	واضعة كفها على الكبد
يا من لقلب متيسر سديم	عان رهين مكلم كمد
ازجره وهو غير مزدجر	عنها وطرفي مكحل السهد

فلقد سُمعت للبيت زلزلة وللدار همهمة . فقال عمر : لله درك يا جميلة ! ماذا اعطيت !
انت اول الغناء وآخره ! ثم سكنت ساعة واخذوا في الحديث ، ثم اخذت العود وغنّت :

شعلت سعاد وامسى البين قد افدا	واورثوك سقاماً يصدع الكبد
لا استطيع لها هجرأ ولا ترة	ولا ترال احاديثي جا جُدا

(۲) الاصبهانى ۷ : ۱۳۵ و ۱۴۱

(۱) الاصبهانى ۷ : ۱۴۱

(۳) " ۷ : ۱۳۴

..... فاستخف القوم اجمعين ، وصفقوا بايديهم وخصوا بارجلهم وحركوا رؤوسهم ، وقالوا : نحن فداؤك من سوء ووقاؤك من المكروه ، ما احسن ما غيّت وما اجمل ما قلت ! واحضر الغداء فتغذى القوم بانواع من الاطعمة الحارة والباردة ومن الفاكهة الرطبة واليابسة ، ثم دعت بانواع من الاشربة . فقال عمر : لا اشرب . وقال ابن ابي عتيق مثل ذلك ، فقال الاحوص : لكنني اشرب ، وما جزاء جميلة ان يُمتنع من شراها ! قال عمر ليس ذلك كما ظننته . قالت جميلة : من شاء ان يحليني بنفسه ويخلط روحي بروحه شكرناه ، ومن ابى ذلك عذرناه ، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد في قضاء حوائجه والانس بمحادثته . قال ابن ابي عتيق : ما يحسن بنا الا مساعدتك . قال عمر : لا اكون اخسكم ، افعلوا ما شئتم تجدونني سميعاً مطيعاً ، فشرب القوم اجمعون فغنت صوتاً بشعر لعمر :

ولقد قالت لبارات لها	كلما يلعبن في حُجْرَها
خذن عني الظل لا يتبعني	ومضت تسمى الى قُبَيْها
لم تعانق رجلاً فيما مضى	طفلة غيداء في حُلَيْها
لم يبط قط لها سهم ومن	ترمه لا ينح من رميها

فصاح عمر : ويلاه ! ويلاه ! ثلاثاً ثم عمد الى جيب قيصره فشقه الى اسفله فصار قباء ، ثم آب اليه عقله فندم واعتذر وقال : لم املك من نفسي شيئاً . قال القوم : قد اصابنا كالذي اصابك واغني علينا ، غير انا فارقناك في تحريق الثياب . فدعت جميلة بشباب خلعتها على عمر ، فقبلها ولبسها ، وانصرف القوم الى منازلهم . وكان عمر نازلاً على ابن ابي عتيق ، فوجه عمر الى جميلة بعشرة الاف درهم وبعشرة اواب كانت معه ، فقبلتها جميلة ، وانصرف عمر الى مكة جذلان مسروراً ^(١) .

وكان للغناء تأثير عظيم في نفس عمر ، ولعل القارئ قد لمس هذا في خبر وفوده على عزة الميلاء وقبله لدعوة الحارث ، وطربه في مجلس جميلة ، ويذهب الرواة الى ان جميلة غتته بشعر له في حفل آخر قدمته عيناه حتى جرى الدمع على لحيته وثيابه ، ويؤمنون انه ما رؤي عمر كذلك في حفل ولا غيره قط ^(٢) .

(١) الاصبهانى ٧ : ١٣٣ - ١٣٤ و « د » ٧ : ٢٠٧ - ٢٠٨

(٢) الاصبهانى ٧ : ١٣٦

ولم يفت عمر ان يطلب الغناء في رحلاته الى الاقطار التي لم تألف هذا الفن كما ألفتها الحجاز . والرواة يذكرون انه قدم الكوفة فنزل على صديق له كان لديه مغنيتان فكان يأتيها ويسمع منها فاعجب بغنائها وكاد يحسد اهل الكوفة عليهما . وفي ذلك يقول :

يا اهل بابل ما نفست عليكم من عيشكم الا ثلاث خلال
ماء الفرات وطيب ليل بارد وغناء مسمتين لابن هلال^(١)

ولم يخل شعره من اظهار حبه للغناء والمغنيات وما كان لهذا الفن من تأثير في نفسه . قال :

بذكرناها كل تغريد قبته وقمرية ظلت على الايك تسجع^(٢)
وقال وقد سأل احدى النساء ان تجلس اليه مجلساً خاصاً :
اني لسائل ام الربيع م قبل الوداع متاعاً طفيفاً

الى ان يقول :

فحور كمثل ظباء الحريف م أخرجن عشرين مشياً قطوفا
تضوع اردائهن العبير م والرند خالط مسكا مدوفا
يجيحن من بردات القلوب م شوقاً اذا ما ضربن الدفوف
اذا ما اتقضى عجب لم يزلن م يدعون للهو قلباً ظريفاً^(٣)

وله يداعب فتاة مغنية فيتهمها بسوء الظن ويظهر عتبه عليها وحبه لها :

اصبح القلب مستهماً معني بفتاة من أسوأ الناس ظناً
قلت يوماً لها وحررت العود م بمضاجها ففتنت وغنى
ليتني كنت ظهر عودك يوماً فاذا ما احتضنتني كنت بطناً
فبكث ثم اعرضت ثم قالت من جذا أذاك في اليوم عنا
لو تخوفت جفوة وصدوداً ما تطلبت ذا لعمرك منا
قلت لما رايت خلكت منه باي ما عليك ان اغنى^(٤)

وجدير بنا في الحتام ان نلاحظ انه قد كان لهذه النهضة الغنائية تأثير عظيم في شعر عمر

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٢٨

(٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٨٥

(١) الاصبهاني ١ : ٦٧

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٦٧

نكتفي بالتنبيه اليه الآن حيث سنعرض له في شيء من التفصيل عند درسنا الشعر نفسه ، فقد كان عمر يشجع الغناء ويغذيه بنظومات راعى في أكثرها اوزاناً وتعايير خاصة بحيث اختلفت عن سائر شعره . وكان الغناء بدوره عاملاً على تنمية هذا الفن الجديد من الشعر عند عمر وواسطةً لنشر اسمه والدعاية له في مختلف الاقطار .

عمر والشراب

وسار مع الغناء ضرب آخر من اللهو هو الشراب . ونسأله الآن هل ألف صاحبنا هذا اللهو ام لا فلقد راينا في دراستنا لعصره ان الكثيرين من شباب ذلك العصر قد شربوا المسكر رغم منع الاسلام له ورغم الحدود التي وضعها على شاربيه ، ولاحظنا ان الحمرة كانت شائعة الى حد ما في اكثر مدن الحجاز ، وان الدين الجديد ومنفذي حدوده ما استطاعوا منع كل الناس من تعاطيها بحيث ظل الكثيرون من مختلف الطبقات يشربونها حتى في ايام الاسلام الاولى ، وكان بينهم اشراف وامراء واولاد خلفاء .^(١) حُدَّ بعضهم في شربها ولم يتوبوا . وقد لاحظنا ايضاً ان هذه الحمرة كانت تحتسى في بعض مجالس الغناء ، او في بعض دور الامراء ، او في المنزهات العامة في مواسم المرح واللهو كواسم العقيق وغيره ، بحيث يكون الشاربون بعيدين شيئاً ما عن عيون الرقباء ، وربما كل حظ امثال هؤلاء في ان يكون معهم الامير نفسه او قريب الامير او غيرهما من اصحاب النفوذ فيكف عنهم الحد والقصاص .^(٢)

وقد كان عمر يتردد الى اكثر هذه المواضع ، فهل كان يشرب الحمرة فيها ، ام كان يستنكف عن الاشتراك مع شاربها ؟

ولم يكن من المستغرب لشاب شاعر مثل عمر شهر في اكثر كتب الادب باللهو والفسق ان يشترك في شربها مع الكثيرين من الشبان الذين كانوا من طبقته ، بل كان من الطبيعي ان نحكم لاول وهلة انه قد كان يشترك مع امثاله من هؤلاء او انه قد ألف تعاطيها وادمانها . غير ان الواقع هو غير هذا كما سنرى ، او على الاقل ان شعره وكتب الادب

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤١٦ والبلاذري ١ : ٢٨٥ وابن هشام ٢٠٥ وابن قتيبة (م)

١٢٤ والاصمائي ١ : ١١ و ٢ : ٨٠ والجاحظ (ت) ١٥١ - ١٥٢

(٢) اطلب بحثنا عن الشراب في الجزء الاول من هذا الكتاب ص ٦٠-٧١

التي تصدت لذكر شيء عن حياته لا تؤيد ما يظن لأول وهلة انه طبيعي . فهو ان يكن قد شرب الخمر في ذلك العصر فليس الى الدرجة التي يصح عندها ان يوسم بها ، وربما من الخير هنا ان نذكر كل الروايات التي المحت الى شيء . من هذا ، ثم نستعرضها بشيء من النظر والنقد ، ثم نستعرض بعد ذلك شعره علنا نصل الى نتيجة مرضية .

ولنبداً بنجر ذكره ابو الفرج عن سواد ثنيقي عمر ملخصه ان السواد نتج عن ضربة من يد احدى صاحباته على فمه اصابته ثنيته فنغصنا وكادتا ان تقلعا ثم زار عمر احد اطباء البصرة فثبتها له واسودتا . ولكن ابا الفرج يذكر بعد هذا ان الحزين الكتاني الشاعر الهجاء رأى عمر فعيره بيتين من الشعر ، هما :

ما بال سنبك ام ما بال كسرهما اهكذا كسرا في غير ما باس ؟
انفحة من فتاة كنت تألفها ام نالها وسط شرب صدمة الكاس ؟^(١)

ومع ان ظاهر الكلام فيها استفهام من الحزين عن امر ثنيقي عمر فانما نرى مما الفناه من كلام العرب ان هذين البيتين هجوٌ موجه الى عمر وتعيير له في لهوه مع النساء وشربه الخمر مع من يتعاطونها .

ثم هناك خبر آخر في الاغانى فيه ذكر لشرب عمر الخمر ونشوته لا نرى بداً من تدوينه كما ورد . والخبر يقع في قصة عن موقف لعمر في منى يوم التروية من مواقفه التي كان يتعرض فيها للنساء الحاجات قال راويه :

حج عمر بن ابي ربيعة في عام من الاعوام على نجيب له مخضوب بالحناء مشعر الرجل بقراب مذهب ، ومعه عبيد بن سريج على بغلة له شقراء ، ومعه غلامه جناد يقود فرساً له ادهم اغر محجلاً ، وكان عمر بن ابي ربيعة يسميه « الكوكب » في عنقه طوق ذهب ، وجناد هذا هو الذي يقول فيه :

فقلت لجناد خذ السيف واشتمل عليه برفق وارقب الشمس تغرب
وأسرج لي الدهاء واعجل بمطري ولا تقلن خلقاً من الناس مذهبي^(٢)

ومع عمر جماعة من حشمه وغلمانه ومواليه وعليه حلة موشية يمانية ، وعلى ابن سريج ثوبان هرويان مرتفعان ، فلم يروا باحد الا اعجب من حسن هيئتهم ، وكان عمر من اعطر

الناس واحسنهم هيئة ، فخرجوا من مكة يوم التروية بعد العصر يريدون رمي ، فمروا بمنزل رجل من بني عبد مناف بنى قد ضربت عليه فساطيطه وخيمه ، ووافى الموضع عمر فابصر ينثا للرجل قد خرجت من قبتها ، وستر جواربها من دون القبة لئلا يراها من مر ، فاشرف عمر على النجيب فنظر اليها وكانت من احسن النساء واجملهن ، فقال لها جواربها : هذا عمر بن ابي ربيعة ، فرفعت رأسها فنظرت اليه ، ثم سترتها جواربها ولاندها عنه وبطن دونها بسجف القبة حتى دخلت ، ومضى عمر الى منزله وفساطيطه بنى ، وقد نظر من الجارية الى ما تيسره ومن جمالها الى ما حيره فقال فيها ابياته التي مطلعها :

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظر لولا التخرج عازم

ثم قال عمر لابن سريج : يا ابا يحيى ، اني تفكرت في رجوعنا مع العشي الى مكة مع كثرة الزحام والغبار وجلبة الحاج فتقل علي ، فهل لك ان زوج رواحاً طيباً معتزلاً ، فنرى فيه من راح صادراً الى المدينة من اهلها وزى اهل العراق واهل الشام ونتعل في عشتينا وليتنا ونستريح ، قال : وانى ذلك يا ابا الخطاب ؟ قال : على كتيب ابي سحوة المشرف على بطن يأجج بين منى وسرف ، فنبصر مرور الحاج بنا وزاهم ولا يرونا قال ابن سريج : طيب والله يا سيدي ، فدعا بعض خدمه فقال : اذهبوا الى الدار بمكة ، فاعملوا لنا سفرة واحملوها مع شراب الى الكتيب ، حتى اذا أبردنا ورمينا الجمره صرنا اليكم . قال - والكتيب على خمسة اميال من مكة مشرف على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق ، وهو كتيب شامخ مستدق اعلاه منفرد عن الكشبان - فصارا اليه فاكلا وشربا ، فلما انتشيا اخذ ابن سريج الدف فنقره وجعل يغني وهم ينظرون الى الحاج ، فلما امسيا رفع ابن سريج صوته يغني في الشعر الذي قاله عمر ، فسمعه الركبان فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت اما تتقي الله ! قد حبست الناس عن مناسكهم ! فيسكت قليلاً ، حتى اذا مضوا رفع صوته وقد اخذ فيه الشراب فيقف آخرون ، الى ان مرت قطعة من الليل ، فوقف عليه في الليل رجل على فرس عتيق عربي مرح مستن^(١) فهو كأنه ثيل ، حتى وقف باصل الكتيب وثني رجله على قربوس^(٢) سرجه ، ثم نادى :

(١) يقال استن الفرس : اي جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة . والعتيق هو الكرم

(٢) القربوس مقدم السرج ومؤخره

يا صاحب الصوت ايسهل عليك ان ترد شيئاً مما سمعته ؟ قال : ونعمة عين ، فايها تريد ؟
قال : تعيد عليّ :

الا يا غراب البين ما لك كلما نعتبت بفقدان عليّ تحومُ
ابالبيين من غفراء انت مخبري عدمتك من طير فانت مشومُ

- قال : والغناء لابن سريج - فاعاده ، ثم قال له ابن سريج : اردد ان شئت ،
فقال : غنني :

امسلم اني يا ابن كل خليفة ويا فارس الهيجا ويا قمر الارض . الخ

فغناه ، فقال له : الثالث ولا استريدك ، فقال : قل ما شئت فقال : تغنييني

يا دارُ أقوت بالجزع فالكذب بين مسيل المذبير فالرُحْب
لم تتفتَح بفضل مترها دَعَدَ ولم تسق دعد في العُلب

فغناه ، فقال ابن سريج : ابقيت لك حاجة ؟ قال نعم ، تنزل اليّ لالاخطبك شفاهاً
بما اريد ، فقال له عمر : انزل اليه ، فنزل ، فقال له : لولا اني اريد وداع الكعبة وقد تقدمني
ثقتي وغلاني لأطلت المقام معك ولنزلت عندي ، ولكنني اخاف ان يفضحني الصبح ، ولو
كان ثقتي معي لما رضيت لك بالهويني ، ولكن خذ حُلَّتِي هذه وخاتمي ولا تتحدع عنها ،
فان شراءهما الف وخمسمائة دينار .^(١) ومضى يركض حتى لحق ثقله ، فجاء بهما الى عمر
فاعطاه اياهما وقال له : ان هذين بك اشبه منهما بي ، فاعطاه عمر ثلثمائة دينار وغدا فيهما
الى المسجد ، فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون : كانهما والله حلة يزيد بن عبد الملك
وخاتمه ، ثم يسألون عمر عنهما فيخبرهم ان يزيد بن عبد الملك كساه ذلك .^(٢)

وهناك خبر ثالث ورد في سياق مناقضة جرت بين عمر والفضل بن العباس اللهي زى
لزاماً علينا ان نذكره ايضاً بنصّه . ولا بد لنا من الاشارة ان عمر قصّه عن نفسه حين وفد
على عبد الملك فيما يزعمون ، قالوا : سأل هذا عن امر هذه المناقضة ، فقال : « بينا انا جالس

(١) الاصبهاني ١ : ١٠١ - ١٠٢ والاصبهاني « د » ١ : ٢٥٩ - ٢٦٤ وهناك روايتان وقد قلنا
الرواية الثانية كلها ويقول ابو الفرج في آخرها : « وذكر (الضمير يعود الى راوي القصة) باقي
الخبر مثل ما ذكره حماد بن اسحق . » وقد قلنا آخر الخبر عن رواية حماد بحيث اكملت الرواية .

(٢) الاصبهاني ١ : ١٠١ والاصبهاني « د » ١ : ٢٥٩

في المسجد الحرام في جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن عباس بن عتبة فسلم وجلس ووافقتي وانا اتمثل بهذا البيت :

واصبح بطن مكة مقشعرا كأن الارض ليس بها هشام

فاقبل علي فقال : يا اخا بني مخزوم والله ان بلدة تبجح بها عبد المطلب وبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسفرت وبها بيت الله عز وجل حقيقة ان لا تقشعر لهشام ، وان اشعر من هذا البيت واصدق قول من يقول :

انما عبد مناف جوهر زين الجوهر عبد المطلب

فاقبلت عليه فقلت : يا اخا بني هاشم ان اشعر من صاحبك الذي يقول :

ان الدليل على الخيرات اجمعها ابناء مخزوم للخيرات مخزوم

فقال لي : اشعر والله من صاحبك الذي يقول :

جبريل اهدى لنا الخيرات اجمعها اذ ام هاشم لا ابناء مخزوم

فقلت في نفسي غلبي والله ، ثم حملني الطمع في انقطاعه عني فخطبته فقلت : بل اشعر منه الذي يقول :

ابناء مخزوم الحريق اذا حركته تارة ترى ضرما
يخرج منه الشرار مع لهب من حاد عن حده فقد سلا

فوالله ما تلعم ان اقبل علي بوجهه فقال : يا اخا بني مخزوم اشعر من صاحبك واصدق الذي يقول :

هاشم بحر اذا همى وطمى اخمد حر الحريق واضطربا
واعلم وخبر القول اصدقه بان من رام هاشما هشا

قال فتمنيت والله يا امير المؤمنين ان الارض ساخت بي ، ثم تجللت عليه فقلت : يا اخا بني هاشم اشعر من صاحبك الذي يقول :

ابناء مخزوم انجم طلعت للناس تجلو بنورها الظلما
تجود بالنيل قبل تسأله جودا هنيئا وتضرب اليهما

فاقبل علي باسرع من اللحظ ثم قال : اشعر من صاحبك واصدق الذي يقول :

هاشم شمس بالسعد مطلعها اذ بدت اخفت النجوم معا
اختارنا الله في النبي فمن قارعنا بعد احمد قرعا

فاسودت الدنيا في عيني و فانقطعت فلم احر جواباً ثم قلت : يا اخا بني هاشم
ان كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما تسعنا مفاخرتك . فقال : كيف
لا ام لك ! والله لو كان منك لفخرت به علي . فقلت : صدقت واستغفر الله انه لموضع
الفخار . وداخلي السرور لقطعه الكلام ولثلا ينالني خور عن اجابته فافتضح ، ثم انه
ابتدأ المناقضة فقال فافكر هنية ثم قال : قد قلت فلم اجد بدءاً من الاستماع . فقلت
هات . فقال :

نحن الذين اذا ما بفخارهم ذو الفخر اقمده هناك القمعد
افخر بنا ان كنت يوماً فاحراً تلق الاولى فخوراً بفخرك افردوا
قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر منا المبارك ذو الرسالة احمد
ماذا يقول ذوو الفخار هنالككم هيهات ذلك هل ينال الفرقد

فخسرت وتبلدت وقلت له : ان لك عندي جواباً فانظري . فافكرت ملياً ثم انشأت
اقول :

لا فخر إلا قد علاه محمد فاذا فخرت به فاني اشهد
ان قد فخرت وكففت كل مفاخر واليك في الشرف الرفيع المقصد
ولنا دعائم قد تاهى أول في المكرامات جرى عليها المولد
من ذاقها حاشي النبي واهله في الارض غطفله الخليج المزبد
دع ذا ورح بفناء خود بضية مما نطقت به وغنى معبد
مع فتية تندی بطون اكفهم جوداً اذا هر الزمان الانكد
يتناولون سلافة عانية طابت لشارجا وطاب المقعد

فوالله يا امير المؤمنين لقد اجابني بجواب كان اشد علي من الشعر . قال لي : يا اخا
بني مخزوم اريك السها وتريني القمر وتخرج من المفاخرة الى شرب الراح وهي الخمر
المحرمة . فقلت له : اما علمت اصلحك الله ان الله عز وجل يقول في الشعراء « وانهم
يقولون ما لا يفعلون » ؟ قال : صدقت ثم استثنى الله قوماً منهم ، فقال « الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات » . فان كنت منهم فقد دخلت في الاستثناء واستحققت العقوبة بدعائك
اليها ، وان لم تكن منهم فاحرك بالله اشد عليك من شرب الخمر . فقلت : اصلحك الله
لا ارى للمستجدي شيئاً اصلح من السكوت . فضحك وقال استغفر الله . وقام عني . قال

فضحك عبد الملك حتى استلقى وقال : يا ابن أبي ربيعة أما علمت ان لبني عبد مناف السنة لا تطاق ؟ ارفع حوائجك ! قال فرفعتها فقضاها واحسن جأرتي وصرفني . واللفظ في هذا الخبر لمحمد بن العباس .^(١)

بقي موضع رابع في الخبر الذي اوردناه عن وفود عمر مع الاحوص وابن أبي عتيق على جميلة المغنية ، فان هناك اشارة كما رأينا الى ان هذه دعت الى ضيوفها بشراب فشريوا ، وامتنع عمر اول الامر ، ولكنه رأى من اللياقة ان يجاري اصحابه ففعل ، وانتفى من من شربه .^(٢)

هذا كل ما في المصادر التي بين ايدينا فيما يتعلق بامر شربه الخمر او ما اليها من المسكرات . وهي اخبار قد يستنتج منها لاول وهلة ان عمر كان اخا نشوة مولعاً بالشراب يفخر بمعاقرته ، ولكننا اذا تدبرنا الامر وعمدنا الى هذه الاخبار نفسها ندرسها وننقدتها نرى غير ما ذكرنا ، لا سيما اذا عرضناها على شعره الذي يجب ان يكون من خير المصادر لدرس هذه الناحية .

فالقصة التي راينا فيها تعبير الحزين الكئاني لعمر ليس فيها ما يثبت شرب عمر للخمرة . والشعر فيها هجاء ، ونحن نعلم ان الهجاء يتناول المهجو في اكثر الاحيان بالافك والزور والبهتان . ويظهر من البيتين ان الحزين الكئاني لا يهجم غير هجو عمر ، وسواء عنده اكانت ثنيًا عمر قد اسودتا من نفحة من فتاة او من صدمة من كأس . وهو لذلك قد وضع كلامه بهذا القالب الاستفهامي :

أنفحة من فتاة كنت تألفها ام نالها وسط شرب صدمة الكاس ؟

فغايته اذاً ان يحشر عمر في هذا الهجو مع السفهاء . وظاهر من الامر ان الكئاني يجهل ان الثنيتين لم تكسرا بل اسودتا عند تثيتهما ، ولكنه يقول في شعره :

ما بال سنك ام ما بال كسرهما اهكذا كسرا في غير ما باس

ثم نحن نعلم ان السبب في سواد ثنيتي عمر هو ضربة من يد حبيته ، ولعل الحزين لم يكن يجهل ذلك عندما قال : « أنفحة من فتاة كنت تألفها » ولكنه اراد ان يبالغ في

(١) الاصبهانى ١٥ : ٨ وراجع ابن أبي ربيعة (ع) ١٥٧ و (ش) ق ٣٧١

(٢) الاصبهانى ٧ : ١٢٤

الهجو فعيره بالشراب بقوله : « ام نالها وسط شرب صدمة الكاس » واذا عدنا ندرس اخبار الحزين نرى انه هو نفسه كان سكيراً خميراً حذ في الحر وحبس ،^(١) وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً يرضيه اليسير ويتكسب بالشعر وهجاء الناس ،^(٢) حتى ان عبد الملك ابن مروان اوصى ابنه عبد الله لما حج أن يرضي الحزين اذا اتاه ، فانه ذرب اللسان .^(٣) واذاً فاناً لا نرى بعد هذا كله كبير قيمة لتعيير الحزين ولتهمة هذه بل ان عمر نفسه مر بهذا الهجو مر الكرام واكتفى بقوله له عندما اعترضه وانشده هجوه هذا : اذهب ! اذهب ويلك ! فانك لا تحسن ان تقول :

ليت هنذاً انجزتنا ما تد وشفت انفسنا ما تجد
واستبدت مرة واحدة اغا العاجز من لا يستبد^(٤)

ولعله اراد ان ينبهه انه لا يقدر الا على الهجو والشم .

اما الرواية الثانية فانك اذا قرأتها تدرك لاول وهلة الصنعة القصصية فيها ، ويظهر لك الاختراع ، وليس من شك في انها - بشكلها هذا - رواية قصصية موضوعة اكثر منها حقيقية ، ففيها مفاجئات ومصادفات وحوادث غريبة ومشاهد جذابة قد تحتل الوقوع كل لذاتها في مناسبات مختلفة ولكننا نستبعد وقوعها متتابعة متلاصقة على هذا الشكل . فن فتاة جميلة تسترها ولائدها وجواريا في قبة والدها وفساطيطه ، الى موكب عمر يسير فيه بين حشمه وغلماه ومواليه ، قاصداً منزله وفساطيطه ، على نجيب له مخضوب بالحناء ، مشعر الرجل ، بقرباب مذهب ، ومعه غلامه جناد يقود له فرساً اغر محجلاً في عنقه طوق ذهب ؛ الى ابن سريج في هيئته ولباسه الخاصين بحيث لم يمر احد بهؤلاء الا اعجب من حسن هيئتهم ؛ الى هذا الحاطر من عمر في ان يبعد عن الزحام والغباء والجلبة فيعتزل الى كتيب ، ويرى ولا يرى ، ويتعلل ليلته ويستريح ؛ الى اوامره يصدرها الى الخدم في ان يهيشوا له سفرة وشراباً من مكة ، ويخرجوها الى الكتيب الذي عينه ، وهو يبعد خمسة اميال عن مكة ، اي ما يقرب الساعتين ؛ الى غناء ابن سريج يوقف الحجاج فيصيحون : اما تتبي الله يا صاحب الصوت ؟ الى مرور يزيد بن عبد الملك ووقوفه على صاحبتنا ، وسؤاله ابن سريج ان يعيد له اصواتاً عينها ، وهو منفرد عن حاشيته وثقله وغلماه ؛ ثم يعطيه

(٢) الاصبهانى ١٤ : ٧٦ و ٨٢

(٤) " ٩١ : ١

(٢) الاصبهانى ١٤ : ٨٠

(٣) " ١٤ : ٧٧

برده وخاتمته ملمحاً الى انه الخليفة وقتذاك ، او ابن الخليفة على الاقل . وقد اشرنا في فصل سابق الى ان يزيد بن عبد الملك لم يعتل عرش الخلافة الا بعد ان أدرج صاحبنا عمر في اكفانه وكادت تصبح ذرات جسمه هباءً منثوراً . زد على هذا ان عمر قد كان في حدود السبعين من عمره عندما كان يزيد في العشرين وكان عاجزاً آخر ايامه كما سنرى يتوكأ على مولى له ولم يكن موقفه بهذه القصة لينتظر من رجل فوق الستين . واذاً ففي الرواية تشويش واضطراب ، ولعل هذا يجلنا من قبولها كما هي .

اما خبر مناقضة عمر للفضل بن عباس اللهي فان الاختراع ظاهر فيه والصنعة بيّنة في حواشيه . ولعل الرواية كلها اسطورة سطرتها اقلام بني هاشم او اقصوصة اختلقوها تفاخراً في بيتهم ومجدهم ليس اكثر . ولنذكر قبل شي . ان اللفظ فيها لرجل اسمه محمد بن العباس . وكان من بلاهة الراوي ان زعم ان مخزومياً مثل عمر يتورط في الوقوع في مثل هذه المفاخرة فيخذل هذا الخذلان ثم يرضى ان يقص القصة عن نفسه في سمع اموي ينافس آل هاشم هو عبد الملك بن مروان ، يذكر فيها فضل خصومه في حضرته وهو مُصغر كلاً ما هو راضٍ عن ذلك ، بل ان الراوي لينذهب فيها الى ابعد من هذا فيزعم ان عبد الملك ضحك حتى استلقى وقال لعمر : اما علمت ان لبني عبد مناف السنة لا تطاق ؟ واين هذا مما نُسب الى احد عمال بني امية حين عرض بآل هاشم وقال : الى كم يغلب باطلنا حقكم اما ان لربكم ان يغضب لكم ؟^(١) ولو فرضنا ان وقائع الرواية صحيحة فائاً نشك في ان هذا الشعر قد صدر عن عمر فذكر معبد فيه يدل على شيء من الوضع لان معبد كان غلاماً حينما كان عمر فوق الاربعين .^(٢) ولم يكن من مغني عمر او من رفقائه ليذكره دون غيره . وليس الشعر نفسه مما اثبت في نسخ الديوان الخطية بل هو من المنسوب الى عمر . ومن حسن حظنا ان بعض القدماء قد فطن لهذا الامر في كتاب بدائع البدائة ذكر للرواية كلها ثم يقول صاحب الكتاب في آخرها قال علي بن ظافر : واحسب الحكاية مصنوعة لان اشعارها ضعيفة .^(٣) ومن الخير ان نذكر هنا ان الكثيرين من المؤرخين القدماء الذين ذكروا خبر وفادة عمر على عبد الملك لم يشيروا الى هذه القصة .^(٤)

(٢) الاصبهاني ١ : ٢٠

(١) الاصبهاني ١٩ : ٥٩ - ٦٠

(٣) علي بن ظافر ١ : ٢٧ وقد شك فيها المستشرق الالماني بول شفارز في مجته عن عمر [شفارز ١٩ : ١٩]

(٤) المرزباني ٢٠٣ وابن قتيبة (ش) ٣٥١ والمصري ١ : ٢٠

وكان الرواة احبوا ان يجعلوا من الفضل منازعاً للكثيرين من رجال ذلك العصر فزعموا انه تنازع مع الاحوص ومع الحزين الكتاني ومع الفرزدق^(١) ومع الحارث بن خالد الخزومي^(٢) وتعرض لسخط سليمان بن عبد الملك وهو امير لانه مدح امامه علياً ابن عبد الله ابن عباس^(٣). بل انه عارض مرة حادي عبد الملك حين كان يحذو به خدا بعلي بن عبد الله ابن عباس ومدحه وعبد الملك نفسه يسمع فنظر عبد الملك الى علي وقال : هذا محتور آل ابي لهب^(٤).

ولو سلطنا جدلاً ان الرواية صحيحة فان في آخرها ما يفيد ان عمر عندما عوتب في امر شرب الخمر وقال له الفضل : اريك السها وتربني القمر وتخرج من المفاخرة الى شرب الحرام ، رجع عن كلامه فقال : اما علمت اصلحك الله ان الله عز وجل يقول في الشعراء « وانهم يقولون ما لا يفعلون » .

اما الرواية الاخيرة فظاهر منها ان عمر لم يكن من هؤلاء الذين كانوا يشتاقون الى الخمر فيقبل عليها كلما سنحت له فرصة لشربها اذ نرى فيها ان عمر امتنع اول الامر ولكنه لما رأى رفاقه يشربون مجارة لجميلة الى ان يكون اقلامهم لياقة ومجاملة لجأراهم .
واذا تركنا هذه الاخبار وهي كل ما في ايدينا عن هذا الموضوع وعدنا الى ديوانه الذي يجب ان يكون خير مرجع لهذا الامر نرى انه لا يوجد فيه كلمة اشارة صريحة الى ان عمر قد شرب الخمر ، او افتخر في انه ممن يشربون ، او دعا الى شربها ، وكل ما في الديوان من ذكر للخمر قد ورد على سبيل التشبيه كأن يقول : ريق الحبيبة كالخمر او كأن فلاناً اخو نشوة . ولندكر بعض الامثلة على ذلك . قال :

وكان فاهما بعدما رقدت تجري عليه سلافة الخمر^(٥)
وقال : ذكرت به هنداً وظلت كأنتي اخو نشوة لاقى الخوانيت فاعتبق^(٦)
وقال : كأن فاهما اذا ما جئت طارقها خمرٌ بيسان او ما عتقت جذر^(٧)
وقال : فبت أسمى عتيق الخمر خالطه شهد مشارٍ ومسك خالص ذفر^(٨)

(٢) الاصمعياني ١٥ : ٦
(٤) " ١٥ : ٦
(٦) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٧١
(٨) " " " ٢٠٨

(١) الاصمعياني ١٥ : ٢
(٣) " ١٥ : ٦
(٥) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٦٩
(٧) " " " ٢٢٠

وقال : حوراء آتت مقلها عذب كأن مذاقه نحر^{١)}
 وقال : فاذا قنتي لذيتاً خلته ذوب نخل شيب بالماء الخصر^{٢)}
 ومُدَام عَتَقَتْ في بابل مثل عين الديك او نحر جَدَر^{٣)}

واذا عدنا الى اخباره نرى فيها ان امرأة استسقاها فقالت له اي الشراب احب اليك ؟
 قال : الماء^{٤)}.

ويظهر بعد هذا كله انه لا يجوز لنا ان نحشر عمر بين طبقة السكّيرين من الشعراء ،
 بل لا يجوز لنا ان نزعّم انه كان يشرب الخمر بحيث يشهر فيها او يعرف امره .
 ولعل مرجع هذا يعود الى رغبته في ان يظلّ في نظر صاحباته - وهن كثير - رجل
 الحديث والسمر وزين المجالس فلا يشوب حديثه هذر او ثرثرة ويظلّ محتشماً في مجالس
 الشريقات منهن مالكا قياد نفسه فلا يخرج عن طور الادب الى السفه والفجور .

عمر والصيد

لم يله عمر في الصيد كثيراً ، ولم يشتهر بهذا الضرب من اللهو كما اشتهر صاحبه العرجي
 من بعده . ولعل سبب ذلك ان عمر قد قضى قسماً كبيراً من حياته في مكة ، ومكة حرم
 لا يصاد فيها ، بينما كان العرجي يسكن الطائف وعرجها حيث لا يحرم الصيد ، وكان له
 في العرج - عرج الطائف الذي نسب اليه - بستان فيه شجر رمان كان يبري السهام من
 قضبانها^{٥)} . ولهذا فقد عرف العرجي بالبأس في الحرب وبجسن الرماية كما عرف بالغزل ،
 بينما كاد عمر يقصر حياته على الحب والغزل .

ولكن صاحبنا قد سكن الطائف ايضاً وقضى في المدينة اكثر شبابه وكان اهل
 المدينة مولعين بالصيد وكان لهم في بقيع العقيق متصيد^{٦)} يكاد يضارع عرج الطائف ولم
 تكن هذه البقاع حراماً للصيد ، فتصيدوا ، والرواة يزعمون ان الحجاج بن يوسف شارحهم

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٦١ وانظر ايضاً ٢٠٥ و ٢٢٨

(١) ابن ابي ربيعة ٢٧٣

٢٣١ و ٢٤٤ و ٢٦٩ و ٢٠١ و ٢١٢ و ٢٥٧ و ٢٦٨ و ٢٩٩ و ٤٠٩

(٤) الاصبهاني ١ : ١٦٠

(٣) الاصبهاني ١ : ٧١

(٥) البكري ١٧٠

وهو امير في صيدهم ^(١) . واذاً فكان من الطبيعي لعمر ان يأخذ نصيبه من هذا اللهو .
وقد فعل ، وتفرّد وحده بالاشارة الى هذه الناحية من حياته في قصيدة مطلعها :

يا صاحبيّ قفا نستخبّر الداراً اقوت فهاجت لنا بالنّف أذكّاراً
يذكر فيها اجتماع هند وصاحباتها في موضع سمّاه في ضواحي المدينة ثم يزعم انهن
تتّينَ وهنّ في خلوتهنّ ان يحظين بعمر لينشدنّ من شعره ، فيقول :

فلم يرعنّ الاّ العيس طالعة يحملن بالنف ركّاباً واكوّاراً
وفارس معه البازي ففلن لها هام اولاء وما اكثرن إكثاراً ^(٢)

ويظهر من البيت الاخير ان عمر كان يستعين بالبازي في صيده ويذهب الى الصيد
راكباً جواده شأن الاشراف اذا طلبوا الصيد .

وقد اورد ابو الفرج الاصبهاني لعمر ابياتاً بينها بيت لا يوجد في ديوان شعره فيه إشارة
الى الصيد يقول فيه :

فصيد الغرر من بقر الوحش م ونلّو بلذّة القتيان ^(٣)

ومهما يكن من امر فالظاهر ان عمر لم يفته ان يلهو - ولو قليلاً - في الصيد حين
كانت تسمح له الفرس وذلك اثناء اقامته في المدينة والطائف وتنقله في ضواحيها .

عمر في الحج

يقصد الناس للطواف احتساباً وذنوبي مجموعة في الطواف

وكان لعمر في مواسم الحج فرصة للهو ، فاذا حجّ الناس يبعون احتساباً فلما عمر يحجّ
طلباً للهو ^(٤) . انه امرؤ قد وُكِّل بالجمال ، فهو يتبعه أيّ وجدّه ، وهل هناك معرض
يستطيع ان يستعرض فيه الجمال خيراً من الحجّ ؟ وهل هناك موسم تحشد فيه هذه الخلائق

(٢) الاصبهاني ١ : ٧٤ وابن ابي ربيعة (ش) ق ١٠

(١) ابن عبد ربه ٢ : ١٢٢

(٣) الاصبهاني ١ : ٦١ وانظر ابن ابي ربيعة (ش) ق ١٣١ وراجع شرح اخبار القصاصد في المصدر

(٤) ابن قتيبة (ع) ٤ : ٢٠٧ والاصبهاني ٢ : ٧٣

الاخير تحت رقم ١٢١ صفحة ٥١

البشرة من نساء ورجال خيراً من موسم الحج ؟ ^(١) فَلَيْسَ إِذَا إِلَى الْحَجِّ ! وَلِيرْقَبْ صَاحِبَاتِهِ فِي الْحَجِّ ! وَلِيرْصِدْ هَذِهِ الْمَوَاقِبَ الْقَادِمَةَ ! وَلِيَتَصَفَّحْ هَذِهِ الْوُجُوهُ الْبَاسِمَةَ ! وَلِيَهَيِّ لَذَلِكَ الْأَمْرَ عَدَّتَهُ ! أَنَّهُ مَوْسِمٌ لِقَاءِ الْجَانِبِ . ^(٢)

أَوَمْتَ بَيْنِيهَا مِنَ الْخُودِجِ لَوْلَاكَ هَذَا الْعَامُ لَمْ أَحْجِجْ
أَنْتَ إِلَى مَكَّةَ أَخْرَجْتَنِي وَلَوْ تَرَكْتَ الْحَجَّ لَمْ أَخْرَجْ ^(٣)

وهوذا هو يقدم فيعتمر في ذي القعدة ، ويحل ويلبس تلك الحلل والوشى ، ويركب النجائب قد خضبت بالحناء ، والقيت على ظهورها القطوع والديباج ، قد ارسل لئته ، وزين هيئته ، وحث ركابه في طريق ذات عرق ليلقي العراقيات محرمات ، او في طريق الكديد ليتلقى الشاميّات ، او يعرج على المرو ليقابل المدنيّات . ^(٤)

انه الآن في طريق الكديد يرصد الشاميّات وقد بلغه مقدم اميرة أموية معهن كان له معها شأن في بعض المواسم السابقة فيما يزعمون . ^(٥) انها الآن في موكب يلفت الانظار ، فيه من الجوارى ما لم تر الا عين مثلهن . ^(٦) وان موكبها ليضغط مواكب الكثيرين من الحجاج فيفرقهم ذات اليمين وذات اليسار ، فلا يكاد الناس يتساءلون من تكون حتى تسمع اسمها يتردد على افواه الركبان . انها فاطمة ابنة عبد الملك بن مروان ، وان عمر يعلم ذلك وفي نفسه حسرة وخوف . لقد كتب اليه الحجاج بن يوسف هذا العام يتوعده ان ذكرها او عرض باسمها . ^(٧) وها عمر يرى الجمال ولا يجرو ان يدنو منه . لقد تهيأ باجل ما يقدر عليه من الحلل والثياب ، واخذ يرقبها حتى استقرت في قبتها التي ضربت لها في المسجد الحرام . انه يدور حولها ويخشى ان يقول فيها الشعر او يذكرها باسمها فرقاً من عبد الملك والحجاج . ^(٨) ولعل فاطمة لا تعلم بتهديد الحجاج لعمر ، ولعلها ترغب ان يذكرها عمر . قال الجاحظ : فكانت تتطلع الى عمر كثيراً وكانت تسأل من دخل عليها عنه

(١) الازرقى ١ : ٣٦ و ٢٤٠ والاصبهاني ١ : ٧٦ - ٨١ و ٦٧ : ١٠ و ٦٠ : ١١ و ٤٩ :

(٢) العمري ١١٥ وفيه عن منى : وكانت في قدم الاسلام موسم لقاء الجانب .

(٣) الاصبهاني ١ : ٨٨

(٤) ابن ابي ربيعة (ش) ق ٢٥٢

(٥) الاصبهاني ٢ : ١٢٨

(٦) الاصبهاني ١ : ٧٧

(٧) ٧٨ : ١ " (٨)

(٨) ٧٨ : ١ " (٧)

رجاء ان يكون قد قال شيئاً ، فلم يفعل حتى قضت الحج .^(١) لقد ارتحلت الآن فلم يستطع عمر ان يملك نفسه اكثر مما فعل فيقول فيها الشعر ولكنه لا يذكر اسمها :

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا اطيق الكلام من شدة الخوف م ودمي يسيل كل مسيل^(٢)

وكيف تعلم فاطمة ان عمر قال فيها الشعر ؟ زعم الجاحظ انها حين رحلت تولت من مكة على اميال ، فاقبل راكب من مكة ، فسألته : من اين اقبلت ؟ قال : من مكة . قالت : عليك وعلى فرقة انت منها لعنة الله ! قال : ولم يا ابنة عبد الملك ؟ قالت : قدمنا مكة فاقفنا شهراً فما استطاع الفاسق عمر ابن ابي ربيعة ان يزودنا من شعره ابياتاً كنا نلهو بها في سفرنا هذا . قال : فلعله قد فعل . قالت : فاذهب اليه واسأله ولك في كل بيت تأتيني به منه عشرة دنانير . فاقبل الرجل واتى عمر ابن ابي ربيعة فاخبره الخبر . فقال له : قد فعلت ، ولكن احب ان تكتم علي . قال : افعل . ثم انشده :

راع الفؤاد تفرق الاحباب يوم الرحيل فهاج لي اطاربي
وفيا يقول :

وعصيت فيك اقاري فتقطعت بيني وبينهم عرى الاسباب
فبقيت كالبريق فضلة مائه في حرّ هاجرة للبع سراب

ثم اتى اليها بالابيات فاعجبت بها وامرت جواريا بحفظها ووفت له بما وعدت .^(٣) ويتنقل عمر بين المواكب يتصفح الوجوه الجديدة ، وهوذا فتاة من اجمل نساء زمانها . زعم بعضهم انها حميرة ، وقال آخرون بل خزاعية ، قد اعتدلت في هودجها ، واستظهرت في هيتها وحسرت بردها ، فلقت نظر عمر ، ووقعت في قلبه ، قال اليها يحادثها ويسائلها ويتعرف اليها عسى ان يجير شأن شؤوناً . فلم يلبثا ان تحاببا وهوذا هو يقول فيها نونيته المشهورة :

اصبح القلب في الحبال رمينا مقصداً يوم فارق الطاعنين^(٤)

(٢) الاصبهاني ١ : ٧٨

(٤) الاصبهاني ١ : ٨٦-٨٨

(١) الجاحظ (م) ٢٣٥

(٣) الجاحظ (م) ٢٣٦

ويطوف عمر في موسم آخر بين مواكب الحجّاج ، وهي ذي عاشة بنت طلحة تخرج ،
واذا حجت عاشة فانما تسير في موكب يلفت الانظار ، وواحد عليها القباب ، وبغال
عليها الموادج ، وخدم وحشم وموال ، وهي على بغلتها الشبهاء وامامها حادٍ يحدو بها :
عائشاً يا ذات البغال الستين لا زلت ما عشت كذا تحجبين^(١)

وها هي ذي قد هيأت نفسها للطواف ، وها هو يرقبها لكي يوافقها وهي ترمي الجمار .
انه يطوف حولها ليرى وجهها ، وهي تداريه وترفق به خوفاً من ان يتعرض لها ، ولكنه
يباغتها عند رميها الجمار سافرة ، فينظر اليها ، فتقول : اما والله لقد كنت لهذا منك
كارهة يا فاسق ! فينصرف عمر ليقول فيها :

يا ام طلحة ان البين قد افدا قلّ الثواء لئن كان الرجل غدا
امسى العراقي لا يدري اذا برزت من ذا تطوف بالاركان او سجدا^(٢)

ويراها في وقت آخر وهي تريد الركن تستلمه فتبعث اليه بخاريته تقول له : اتق الله
ولا تقل هجراً فان هذا مقام لا بد فيه مما رايت . فيقول للجارية : اقربها السلام وقولي
لها ابن عمك لا يقول الا حسناً.^(٣)

وقر ايام الحج سراعاً وقلبه مقسوم بكل مكان ، لا يكاد يترك جميلة حتى يتلقى
أخرى ، ولا يكاد يشيع حبيبة حتى يعلق أخرى ، يتحدث مع هذه ، ويتودد الى تلك ،
ويضرب موعداً مع ثالثة ، ثم تنقضي هذه الايام وهو لم يرتو منها ، وقد قضى وقته بين لقاء
وداع ، وسلام واجتماع ، وحديث وعيبٍ وهو ، فما تكاد تنفرق مواكب الحجّاج
ويسير كل غريب عائداً الى وطنه حتى تراه وقد جزع وتحسر على فراقهم ، وتلف على
كل لحظة فاتت ولم يتمتع بها بذلك الجمال الذي كان يقصده ، او يهنأ بذلك الحب الذي
كان ينشده ، فيصرخ من اعماق قلبه :

ايها الرائع المجدد ابتكارا قد قضى من حامة الاوطارا
من يكن قلبه صحيحاً سليماً ففؤادي بالخيف امسى معاردا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجة واعتمارا^(٤)

(١) الاصبهاني ١ : ٨١ و ١٠ : ٦٠ وراجع جيبور (ع) ١ : ١١٠

(٢) الاصبهاني ١ : ٨١-٨٠ (٣) الاصبهاني ١ : ٨٠

(٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٦٦

فيجييه صاحبه ابن ابي عتيق : الله ارحم بعباده ان يجعل عليهم ما سألته ليمّ لك فسقك .^(١)

ويعود عمر الى نفسه - وقد غمرتها روعة تلك الايام - فاذا بها تذوب شعراً رقيقاً ينثره وراء الغانيات فينتشر في مواكب الحبيج ويتغلغل بين الركبان ، فلا يكاد يصل هؤلاء الى المواطن التي وفدوا منها حتى يروا هذه النفثات السحرية قد وصلت قبلهم اليها واستقرت فيها . وهو في بعض هذا الشعر يحاول ان يتعزى ويتأسى فلا يرى ما يسلي به عن نفسه او يردّ اللوم على عاذله سوى الامل بلقاء الاحبة في الموسم القادم :

فقلت له ما من عزاء ولا أسى
وما من لقاء يرتجى بعد هذه
فها تردوا للذي بي من الجوى
بمسلى فؤادي عن هواها فاقصر
لنا ولهم دون التناف المحصر
والآ فذعني من ملامك واعذر^(٢)

وكانت النساء تعرف ميل عمر الى العبث ايام الحج ، فكان منهنّ من تخشاه وتنفر منه اذا هو الخ في ملاحقته لها ، فقد حبت مرة امرأة^(٣) رآها عمر وهو يطوف فاعجبه جمالها ، فدنا منها يكلمها ، فلم تلتفت اليه ، فلما كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى اصابها ، فعرض لها ، فقالت : اليك عني يا هذا ! فانك في حرم الله وفي ايام عظيمة الحرمه . فالح عليها يكلمها حتى خافت ان يشهرها ، فلما كان في الليلة الاخرى قالت لاخيا :^(٤) اخرج معي يا اخي فارني المناسك فاني لست اعرفها . فاقبلت وهو معها ، فلما رآها عمر اراد ان يعرض لها ، فنظر الى اخيا معها ، فعدل عنها ، فتمثلت المرأة بقول جرير :

- (١) الاصبهاني ١ : ٦٩ (٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١٩٤ وراجع طه حسين ٢ : ١٤٤-١٤٥
(٣) في الاصبهاني ١ : ٦٥ اخا امرأة ابي الاسود الدؤلي ، واخا اخبرت زوجها بامر عمر فأتى يطلبه ، فرآه في المسجد ، وهو جالس مع قوم ، فعاتبه بايات شعرية ، فوعده عمر انه لا يعود لكلامها ، ولكنه حث بوعده ، فعادت المرأة وشكته الى زوجها ، فعاتبه مرة ثانية ، ثم خرجت المرأة وخرج معها ابو الاسود مشتملاً على سيف ، فلما رآها عمر اعرض عنها ، فتمثل ابو الاسود بالشعر المذكور في آخر القصة . ومن الغريب ان ابا الفرج يذكر اخبار ابي الاسود في باب خاص فلا يذكر بينها قصته هذه مع عمر ، ويذكر في هذا الباب بعض الايات الشعرية التي عاتب فيها ابو الاسود عمر ولكنه ينسبها لحادثة وقعت بين ابي الاسود وجار له من بني حليس بن يعمر كان يتعرض له ويؤذيه [الاصبهاني ١١٦ : ١١٧] كذلك تنسب الايات الاخرى لابي العباس الاعمى مولى بني الدليل [الاصبهاني ١٥ : ٦٣]
(٤) في الديميري ١ : ٢٣٦ « انت محرماً لها » وفي ابن قتيبة (ع) ٢ : ١٠٩ اخا امرأة من كلب حبت مع زوجها .

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتنتقي صولة المستأسد الضاري^(١)

وكان منهن من كانت تجزع اذا رآها خوفاً ان يفضحها في شعره وقد مر بموكب قتاة
فاذا بعجوز تناديا : يا نوار استتري لا يفضحك ابن ابي ربيعة^(٢) .
وكان منهن من سمعت باسم عمر فاستهواها ، فلم تر بأساً في ان تقابله ايام الحج وتتحدث
معه . ولقد روي ان بنتاً لمحمد بن الاشعث كندية حجّت ومعاها امها ، وكانت الفتاة قد
سمعت بعمر فارسلت اليه فجاءها ، فارسلت بينها وبينه سترأ رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها ،
فجعل يحدثها حتى استنشده ، فانشدها قصيدته :

تسط غداً دار جيراننا وللدار بعد غير ابد

فاستخفها الشعر ، فرفعت السجف ، فرآها عمر واعجبها جمالها ، فخطبها وارسل الى امها
بخمسة دينار ، فابت وحجبت وقالت للرسول : تعود الينا . وكان الامر غم الفتاة
فقال لها امها : قد قتلك الوجد به فتزوجيه ا قالت : لا والله ! لا يتحدث اهل العراق
خلني اني جئت ابن ابي ربيعة اخطبه ، ولكن ان اتاني الى العراق تزوجه . وتذهب
الرواية الى انه سار يشيعها عند عودتها من الحج ، وقال فيها الاشعار^(٣) .
وكان عمر حريصاً على الا تفوته فرصة تيسر له الالتقاء بصاحبة يعرفها ، او غانية حدث
عن جمالها ، فيدنو من هذه متعرفاً اليها ، ويتقدم من تلك مجدداً معها قديم العهود . وكان
يضعن على نفسه ان يمر الموسم دون ان ينال حظّه من اللهو فيه .
والرواية يحدثوننا ان امرأة محرمة مرّت به فهاجه الشعر فدعا بكثف وكتب الشعر
عليه وبعث به اليها وكان ابن ابي عتيق معه فقال له ماذا تريد الى امرأة مسلمة محرمة
تكتب اليها بمثل هذا الشعر ؟ قالوا فلما كان بعد مديدة اتى عمر جوابها فدعا بابن ابي عتيق
وقراه له^(٤) .

وكان اكثر ما يعرض للحواج في الليالي ، مظلمة كانت او مقمرة :

ما تلتقي الا اذا نزلت منى بفجاءا
في النفر او في ليلة م التعصيب عند حصا^(٥)

(٢) الاصبهاني « د » ١ : ١٥٨

(٣) الوشاء ١ : ٤٥ والمبرد ١ : ٤١٢

(١) الاصبهاني ١ : ٢٧

(٣) " ١ : ٤١-٤٢

(٥) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٢ : ٢٩٤

على ان نور النهار لم يكن ليمنعه من ان يدور حولهن ليتعرف اليهن ، فكان يرقبهن عند سعيهن وطوافهن وكان يرصدهن اذا رمين الجمار ، ويذاهن عند تقييل الحجر الاسود .^(١)

وقال يصف حواراً بين فتاتين من صواحبه يذكر فيه ان احدهما نصحت رفيقتها ان تستلم الحجر حين يدنو عمر منه ، وان تُشفَّ بردها كي تشوقه اذا نظر اليها :

واری شوقی سبقتنی	وحبيب النفس ان هجرا
ان نومي ما يلائي	اجله يا اخت ان ذكرا
فاجابت في ملاطفة	اسرعت فيه لها الخورا
انتي ان لم امت عجلًا	ارتجبي ان راح او بكرا
فاذا ما راح فاستلمي	ان دنا في طوفه الحجرا
واشفي البرد عنك له	كي تشوقه اذا نظرا
فارتقي مسفراً حسنًا	نخلته اذ اسفرت قمرا

الى آخر الايات .^(٢)

ولسنا نغالي اذا زعمنا ان شعره يعجب بوصف هذه الحياة التي كان يحياها في موسم الحج . ويظهر من هذا الشعر ان لهوه كان على نوعين : احدهما لهو بري : لم يتعدَّ النظر والحديث ، وكان صاحبنا حريصاً على ان يصف هذا العبث البري . كما هو ، فيذكر فتاته ويصف جمالها ويشير الى ان غايته من التعرُّض لها انما هي التعرف اليها والتحدث معها ، بل انه كان يذكر في بعض الاحيان انه لم يحظ من فتاته باكثر من نظرة تركته بعدها قلقاً مضطرباً يعد نفسه الحول ليراه ثانية حين يوافي مكة الحبيب :

فلا رابت الحبس في رسم منزل	سفاهاً وجهلاً بالفؤاد الموكَّل
فقلت لهم سبروا فان لقاءها	توافي الحبيب بعد حول مكمل ^(٣)

وكان يكتفي في بعض الاحيان بوصف الفتاة ومدحها وذكر نسبها الكريم :

(١) قال ابن قتيبة (ش) ٣٤٨ « كان عمر فاسقاً يتعرض للنساء المواج في الطواف وغيره من مشاعر الحج ويشب جن » وانظر البغدادي ١ : ٢٤٠

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٨٠-٢٨١ (٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٥٠

طافت بنا شمس عشاء ومن رأى من الناس شمساً بالعشاء تطوف
ابو أمها اوفى قرشم بذمة وامامها اما نسبت ثقيف^{١)}

ولنذكر ان اكثر بنات الاشراف في ذلك العصر لم يرين حرجاً في ان يتحدثن الى
شاعرٍ مثل عمر يستشندن الاشعار ويسألنه ان يقصّ عليهن بعض اخباره ، ولم يكن يطمح
عمر ان ينالَ منهن اكثر من نظرة او حديث او ابتسامة رضى واستحسان . اصف الى هذا
ان عمر كان احياناً يحفظ للمكان حرمة وللموسم جلاله ومهابته فيرتدع عن بعض غيه :
نظرت اليها بالمحصب من مني ولي نظر لولا التخرج عازم^{٢)}

والنوع الآخر هو فيه دعاية وفسق ومجون ، ويظهر ان شيطان الاثم كان يلتمّ به
فيزين له ان موسم الحج خير فرصة تيسر له اللهو ، وانها ايام وقرة ، فينسى انه في حرم
الله وانه في موسم ينبغي الناس فيه اجراً وحسبة ، فلا يكاد يعزم على ان يكون حجه
مبوراً حتى يصرفه عن عزمه شيطان الغواية فيعود مثقلاً بالاوزار :

وخرجت ابني الاجر محتسباً فرجعت موفوراً من الوزر^{٣)}

وهل يستطيع ان يصبر عمر عن اللهو والجمال مائل امامه ؟ اسمعه يقول :

فلم أر كالتجبر منظر ناظر ولا كلبالي الحج افلتن ذا هوى
وكم مالى عييه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى^{٤)}

ويقول :

دار التي صادت فؤادك اذ بدت بالحنف لا النف اهل الموسم
قالت لآتة رداح عندها كالرم في عقد الكتيب الاجم
هذا الذي منح الحسان فؤاده وشركته في مخه والاعظم ؟
قالت : نعم ! فتكبي بي ، انه ذرب اللسان إخاله لم يسلم^{٥)}

ولم تكن كل النساء اللواتي تعرضن لعمر من بنات الحسب والشراف ، او من
ذوات المكانة والعفة والاخلاق ، بل كان بعضهن يتصدّين له احياناً فيسهلن له سبل الغواية :

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٧٨

(٤) الاصبهاني ٨ : ٥٦

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٦٤-٣٦٥

(٣) الاصبهاني ٢ : ٧٣

(٥) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٩٧

ما زال طرقي يمار اذ نظرت حتى التقينا ليلاً على قدر
ابصرها ليلةً ونسوتها يمشين بين المقام والحجر
يضاً حسناً نواعماً قطعاً يمشين هوناً كمشية البقر
قالت لترب لها ملاطفةً لتُفسدن الطواف في عمر
قومي تصدي له ليعرفنا ثم اغمره يا اخت في خفر
قالت لها قد غمرته فاني ثم اسطرت تسى على اثري^(١)

ويذكر عمر في بعض هذا الشعر المواضع التي كان يلتقي فيها بصواحيبه ، او يعين الزمن
بحيث يكاد يشعر القارئ الآن ان هذه الحوادث واقعية :

قد هاج حزني وعادني ذكرى يوم التقينا عشية النفر
بالفج من نحو دار عقبه والحج م سريع الطواف والصدر

الى ان يقول :

قالت لترب لها منعمةً كالزئيم يقر نواعم الشجر
هل من رسول يكمي حوائجنا بحاجة تشتهي الى عمر
فجاءني ناصح أخو لطف فقال في خفية وفي ستر
تقول ان لم تترك من حذر م الكاشح والحاسدين لم تزر
لما أتاني خرجت في لطف بقاطع الشفرتين ذي اثر^(٢)

ويقول في اخرى :

قادت العين اليها قلبه عقب الشربق من يوم الاضاح^(٣)

وله في اخرى :

ولست بناس مقال الفتاة غداة المحصب اذ جمروا
الست ملماً بنا يا فتى اذا نام عنا الاولى تحذروا
فقلت بلى اقعدني ناصحاً ينقض عنا الذي ينظروا

الى ان يقول :

فبت وليلي كلا او بلى لدجا وبلى ليالي اقصر^(٤)

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٥٠ و (ش) ق ٢٨ والاصمعياني ٧٠ :

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٥٨ (٣) ابن ابي ربيعة (ع) ١٣٦

(٤) " " " " ٢٩٦ وفي هذه القصيدة اشارة صريحة الى فسقه

وله يصف عبثه مع فتاة كانت في الحج لعلّه لم يعرفها من قبل :

هاج فؤادي موقفٌ ذكّرني ما اعرفُ
ممشاي ذات ليلةٍ والشوق مما يشغفُ

الى ان يقول :

قلت لها من اتم لعلّ داراً تسفُ
فابتسمت عن واضحٍ غرّ الثنايا ينطفُ
واومضت عن طرفها يا حسنّها اذ تطرفُ
وارسلت فجاءني بناصاً المطرفُ
ان بت لدينا ليلةً نجني جماً ونلطفُ

الى ان يقول :

لما دنا تفاربٌ من ليلنا ومصرفُ
قالت لنا ودمعها وجدداً علينا بذرفُ
لهفأً وليس نافعي عليكم التلهفُ
قالت ولم تسألنا والدار عنك تصرفُ
والدار عنك غربةً ونأينا مستشرفُ
نحن حجيح ضمناً فمن يرى المرف^{١)}

وهكذا فقد انتهى امره مع بعضهن الى الاثم والفساد ، والرواة يحدّثوننا ان نسوةً من جواري بني اميةً حجبجن فتعرّض لهن عمر وحادثهن وناشدنهن مدة ايام الحج ، ثم كان له معهن شأن ان صحت التفاصيل فيه فهو غايةٌ في المحجور^(٢) . ولكن اكثر هذا العبث او الفسق الذي عرف به عمر وقع بعد انتهاء موسم الحج فمن الخير ان نفرد له باباً خاصاً عند درسنا اخلاقه ، ومن يدري فلعل عمر كان يتخذ الحج وسيلةً يتعرف بها الى صاحباته ، حتى اذا انقضى الموسم سعى في تمكين هذه العلاقات ليصل الى مبتغاه وليتم له لهوه . ومهما يكن من امر فقد كان يشعر عمر في ارتكابه الاثم في الحج حين قال :

يقصد الناس للطواف احتساباً وذنوبي مجموعة في الطواف^(٣)

(٢) الاصبهاني ١ : ٧٠

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٥٥-٢٥٨

(٣) ابن قتيبة (ع) ١٠٧ : ٦

اخلاقه

دوره واعماله بنفسه

واذا ما عثرت في مرطها خضت باسمي وقالت يا عمر

لست اذكر اين قرأت في صغري ان حفيداً للملكة لعلها الملكة فكتوريا كان يرى - وهو صبي - انه اغز شخص في العالم ، ذلك انه كان يحسب ان مملكة جدته هي اعظم مملكة في العالم ، وان الملكة باسرها هي تحت امرة جدته تستطيع ان تتصرف في امورها كيف تشاء ، وكانت جدته تحبه فكان يرى انه اغز شخص لديها ، له دالة عندها يستطيع بها ان ينال ما يشاء او يفعل ما يشاء في مملكتها ، واذاً فهو يزعم انه اغز شخص في العالم . ولعل شيئاً من هذا قد كان بنفس صاحبنا عمر . إنه من قريش ، وقريش اسباد العرب ، وهو من مخزوم ، ومخزوم ريحانة قريش ، وهو بعد من بني المغيرة رؤوس بني مخزوم وموضع فخارهم ، وقد أوتى فوق هذا النسب الكريم حظاً عظيماً من الغنى والجمال والفصاحة والشعر ، ونال حظوة في عين النساء ، واذاً فلنبدل على اقارانه ، وليعجب بنفسه ، وليكن تياًها ، فهو من قوم كرام النجار لاقدامهم صيغت رؤوس المنابر :

فاني من قوم كرام فخارهم لاقدامهم صيغت رؤوس المنابر^(١)

والواقع انه نشأ تياًها مغروراً غوراً بنفسه وبآبائه وبقبيلته ، شاعراً بمكانتهم وعزهم بين العرب . لا يرى احداً يستطيع ان ينال منهم :

أبى لي عرضي ان أضام وصارم	حسام وعز من حديث واول
مقيم باذن الله ليس بيسارح	مكان الثريا قاهر كل منزل
اقرت معداً اتنا خيرها جدى	لطالب عرف او لضيف محمل
مقاويل بالمعروف خرس عن الحنا	قضاة بفصل الحق في كل محفل
اخوهم الى حصن منبع وجارهم	بعلياء عز ليس بالمتذلل

وفينا اذا ما حادث الدهر اجعفت نوابه والدهر جم التنقل
لذي الغرم اعوان وبالحق قاتل وللحق تباع وللحرب مصطل
وللخير كتاب والمجد رافع وللحمد اعوان وللخير معتل
نيح حصون من نغادي وحصننا اشم منيع حزنه لم يسهل
تقود ذلولاً من نغادي وقرمنا ابي الفباد روقه لم يغلل
اولئك آباي وعزي ومغلي اليهم ائبل فاسألني اي معقل^١

ولعل القارى قد لمس هذه الناحية من خلق عمر في خبر مفاخرته للفضل بن عتبة الليبي في المسجد الجامع ، ومع اننا قد ابدينا شكنا في صحة هذا الخبر فاننا نخير لانفسنا الان قبول ما تمثله من شعور بني مخزوم عامة وعمر خاصة او شعور الرواة على الاقل في عز هؤلاء القوم ومجدهم وكرمهم ، واعجاب عمر بآله ، بحيث اختاره هؤلاء الرواة في قصصهم ليفاخر هاشمياً يفخر بالنبي وآله .

وليس ادل على هذه الظاهرة في خلق عمر من اخباره مع الخلفاء او الامراء حين كان يراهم في الحجاز . انه يرد على عبد الملك تحتها الساخطة بتحية مثلها . ويقول لسليان ابن عبد الملك : اني لا امدح الرجال انا امدح النساء . ويتحدث مع الوليد وهو يرافقه الى الطائف تحدث الند الى الند ، ويرى الناس ضحك الوليد اثناء الحديث فيسألون عمر عن الامر ، فيقول : والله ما زلنا في حديث الزنا حتى رجعنا .^٢ ويقصده امير مكة الحارث بن خالد راجياً اياه ان يرافقه الى حلقة هو وغناء ، فيتكلف عمر التعب والمرض والعناء ، ولم ينهض الا بعد ان اغراه بمحدث النسوة وصوت الغريض .^٣

ومن يقرأ شعر عمر يشعر بروح الدل والتهيه فيه . فعمر يزعم ان النساء هن اللواتي يطلبن ، فهو البغية والامل والمنى ، وهو القمر المشرق بنوره في سمائهن ، يقصدنه اذا تحلف عنهن ، ويطلبن رضاه اذا عتب عليهن . انه قرّة العين وهم النفس ، يتجسّمن طول السهر من اجله ، ويشققن الجيوب لبعاده . واذا كان شي من هذا صحيحاً ، واذا كانت النساء ترغب في لقاءه حقاً ، وتتنافس في التقرب اليه ، وتحبّ التحدث واللهو معه ، افلا يحق له ان يفتن ويتيه ؟ بلى ! اسمعه يصف مجلساً لصاحباته تحاطب فيه احداهن اترابها ، فيقول :

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٥٣

(٢) الاصبهاني ١ : ٥٠

(٣) الاصبهاني ٦ : ٨٥

قد خلونا فتمنين بنا
فعرفن الشوق في مقلتها
قلن يسترضينها منيتنا
بينما يذكرني ابصرني
قلن تعرفن الفتى قلن نعم
اذ خلونا اليوم نبدي ما نسر
وحباب الشوق يديه النظر
لو ائانا اليوم في سر عمر
دون قيد الميل يعدو بي الاغر
قد عرفناه وهل يخفى القمر ؟^{١)}

واسمعه يقول :

قالت لتربها لعمر كما
اني كأن النفس موجبة
فاجابها في مهزلة
اننا لعمر ك ما يخاف وما
لو كان ياتينا بجاهرة
قالت لها الصغرى وقد حلفت
فتنفس صعدا خلفتها
وجرت ماقها بادمها
يارب اني قد شغفت به
هل تطمعان بان نرى عمرا
ولذاك اطمع انه حضرا
واسرنا من قولها سخرنا
نرجو زيارة زائر ظهرا
فيمن ترين اذا لقد شهرا
بافه لا ياتيكم شهرا
وهوت فشقت جيها فطرا
جزعا وقالت حب من ذكرنا
اعقب فوادي منهم صبرا^{٢)}

ويقول واصفا قدوم حبيبته اليه وقد تطيبت بالمسك :

لم يرعني بعد اخذي هجمة
قلت من هذا فقالت هكذا
غير ربح المسك منها والقطر
انا من جشمت طول السهر^{٣)}

ويقول واصفا حب صاحبه له وتعلقها به :

وانما حلفت بافه جامدة
ما وافق النفس من شيء تسر به
وما اهل له الحجاج واعتسروا
واعجب العين الا فوقه عمر^{٤)}

ويقول :

تقول وعينها تذري دموعا
الست اقر من يمشي لعيني
لها نسق على الحدادين يجري
وانت الهم في الدنيا وذكري^{٥)}

وله يصف تالم صاحبه لصدوده وهجره ويذكر عزمها على استرضائه :

- | | |
|---------------------------|---------------------------|
| (١) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٦٤ | (٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٧٣ |
| (٣) " " " " ٣٦٠ | (٤) " " " " ٣١٤ |
| (٥) " " " " ٣٢٨ | |

التي قالت لجارات لها ويح قلبي ما دمي عمرا
فيم اسمي لا يكلعنا وإذا ناطقته بسرا
أبه عتي فاعشه أم به صبر فقد صبرا^(١)

انه يرى نفسه مئى صاحبه وموضوع حديثها ، تردد ذكره ، وتهذي به ، وتلهج بحبه ،
وتتقرب اليه :

قالت نشدتك يا لبابُ لم يكن كبر المني وبه حديثي اجمع^(٢)

وقال :

قالت موكلة يحفظ كلامها لعلم أحاط النعيم شبابه
أخشي عليه العين ان بصرت به وترى صابئنا به فتهابه^(٣)

وقال :

تلك التي قالت لجارات لها حور العيون كواعب اتراب
هذا المغيري الذي كنّا به خذي وربّ البيت يا اترابي^(٤)

واسمعه يقول أيضاً :

مرحباً ثم مرحباً بالتي قالت م غداة الوداع يوم الرحيل
للثريا قولي له انت همي ومئى النفس خالياً والجليل
فالتقينا فرحبت ثم قالت عمرك الله ايتنا في القيل
في خلاه كما يرينك عندي فيصدقني فذاك قبيلي
لم يرهن عند ذاك وقد جئت م لمياعدهن الأ دخولي
قلن هذا الذي تلومك فيه لا تحجني من قولنا بفنيل
فصلبه فلن تلامي عليه فهو اهل الصفاء والتويل
قالت انصتن واستمعن مقالي لست ارضى من خلتي بقليل
قد صفا العيش والمغيري عندي حبذا هو من صاحب وخيل^(٥)

أرايت الى اي حد كان تيهه ودله ؟ أرايت كيف انه يرى نفسه معشوق الغايات
ومناهن ؟ انهن يتهاكن عليه ، ويستبقن الى حبه ، ويتنافسن في اصفائه الود والصابة ،

(٢) ابن أبي ربيعة (ع) ٢٢٤

(٤) " " " " ٧٣

(١) ابن أبي ربيعة (ع) ٢٨٠

(٣) " " " " ٦٤

(٥) " " " " ٤١٥

وان صاحبه لتفتخر امام اترايا بحبه وترعم لمن ان لها مكاناً في قلبه ثم تدعوه ان يزورها ليرينه عندها فيصدقنها . وهل بعد هذا العجب من مزيد ؟ انه يزعم ان صاحبه كابدت عناء السفر الى مكة في الحج لتراه ، ولولاه لم يكن لها حج ذلك العام ولا طواف :

اومت بعينها من الفودج لولاك هذا العام لم احجج
انت الى مكة اخرجتني ولو تركت الحج لم اخرج^{١)}

بل قد غلا في تيهه حتى زعم ان صاحبه اذا عثرت في ازارها نهضت هاتفة باسمه مستنجدة به .

واذا ما عثرت في مرطها خضت باسي وقالت يا عمر^{٢)}

ولقد احس القدماء من معاصري عمر والمتأخرين عنه بهذه الظاهرة في خلقه وشعره ، فقال الحارث بن خالد الخزومي عنه : كان عمر مهيباً معظماً لا يقدم عليه سلطان ولا غيره .^{٣)} وسمع ابن ابي عتيق وهو صديقه الحميم ابياته التي يقول فيها : « قد عرفناه وهل يخني القمر » فقال له : انت لم تنسب بها وانما نسبت بنفسك ، انما كان ينبغي ان تقول : قلت لها ، فقالت لي ، فوضعت خدي ، فوطئت عليه .^{٤)} وزار عمر مرة الشاعر كثير غزوة ، وكان مع عمر جماعة من اصحابه ، جلسوا وتحدثوا قليلاً ، ثم اقبل كثير على ابن ابي ربيعة ، فقال له : يا اخا قريش والله والله لقد قلت فاحسنت في كثير من شعرك ، ولكنك تخطئ الطريق ، تشبب بها ثم تدعها وتشبب بنفسك ، اخبرني عن قولك :

قالت لترب لها تحدثا لتفسدن الطواف في عمر

- الى آخر الابيات - اردت ان تنسب بها فنسبت بنفسك ، والله لو وصفت بهذا هرة اهلك كنت قد اسأت صفتها . أهكذا يقال للمرأة ؟ انما توصف بالخفر وانها مطووبة بمنعة .^{٥)}

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٢٢

(٢) الاصبهاني ١ : ١٠٥ و ١٠٦

(٣) الاصبهاني ٦ : ٨٥

(٤) المرزباني ٢٠٤ وفي الاصبهاني ١٦ : ٩٥ ان بنتاً

للجودي بن عدي بن ابي عمرو الفسائي كانت ذات حسن وجمال ودل وتيه وكان لها ولاند وجوار فأذا حلفت احداهن حلفت بابنة الجودي واذا عثرت احداهن قالت يا ابنة الجودي .

(٥) المرزباني ١٦٣ - ١٦٣ وانظر ابن عبد ربه ٣ : ١٦٣

وأشد المفضل بن سلمة أبيات عمر التي يقول فيها :

عاود القلب بعض ما قد شجاه من حبيب امسى هوانا هواه
ما ضراري نفسي بحجرة من م ليس مسيئاً ولا بعيداً نواه
واجتاني بيت الحبيب وما م الخلد باشهى الي من ان اراه

فاخذ يضع من شعر عمر في القزل ويقول : انه لم يرق كبراً رق الشعراء ، لانه ما شكاً قط من حبيب هجراً ، ولا تألم لصد ، واكثر اوصافه لنفسه وتشبيهه بها ، وان احبابه يجدون به اكثر مما يجد بهم ، ويتحصرون عليه اكثر مما يتحصر عليهم ؛ الا تراه في هذا الشعر - وهو من ارق اشعاره - قد ابتدأه بذكر حبيب هواه هواه ، ووصف انه هو هجره من غير اساءة ، واجتنب بيته مع قربه ، وفي غير ذلك يقول : « قد عرفناه وهل يخفى القمر » يصف وصفين اياه بالحسن ، ويقول :

قالت لقيتها واذرت عبدة ما لي ومالك يا ابا الخطاب
اطمعتني حتى اذا اوردتني حلاتي ولم أستتم شراي^{١)}

وشرح البغدادي رائية عمر حتى اذا بلغ الى قول عمر :

قفي فانظري أساء هل تعرفينه اهذا المذبري الذي كان يذكر
اهذا الذي اطريت ذكراً فلم أكن وعيشك انساء الى يوم أقبر

قال : وهذا على طريقته فانه كثيراً ما يتغزل بنفسه زعماً منه ان المحدثات يعشقنه لحسنه وجماله وقد عيب عليه^{٢)} غير ان الاصهاني روى ان الزبير بن بكار قال : ادركت مشيخة من قریش لا يزنون بعمر ابن ابي ربيعة شاعراً من اهل دهره في النسيب ، ويستحسنون منه ما يستقبحون من غيره من مدح نفسه والتجلي بؤدته والابتيار في شعره^{٣)}.

وكانت النساء تعرف هذا التيه في عمر ، فينكر بعضهن على البعض الآخر افتتانهن به ، فقد روى ان احدهن قالت فيه : اما والله لو كنت كبعض من يواصل لما رضيت منه بما يرضين^{٤)}.

(٢) البغدادي ٢ : ٤٢٠

(١) المرزباني ٢٠٤ - ٢٠٥

(٣) الاصهاني ١ : ٥٢ وفيه : والابتيار ان يفعل الانسان الشيء فيذكره ويفخر به

(٤) الاصهاني ١٣ : ٧٨

وغازبته الثرياً مرةً فقالت: والله لئن سلمت له لاردن من شأوه، ولاتنين من عنانه، ولاعرفنه قدر نفسه.^(١)

سهولة خلفه

وكان عمر على تيبه ودله واعجابه بنفسه سهل الطبع، دمث الخلق، حسن المعشر. ولعلّ هذا هو الذي دفع هؤلاء القدماء ان يستحسنوا منه ما يستقبحونه من غيره. ولست اعرف حادثة واحدة تعرض فيها عمر لاحد بخصام او نزاع. وكان يتجنب - وهو مع اصحابه - الظهور بمظهر المتسامي عليهم. ولعلّ هنا خير موضع نقرر فيه ان عمر لم يكن متكبراً قط، فالدلّ والاعجاب شي. والكبرياء شي. آخر.

والرواة يذكرون انه لما انطلق عمر من المدينة راجعاً الى مكة في احدى رحلاته خرج معه الاحوص مشيعاً له، ثم مرّاً على ودّان وبها منزل نصيب فعارضها وصار معها، حتى اذا نزّلوا موضعاً يقال له الجحفة او عُسفان خرج الاحوص لحاجة فرأى كئيباً، فرجع فاخبرهما، فقال عمر: ابعثوا اليه ليصير اليينا. فقال الاحوص: اهو يصير اليك؟ هو والله اعظم كبراً من ذلك وأتية قال: فاذا نصير اليه. فصاروا اليه. وكان كثير سي. الادب في استقبالهم، فقد زعموا انه لم يوسع لعمر ابن ابي ربيعة، وما وقف لاحد، وكان فظاً في حديثه معهم، فاخذ ينقد اشعارهم، ولكن عمر لم يرد عليه ولم يتعرض له بل اكتفى في ان قال لرفاقه لما خرجوا: هذا أخبث مدخول عليه في العرب.^(٢)

وتعرض لعمر شاعر آخر هو الخزيم الكناني فعيره بامور نسبها اليه وهجاه، ولكن عمر كان شريفاً لبقاً في رده عليه، وكان جوابه جدهً مفحماً لمثل هذا الوقح الذي كانت الناس تتقي هجاءه فانه قال له: اذهب! اذهب ويلك! فانك لا تحسن ان تقول:

ليت هنذا انجزتنا ما تد وشففت انفسنا مما تجبد
واستبدت مرةً واحدة انما العاجز من لا يستبد^(٣)

كذلك يجب ان نذكر ان شعره لم يخل من بعض المواقف التي كان يتودد لصاحباته فيها

طالباً رضاءه^١ ، مظهراً شيئاً من الخضوع والانكسار والتذلل للجبية التي علقها . قال :

انت الاميرة فاسمعي لقلاتي
اني اتوب اليك توبة مذنب
حتى اثال رضاك حيث علمته
وتفهمي من بعض ما لم تفهمي
يشئ العقوبة من ملك منعم
بطريف مالي والتلبد الاقدم

الى ان يقول :

لو كفتي اليسى سأتك قطعتها
ولذقت بعد رضاك عيش الاجذم^{١)}

وله ايضاً :

قد تراضيناه عدلاً بيننا
فعليه الآن ان ينصفنا
او يرد الحكم عنه بالرضا
وله الحكم على رغم العدى
وجعلناه اميراً وحكم
ويجد اليوم ما كان حرم
فعلينا حكمه فيما احتكم
لا نبالي سخط من فيه رغم^{٢)}

وله :

ارحمينا يا نعم مما لقينا
عنتك ان تسألني فدى لك نفسي
وصلينا فانعمي او دعينا
ثم تاتين غير ما ترعينا

الى ان يقول :

فلئن كنت قد تغيرت بعدي
ونسيت الذي عهدت الينا
لا تزالين آثر الناس عندي
ورضيت الغداة ان تصرميني
في امور خلون ان تعلمينا
فاعلمي ذاك في الهوى ما حيننا^{٣)}

وله ايضاً :

اعبد ما ينسى مودتك القلب
ولا قول واش كاشح ذي عداوة
وما ذاك من نعمي لديك اصابها
فان تقبلي يا عبد توبة تائب
اذل لكم يا عبد فيما هويت
ولا هو يسليه رخاء ولا كرب
ولا بعد دار ان تأيت ولا قرب
ولكن حباً ما يقاربه حب
يتب ثم لا يوجد له ابداً ذنب
واني اذا ما رامني غيركم صعب

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٥١٧

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٠٠

(٣) " " " " ٥٧٨

واعذل نفسي في العوى فتعوقني وبأصرفي قلب بكم كلف صب
وفي الصبر عمن لا يؤاتيك راحة ولكنه لا صبر عندي ولا لب^{١)}

وله :

بنفسي من اشتكي حبه ومن ان شكك الحب لم يكذب
ومن لا سلاح له يتقى وان هو نازل لم يطلب
ومن لا ابالي رضا غيره اذا هو سر ولم يغضب
ومن لا يطع بنا اهله ومن قد عصيت له اقربي
ومن لو نصاني عن حبه من الماء عطشان لم اشرب
ومن ان تسخط اعتبه وان يرني ساخطا يعتب^{٢)}

ولعل القارىء لاحظ كيف ان عمر يعود الى بعض تيهه ودله بنفسه حتى في ابياته هذه التي يتذلل بها الى صاحبه ، فاذا قال :

ومن ان تسخط اعتبه . عاد فقال : وان يرني ساخطا يعتب

واذا قال :

بنفسي من اشتكي حبه . عاد فقال : ومن ان شكك الحب لم يكذب

فهو يذل وتيهه ، ويخضع ويمتنع ، وينكسر فيتجبر . ويجب ان نذكر ان كثيراً من هذا الشعر الذي اذل نفسه به لا يمثل طبيعته تماماً ، ولعل قسماً منه قد وضع على سبيل الفن ، او ارضاء لهؤلاء الذين نعوا عليه تيهه ودله في غزله فقالوا له : ما هكذا توصف الفتاة . وقالوا له : كان يجب ان تقول وضعت لها خدي فوطئت عليه .
وسنختم هذه الكلمة بيت شعر له يمثل حالتيه في ذله ودله ، او ان شئت فقل يمثل فته في هذا الباب :

قلت يا سيدتي عذبتني قالت اللهم عذبي اذن^{٣)}

الخام

فاذا نعمة تراعي نعاماً ومهاً جمجج المناظر عينا
قلت : من انتم ؟ فصدت وقالت : أمبد^{٤)} سؤالك العالينا ؟

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٥

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٣

(٣) " " " " ٥٦٦

وبلغ الثريا هذا البيت الاخير

فقلت : انه لسأل ملح .

انه لسأل ملح ملح فيا يحاول او يسعى اليه ، يكاد لا يعرف اليأس ولا الملل ، يواظب على الشيء الذي يحاوله حتى ينال مبتغاه منه ، ويجد وراء غرضه حتى يقضى ، ويلج في طلب حاجته حتى تدرك .

وقد يبدو لأول وهلة ان هذه الظاهرة من خلقه لا يمكن ان تجتمع مع تبه ودله وغروره ، ولكن من ينعم النظر يرى انها اقرب ما يكون الى هذا الدل او الغرور ، بل لعلها اثر من آثاره ، فهو اذا طلب حبيبته فتمنع عليه أبت عليه نفسه المقتونة العنيدة ان يتخذل في هذا السعي ، فلا يزال وراء حبيبته ملحاً ملحاً حتى ينال وطره منه ، وهناك يعاوده تبه وغروره فيفخر في أنه اخضع هذا المتمنع وقد جاء دوره ليدل وتبه .

ونلص هذه الناحية من خلقه في اكثر الاخبار التي ذكرها الرواة عنه ، وفي القصص التي تنسب وقائعها اليه فيما يتعلق بحبه ولهوه مع صاحباته وسواهن .

ولعل القارىء لا يزال يذكر خبر عمر مع تلك المرأة المحرمة التي كانت تردده كلما عرض لها ، فان الرواة يزعمون انه ظل يلج عليها حتى استنجدت برجل من ذويها يدفع عنها شر عمر ، فلما طاف قريباً معها عدل عمر عنها .

ولم يكن زواجه من كلثم بنت سعد المخزومية الا نتيجة الحاحه وسعيه الخيث وراءها ، فقد كان يرسل اليها رسله فتضربهم وتؤذيهم وتحلفهم الا يعاودوا ، فيتحامونها ، فيعود عمر ويرسل غيرهم حتى افلح في مهمته . وقد احتست هي نفسها هذا الامر وادركت هذا الخلق فيه فقالت للجارية بعد أن قرأت رسالة عمر اليها : انه خذاع ملق^(١) وليس لما شكاه اصل . فقالت الجارية : وما عليك يا مولاتي من امتحانه ؟ قالت : قد اذنت له وما زال حتى ظفر ببغيته^(٢) .

ولعبر قصة أخرى روى الرواة انها وقعت له مع رملة اخت عبد الملك بن مروان ، وزعم عمر فيها ، وهو يقصها عن نفسه ، انه عندما زارت رملة الحجاز رغب في ان ترى عمر وتحادثه دون ان يعرفها ، ولكن عمر استطاع بمهارته ان يعرف انها رملة . وتذهب الرواية الى انها ارتحلت عائدة الى الشام فارتحل هو الآخر معها ، وجعل يتزل بتزولها ويركب

بركوبها حتى كادوا يبلغون الشام . ولم يرجع عنها ممر آلا بعد ان اخذ منها قيصاً يذكرها^(١) به . والرواية في رأينا مخترة ولكن المخترع قد استعار فيها ما يدل على هذه الظاهرة من خلق عمر خير دلالة .

وشيء . مثل هذا رويناه عن عمر وفاطمة بنت عبد الملك ، فانها حين حجت بعث الحجاج اليه يتهدده ان ذكرها بشعره ، ولكن عمر جعل يدور حولها حتى رآها ، وقال فيها الشعر دون ان يذكر اسمها .

ولعل زواج عمر من الفتاة الجميلة لم يتم لولا الحاحه في طلبها وسعيه المتواصل وراءها حتى بلغ الى ما يريد .

ويذهب بعض الرواة الى ان نونية عمر المشهورة :

اصبح القلب في الجبال رهينا مقصداً حين فارق الطاعينا

قالها في امرأة اسمها رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية ، وزعموا ان الثريا محبوبته سمعت ابيات هذه القصيدة في رملة فهجرته ، وقد علقت الثريا على الابيات تعليقاً صورت به هذه الظاهرة في خلق عمر - وهي ادري الناس بعمر - خير تصوير . قالوا : لما انشدتها ام نوفل قول عمر :

اصبح القلب في الجبال رهينا مقصداً يوم فارق الطاعينا

قالت الثريا : انه لو قاح صنيع بلسانه ، ولئن سلمت له لأردن من شأوه ولأثنين من عنانه ولا عرفته نفسه . فلما بلغت الى قوله :

قلت من اتم فصدت وقالت أميد سؤلك العالمينا

قالت : انه لسأل ملح ولقد اجابته إن وف^(٢) .

وقد وصف عمر الحاحه في هذه القصيدة نفسها حين قال :

فأرت حرصي الفتاة فقلت خبريه من اجل من تكتميني

ولقد احسن القدماء بهذا ، فقال ياقوت : كان عمر كثير المخاطبة للنساء .^(٣) وقال

(١) الجاحظ (م) ٢٤٧ والاصماني ١ : ٧٦ وليلاحظ الاختلاف بين الروايتين

(٢) ياقوت ٢ : ٢٨١

(٣) الاصماني ١ : ٨٦

الريائي : ان عمر كان قد ألح على الثريا بالهوى فشقت ذلك على أهلها .^(١) وذكر الاصمعياني أنه لما كانت الثريا تصيف بالطائف كان عمر يغدو كل غداة على فرسه يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار من قبلهم .^(٢) ولم يكن عمر يقصد من هذا غير «سماع اخبار الثريا» . حديثه او حديث عنه .

ويظهر ان أكثر صاحباته كنَّ يعرفن هذا الخلق فيه ، وكان بعضهن يلينه عليه ، وله شعر في غانية أحبها يزعم فيه انها اخذت عليه سعيه المتواصل وراء النساء غير آبه للوم اللوام .

وكنْتَ تبوعاً للهوى مصحّباً له	اذا اعجبتك الآتات التواغم
تكلف افراس الصبا تعباً له	ولست تبالي ان تلوم اللوام
ووكلت افراس الصبا بطلاجاً	زمانا فقد هانت عليك الملاوم ^(٣)

وقال في أخرى يصف شعورها بالحاحه :

قالت سبعة والدموع ذوارف	منها على الخدين والجلباب
ليت المنبري الذي لم نجزه	فيا اطال نصيدي وطلابي ^(٤)

وله من شعر يذكر فيه رأي فتاته حين لامته على الحاحه في حبه وتسرعه في الدخول الى خباياها دون خوف او خشية من رقيب ، فيقول :

فقلت دعاني حبكم فاجبته اليك فقالت بل خلقت عجولا^(٥)

وله يصور الجهد الذي يعانیه ودأبه وراء الجيب :

فتذوقان بعض ما ذقت منها وتذأبان حبة مثل دابي^(٦)

او :

ما أنسَ لا أنسَ غداةً لقيتها	بمضى تريد نصيبي وعشائي
وتلذذي شهراً اريد لقاءها	حذر العدو بساحة الاحباب ^(٧)

(٢) الاصمعياني ١ : ٨٥

(٣) ابن أبي ربيعة (ع) ٢٨

(٤) " " " " ٨٢

(١) الاصمعياني ١ : ٩٣

(٣) ابن أبي ربيعة (ع) ٤٨٠

(٥) " " " " ٤٣٣

(٦) " " " " ٧٢

وكان حذقاً في الحاحه يستعين بما أوتيته من مهارة وفن وحيلة للوصول الى غرضه ،
ويكفي ان نشير هنا الى حادثته مع كاثم بنت سعد المخزومية التي كانت تعذب رسله اليها
حتى تحاموها ، فان عمر لم يمل ولم يضجر وما زال يبتدع الحيل حتى وفق في مسعاه .
وكانت تجوز بعض حيله على اصحابه فيسخرهم لاغراض حبه . زعموا ان بنتاً لمحمد بن
الاشعث حجت ذات عام فراسلها عمر ، فعلقته ، فوعدها ان يتلقاها مساء الغد وجعل الآية
بينه وبينها ان تسمع ناشداً ينشد شيئاً ضاع ان لم يمكنه ان يرسل رسولاً يعلمها بمسيره الى
المكان الذي وعدها . قال بديح : فلم اشعر به الا مثلياً فقال لي : يا بديح انت
بنت محمد بن الاشعث فاخبرها اني قد جئت لموعدها ، فاييت ان اذهب وقلت : مثلي
لا يُعين على مثل هذا . ويظهر ان عمر لم يلق رسولاً غير بديح فاعاد عليه الكرة بعد ان
استعان بالحيلة التي كان قد ابتدعها فجازت على الرجل . قال بديح : فغيب بغلته عني ثم
جاءني فقال لي : قد اضلت بغلتي فانشدها لي في زقاق الحاج . فذهبت فنشدتها ، فخرجت
على بنت محمد بن الاشعث وقد فهمت الآية واتت لموعده ، وذلك قوله :

وآية ذلك ان تسمي اذا جئتكم ناشداً ينشد

قال بديح فلما رايتها مقبلة عرفت انه قد خدعني بنشدي البغلة فقلت له : يا عمر لقد
صدقت التي قالت :

فهذا سحرك النسوان م قد خبرتني خبرك

قد سحرتني وانا رجل فكيف برقة قلوب النساء . وضعف رأيهن ، وما آمنك بعدها ،
ولو دخلت الطواف ظننت انك دخلته لبيبة . قال : وحدثها بجديتي فما زالا ليلتهما يفصلان
حديثهما بالضحك مني .^(١)

ولعل هذه الصفة في خلقه قد أثرت الى حد ما في شعره ، فقد نهج في بعض قصائده
نهجاً يشير الى هذا الاخلاص والاحاف في خلقه بحيث كان لا يكتفي بذكر اسم محبوبته مرة
او مرتين فقط ، بل كان يكرره في كثير من الاحيان اربع او خمس مرات ، وكان
يكرر بعض العبارات او المقاطع مرات متتالية كأن يذكر العبارة في البيت الاول ثم
يعيدها في البيت الثاني وهكذا حتى يكررها ما شاءت له طبيعة خلقه هذه . ونرى في

(١) الاصبهانى ١ : ٤٠

«وائيته المشهورة انه قد ذكر اسم نعم في كل بيت من الابيات الخمسة الاولى . وله قصيدة أخرى في نعم ذكر اسمها اربع مرات في اربعة ابيات .^(١) وله فيها قصيدة اخرى في اول كل بيت من ابياتها «خليلي» .^(٢) وله قصيدة في فتاة قال فيها «وقولا لها» ست مرات ثم «وقولا لها» مرة ثم «وقولا له» ثلاث مرات ثم يختمها بـ «وقولا لها» .^(٣) وله قصيدة صغيرة بدأها بقوله «بنفسي من اشتكي حبه» ثم عطف على اسم الموصول «من» سبعة أخرى في ستة ابيات وقعت واحدة منها في مستهل عجز احد الابيات والباقية في مستهل الصدور .^(٤) وله مقطوعة من اربعة ابيات في جارية اسمها حميدة ذكرها في كل بيت منها .^(٥) ولعل هذه الناحية ايضاً قد أثرت في الوحدة او الرابطة التي نراها في شعره ، ولكننا سنعرض لشعره على حدة فلنكتف بهذا القدر هنا .

بعض مرابا خلفه الطيبة

قال ابن أبي عتيق لعمر :
 افـ للـدنـيا بـعدك يا ابا الخطاب .
 فقال له عمر :
 بل عليها بعدك العفاء يا ابا محمد .

لقد سبق لنا فاشرنا الى ان عمر كان - على تيهه ودلّه - حسن المعشر سهل الطبع سامي الشعور محبباً الى الناس مقرباً اليهم بعيداً عن إثارة الخصام بينه وبين الناس محافظاً ما امكنه على الودّ والوفاء لمن اخلص له الحب من اصحابه . وسنحاول الآن ان نتوسع في تصوير هذه النزاحي من خلقه مستعينين ببعض قصصه وشعره واخباره .

(٣) ابن أبي ربيعة (ع) ٤٨٨

(٤) " " " " ٢٥

(١) ابن أبي ربيعة (ع) ٥٢٩

(٣) " " " " ٤٨٢

(٥) " " " " ٢٧٦

لطيف المعشر

وليس ادلّ على لطف معشره وحسن صحبته من قصته التي ذكرنا في بحثنا عن سبل
لهوّه حين وفد على جميلة المغنّية مع الاحوص وابن ابي عتيق ، فعرضت عليهم الشراب ،
فامتنع ، واقبل الاحوص يالومه ، فلم تشأ جميلة ان ترغم عمر على ذلك ودعت ابن ابي عتيق
فلم يمتنع ، فلم يلبث عمر ان رجع عن عزمه وشاركهم في شرايهم وخلط روحه بروحهم ،
وقال : لا اكون اخسكم فعلاً ، افعلوا ما شئتم تجدونني سميماً مطيعاً . ولقد كان ابن ابي
عتيق يقدر لعمر هذه الصداقة والعشرة حين قال له : إن متّ لاموتنّ معك ! افّ على
الدنيا بعدك يا أبا الخطّاب !^(١) وكانت هذه الظاهرة في خلق عمر من العوامل التي جعلته
محبباً الى الناس حتى الذين نافسوه منهم في حبّ بعض صاحباته ، فقد كان الحارث بن خالد
المخزومي ينافسه في حبّ عائشة بنت طلحة ، وكان في الوقت نفسه صديقه . بل لعلّ هذه
الظاهرة ساعدت ايضاً على ان تجعله محبوباً الى النساء بحيث كن يرغبن في صداقته ومعشره .
وكان اصداؤه من اصحاب الاخلاق الوادعة والعريكة اللينة ، وبكفي ان نشير الى هؤلاء
الذين خصصناهم بالذكر ، في هذا الكتاب .

بطل الغضب

وما ابعد روحه عن العنف والغضب فقد مرّ معنا ان كثيراً الشاعر اهانه حين اتاه
يزوره فلم يغضب . ورأينا موقفه من الحزين الكنانيّ الهجاء حين عيّره بكسر ثنيتيه
وبشربه الخمر . وموقفه حين خرج يطلب ابنته التي كانت تسترضع في هذيل فضل الطريق ،
فانه لم يحقّ ولم يغضب بل أنشد شعراً ينمّ عن روح هادئة ونفس وادعة رضية :

لم تدرِ ولينفر لها ربّها	ما كلّفنا أمة الواحد
جشمت الهول براذينا	نسأل عن بيت ابي خالد
نسأل عن شيخ ابي كاهل	اعيا خفاء نشدة الناشر ^(٢)

سُفوف عطفوف

وكان شقيقاً حتى على غلمانه. روى ان الوليد بن عبد الملك حج وقابله عمر وهو شيخ، فسأله الوليد ان ينشده شيئاً من شعره، فقال: يا امير المؤمنين انا شيخ كبير وقد تركت الشعر، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد وهما يرويان كل ما قلت، وهما لك.^(١) وكذلك كان شأنه في معاملة جواريه لا سيما اللواتي كنّ على اتصال في شيء من شؤون حبه كتلك التي ارسلها الى كلثم، وكذلك التي بشها شكواه من الالم والقلق اللذين عاناها بعد ان عاهد نفسه فيما يزعمون على ان لا يقول شعراً، فقد زعموا انه عرض له ما هاجه على قول الشعر فقال له يذكرك فيه حديث جاريته له وحديثه اليها، ثم دعا بعبيد تسعة فاعتقمهم للايات التسعة التي قالها.^(٢)

ولم يقتصر عطفه على غلمانه وجواريه بل تعداهم الى بعض العجاوات وقد اتخذ حصاناً اسمه «الكوكب» اتخذ له غلاماً يسوسه اسمه جنّاد وكان كثير العناية به، واضطرته بعض الظروف ذات يوم ان يركب حصانه هذا في رحلة طويلة ففعل ثم أدرك انه جهد حصانه فأراحه وأكرمه، وقال في ذلك:

تشكى الكسيت الجري لما جهده
ويّن لو يستطيع ان يتكلم

الى ان يقول:

لذلك ادني دون خيلي رباطه
واوصي به ان لا يجان ويكرما^(٣)

مساهمة

وكان لا يكتفي باظهار شعوره فقط بل يتقدم الى المساعدة اذا استطاع اليها سبيلاً. وقد روى الجاحظ خبراً عنه قال: بينا عمر يطوف بالبيت في حال نسكه فاذا هو بشاب

(١) الاصبهاني ١: ٥٣

(٢) الجاحظ (م) ٢٤٠ والاصبهاني ١: ٦٣ والغالي ٢: ١٠ والحصري ١: ٢٩٩

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦٦

قد دنا من شابة ظاهرة الجمال ، فالتق اليها كلاماً ، فقال له عمر : يا عدو الله ! في بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هذا ؟ فقال : يا عمّاه انها ابنة عمي ، واحب الناس اليّ واني عندها لكذلك ، وما كان بيني وبينها من سوء قط اكثر مما رايت . قال : ومن انت ؟ قال : انا فلان بن فلان . قال : افلا تتزوجها ؟ قال : ابني عليّ ابوها . قال : ولم ؟ قال : يقول ليس لك مال . فقال : انصرف والقي اليه . فلقيه بعد ذلك ، فدعا ببغلة فركبها ، ثم اتى عمّ الفتى في منزله ، فخرج اليه فرحاً بمجيئه ، ورحب وقرب ، فقال : ما حاجتك يا ابا الخطأب ؟ قال : لم ارك منذ ايام فاشتقت اليك . فقال : فانزل ! فانزله والطفه ، فقال له عمر في بعض حديثه : اني رايت ابن اخيك فاعجبني تحركه وما رايت من جماله وشبابه ، قال له : اجل ما يغيب عنك افضل ممّا رايت . قال : فهل لك من ولد ؟ قال : لا ! الا فلانة . قال : فهايمعك ان تزوجه اياها ؟ قال : انه لا مال له . قال : فان لم يكن له مال فلك مال . قال : فاني اضنّ به عنه . قال : لكنني لا اضنّ به عنه فزوجه واحتكم . قال : مئة دينار . قال : نعم . فدفعها عنه وتزوجها الفتى وانصرف عمر الى منزله . فقامت اليه جارية من جواريه فاخذت رداءه والتقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب ، فاتته بطعام فلم يتعرض له ، فقالت : اظنك والله قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء ، فلا تكتسها ، فقال : هاقي الدواء ! فكتب :

تقولي ولبدني لما راتني	طربت وكنت قد اقصررت حيناً
اراك اليوم قد احدثت شوقاً	وهاج لك الهوى داءً دفيناً
وكنت زعمت انك ذو عزاء	اذا ما شئت فارقت الغرينا
بعيشك هل اناك لها رسول	يسرك ام لقيت لها خدينا
فقلت شكاً اليّ اخ محبّ	كبعض زماننا اذ تلمينا
وذو القلب المصاب ولو تغزى	مشوق حين يلقى العاشقينا
فقصّ عليّ ما يلقى جند	واشبه ذاك ما كنّا لقينا
فكم من خلة اعرضت عنها	وكنت بودّها دهرًا ضنينا
اردت فراقها فصبرت عنها	ولو جنّ الفؤاد جا جنونا ^(١)

ولعمر قصة اخرى في مساعدته لاحد اصدقائه ذكرها ابن عبد ربه في عقده ، ولا بدّ من ذكرها كلها اذ فيها ذكر لصديق لم نعرض له مع اصحاب عمر ، وفيها اظهار لبعض نواحي

خلق عمر لا سياً فيما يتعلق بهذه الناحية التي نصف الآن من حبه لمساعدة الغير وسروره في ان يجمع بين الحبيبين كما كان يساعده بعض اصحابه في شبابه ، زد على هذا كله انها تشير الى علاقة عمر مع بني عذرة . ولسنا ندين في ان وقائع هذه القصة قد حدثت حقاً بل اننا نلص فيها مسحة الوضع والفن رغم ان الشعر المذكور فيها مدون في ديوان عمر . ويكفي ان نشير هنا الى ان حمّادا الراوية هو الذي رواها ، وحمّاد غير صادق في بعض اخباره .^{١)} قال حماد :

« اتيت مكة فجلست في حلقة منها فيها عمر ابن ابي ربيعة القرشي ، واذا هم يتذكرون العذريين وعشقم وصبايتهم ، فقال عمر ابن ابي ربيعة : احدثكم عن بعض ذلك . كان لي خليل من عذرة يكنى ابا مسهر ، وكان مشتهراً باحاديث النساء ، يصبو بهن وينشد فيهن ، على انه كان لا عاهر الخلوة ولا حديث السلوة ، وكان يوافي الموسم في كل سنة فاذا ابطأت السفار استوقف ، واذا ابطأ استوقفت له ، وانه غاب علي سنة من ذلك خبره حتى قدم وفد عذرة ، فاتيت القوم انشد صاحبي ، فاذا رجل يتنفس الصعداء ، فقال : عن ابي مسهر تسأل . قلت : نعم ! قال : هيات هيات ! اصبح والله ابو مسهر لا حياً يرجى ولا ميتاً ينسى ، ولكنه كما قال الشاعر :

لعمرك ما هذا الغرام بتاركي صحيحاً ولا اقضي به فاموت

فقلت : وما الذي به ؟ قال : مثل الذي بك من انهماكما في الضلال وجوكمما اذيال الخسران كانكما لم تسمعاً بجنة ولا نار . قلت : ما انت منه يا ابن اخي ؟ قال : اخوه ! قلت : والله انك واخاك كالوشي والبجاد ، لا يرقعك ولا ترقعه ، ثم انطلقت وانا اقول :

ارائحة حجاج عذرة روحة	ولا يرح في القوم قيس بن مہجع
خليلين نشكو ما نلاقي من الهوى	فهما يقل اسمع وان قلت يسمع
الا ليت شعري اي خطب اصابه	امن زفرات الحجر من بين اضلع
فلا يبعدنك الله خلاً فانني	سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي

(١) في ابن خلكان ١ : ٣٣٣ ان مولد حمّاد كان سنة ٩٥ هـ . وعلى هذا لا يمكن ان يكون حمّاد قد ادرك عمر ابن ابي ربيعة كما يقول في روايته التي ستلي ، ولكن ابن خلكان مخطئ . في نظرنا لان حمّاد اكان منقطعاً الى يزيد بن عبد الملك وقد مات يزيد سنة ١٠٥ هـ . راجع ابن خلكان ١ : ٣٣١

قال : فلما حججت ووقفت بعرفات فاذا به قد اقبل وقد تغير لونه وساءت هيئته وما عرفته الا بناقته ، فاقبل حتى خالف بين اعناقها ثم اعتنقني وجعل يبكي . فقلت له : ما الذي دهاك ؟ قال : برح الحفاء وكشف الغطاء . ثم انشد يقول :

لئن كانت عديلة ذات مطن
لقد علمت بان الحب داء
وانك لو تكلفت الذي بي
لزال السر وانكشف الغطاء
وان معاشرى ورجال قومي
حتوفهم الصباية واللقاء
اذا العذري مات بحتف انف
فذاك العبد تحكيه الرشاء

فقلت : يا ابا مسهر انها ساعة عظيمة تضرب فيها اكباد الابل من شرق الارض وغربها ، فلو دعوت الله كنت قنناً ان تظفر بجاجتك وتنصر على عدوك ، فجعل يدعو حتى اذا مالت الشمس للغروب وهم الناس ان يفيضوا سمعته يبينهم بشي . فاصغيت مستمعاً فجعل يقول :

يا رب كل غدوة وروحه من محرم يشكو الصبا ونوحه
انت حبيب الخلق يوم الدوحة

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ قال : ساخبرك ان شاء الله ولولم تسلي . فيمضنا نحو المزدلفة ، فاقبل علي وقال : اني رجل ذو مال كثير ونعم وشاء ، واني خشيت على مالي عام اول التلف ، فاتيت اخوالي كلباً ، فوسعوا لي عن صدر المجلس ، وسقوني جنة البئر ، وكنت منهم في خير احوالي ، ثم اني عزمت على مراقبة اهل ماء لهم يقال له الحوادث فركبت فرسي وعلقت معي شراباً اهداه الي بعض الكلبيين ، فانطلقت حتى اذا كنت بين الحمي ومرعى النعم رفعت لي دوحة عظيمة ، فقلت لو نزلت تحت هذه الشجرة ثم تروحت مبرداً ، ففعلت ، فشددت فرسي ببعض اغصانها ثم جلست تحتها ، فاذا الغبار سطع من ناحية الحمي ، ثم تبينت فبدت لي شخص ثلاث ، فاذا فارس يطرد مسحلاً واتاناً ، فلما قرب مني فاذا عليه درع اصفر وعمامة خز سوداء ، فبالبت ان لحق المسحل فطعنه فصرعه ، ثم ثني طعنة للاتان ، واقبل وهو يقول :

نطعنهم سلكى ومخلوجة كرك لا ميين على نابيل

(١) السلكى الطعنة المستقيمة ، والمخلوجة الطعنة ذات اليمين وذات الشمال ، وسهم لأم اي عليه ريش . والبيت هذا لامرئ القيس . انظر معجم تاج العروس تحت سلك

فقلت له : انك قد تعبت واتعبت فلو نزلت . فثنى رجله فزله ، وشد فرسه ببعض اغصان الشجرة ، ثم اقبل حتى جلس ، فجعل يحدثني حديثاً ذكرت به قول الشاعر :

وان حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل في البان عود مطاقل

فبينما هو كذلك اذ نكث بالسوط على ثنيتيه فما ملكت نفسي ان قبضت على السوط وقلت : مه ! فقال : ولم ؟ قلت : ان تكسرهما . قال : انها رقيقتان عذبتان . قال ، فرفع عقيرته وجعل يقول :

اذا قبل الانسان آخر واشتفى ثناياه لم يأثم وكان له اجر

وقال : ما هذا الذي جعلت في سرجك ؟ قلت : شراب اهداه لي بعض اهلك ، فهل لك به ؟ قال : وما نكرهه اذا كرهه . فاتيت به ، فوضعت بيني وبينه ، فلما شرب منه شيئاً نظرت الى عينيه كأنهما عينا مهاة قد ضلّت ولدها ، ثم رفع عقيرته يتغنى :

ان العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يخبين قتلنا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله انسانا

ثم قت لاصلاح من امر فرسي فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه ، واذا كأن وجهه دينار هرقلي ، فقلت : سبحانك اللهم ما اعظم قدرتك . قال : فكيف ؟ قلت : ذلك ممأ راعني من نورك وبهرني من جمالك . قال : وما الذي يروعك من زرق العيون وحبيس التراب ثم لا تدري اينعم بعدك ام يبأس ؟ قلت لا يصنع الله الا خيراً بك . ثم قام الى فرسه فلما اقبل برقت لي بارقة من تحت الدرع فاذا ثدي كانه حق عاج . قلت نشدتك الله امرأة انت ؟ قالت : اي والله ! ونكره العهر ونحب الغزل . قلت : وانا والله كذلك . فجلست والله تحدثني ما انكر من امرها شيئاً حتى مالت على الدوحة سكرى ، فاستحسننت والله يا ابن ابي ربيعة الغدر ، وزين في عيني ، ثم ان الله عصمني ، فما لبثت ان انتبعت مذعورة فلاتت عمامتها براسها واخذت الرمح وجالت في متن فرسها . فقلت : مضيت ولم ترودينني منك زاداً ، فاعطتني ثناياها فمسست والله منها كالثلج المطور . ثم قلت : اين الموعد ؟ قالت : ان لي اخوة شرساً وابا غيوراً ، والله لئن اسرك احب الي من ان اضرك . ثم مضت فكان والله آخر العهد بها الى يومي هذا ، وهي التي بلغتني هذا المبلغ واحلتني هذا المحل . قال : فدخلتني له رقة . فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته ، وحملت غلاماً لي على بعير ، وعليه قبة حمراء من آدم كانت لابي ربيعة ، واخذت

معي الف دينار ، ومطرف خز ، ثم خرجنا حتى اتينا بلاد كلب ، فاذا الشيخ في نادي الحلي ، فسلمت عليه ، فقال : وعليك السلام . من انت ؟ قلت : عمر ابن ابي ربيعة ابن المغيرة المخزومي . قال : المعروف غير المنكور ، فما الذي جاء بك ؟ قلت : جئتكم خاطباً . قال : أنت الكفف لا يرغب عن وصله ، والرجل الذي لا يرد عن حاجته . قال ، قلت : اني لم آتكم لنفسي وان كنت في موضع الرغبة ، ولكنني آتيتكم لابن اختكم العذري . قال : والله انه الكفف الحسب كريم النسب غير ان بنياتي لم يعرفن (الآ) ^١ هذا الحلي من قریش ، قال : فعرف الجزع من ذلك في وجهي ، فقال : اما اني اصنع في ذلك ما لم اصنعه قط لغيرك ، اخيرها في نفسها فهي وما اختارت . فقلت : خيّرهما ! فارسل اليها ان من الامر كذا وكذا فالرأي رأيك . فقالت : ما كنت لاستبداء برأي دون رأي القرشي . خيارى ما اختار . قال : قد ردت الامر اليك . فحمدت الله ، وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقلت : قد زوجها العذري مهجماً ، واصدقتها عنه الالف دينار ، وجعلت تكرمتها العبد والبعير والقبّة . وكسوت الشيخ المطرف فسرّ به ، وسألته ان يبيني بها من ليلته فاجابني الى ذلك ، فضربت القبّة في وسط الحلي ، وهُدّيت اليه ليلا وبّت عند الشيخ في خير مبيت ، فلما اصبحت غدوت ففقت بباب القبّة ، فخرج اليّ وقد تبينّ الجذل فيه ، فقلت : كيف كنت بعدي ابا مسهر ؟ قال : ابدت لي كثيراً بما كانت تحفيه يوم رايتها ، فقلت : اقم عند اهلك بارك الله لك . ثم انطلقت الى اهلي وانا اقول :

كفيت الفتى العذري ما كان نابه ومثلي لاثقال النوائب يحمل
اما استحسننت مني المكارم والعلا اذا صرّحت اني اقول وافعل ^٢

فقال العذري :

اذا ما ابو الخطاب خلّى مكانه فافّ لدنيا ليس من اهلها عمر
فلا حيّ فتيان الحجازين بعده ولا سقيت ارض الحجازين بالمطر ^٣

(١) ليست في الاصل ولعلّ المعنى يستقيم بها

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ٤٥٠ - ٤٥٢ وانظر الاصبهاني ١٠ : ٥٠ - ٥٣

(٣) هذان البيتان ذكرا في الاغاني ولم يُذكر في العقد ونصّ القصة في الكتابين المذكورين يكاد يكون واحداً ، وقد اعتمدنا رواية العقد .

ومها يكن من امر هذه القصة واثر الصنعة والتكلف فيها فان لنا في شعر عمر وحده دليلاً على مساعدة عمر للغير وسعيه في ان يحمل عنهم اثقالهم .

مساس سربب النأثر

وكان رقيق العاطفة شديد التأثر . ولعل هذه العاطفة الحساسة كانت مصدر شفقتة وحبه للمساعدة . وله ابيات يذكر فيه اساء وحزنه على مصرع اخوان له حينما كان في اليمن يعاين مرضاً لعلهُ الحمى المعروفة بالبرداء . وقد التفت الاقدمون الى هذه الابيات فذكروا انها من الشعر الذي تشكى فيه فاشجى . قال :

لعمرك ما جاورت غمدان طائفاً	وقصر شعوب ان اكون جا صباً
ولكن حمى اضرعتي ثلاثة	بجرمة ثم استمرت بنا غياً
وحتى لو ان الخلد يمرض اذمشت	الى الباب رجلي ما نقلت لها اربا
فانك لو ابصرت يوم سويقة	مناخي وحبسي العيس دامية جربا
ومصرع اخواني كان انينهم	ابن المكاكى صادفت بلدًا خصبا
اذا لاقصر الرأس منك عجابه	ولاستفرغت عينك من مكبة غربا ^{١)}

ومأ يشير الى رقة عاطفته وشدة تأثرها ما نقاوه من خبره مع الثريا حين مرضت ذات مرة وهي بالطائف وهو بمكة فشغل قلبه واخذ يستطلع اخبارها ، فارسلت اليه من يجدهه ويخبره انها ماتت ، فكاد يطير صوابه حزناً عليها ووجه فرسه على وجهه الى الطائف سالكاً اقرب طريق اليها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهي تتشوف له وتشرف ، فوجدها سليمة عسيمة ومعاها اختاها رضىاً وام عثمان ، فاخبرها الخبر فضحكت وقالت : والله انا امرتهم لأختبر ما لي عندك^{٢)} .

وروا انه لما بلغه زواج الثريا ورحيلها خرج في اثرها فلحقها على مرحلتين ، فلما ادركهم نزل عن فرسه ، ودفعه الى غلامه ومشى متنكراً حتى مرّ بالخيمة ، فعرفته الثريا واثبتت حركته ومشيته ، فقالت لحاضنتها : كلميه ! وكانت قبل ذلك مهاجرة لامر انكرته عليه ، فسلت الحاضنة عليه ، وسألت عن حاله ، وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه ، فاعتذر وبكى ، فبكت الثريا وقالت : ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل . فحادثها الى وقت طلوع

الفجر ، ثم ودعها وبكيا طويلا .^(١)

وله من شعر في رحيله كتب به اليها فيما يزعمون من المدينة وكله عاطفة وتأثر :

كتبك البك من بلدي	كتاب موله كمد
كتبك واكف العينين	بالحسرات منفرد
بورقه لبيب الشوق	بين السحر والكبد
فيمسك قلبه يد	ويمسح عينه يد ^(٢)

وترى اثر هذه العاطفة الرقيقة والتأثر السريع في شعره في امرأة اموية من بني مروان قال في وداعها :

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي	ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا اطيق الكلام من شدة الخوف م	ودمعي يسيل كل مسيل
ذرفت عينها وفاضت دموعي	وكلانا يلتقي بلبّ اصيل ^(٣)

ونلاحظ شدة تأثره وسرعة انفعاله في اخباره مع المغنين والمغنيات لا سيما مع جميلة وعزة الميلاء . وقد ذكرنا سابقاً ان عمر كان يتردد على عزة^(٤) هو وابن ابي عتيق وعبدالله بن جعفر ، وانها غنتهم ذات يوم لحناً لها في شي . من شعر عمر فطرب ، وبلغ به التأثر والانفعال ان شق ثوبه وصاح صيحة عظيمة صعق معها ، فلما افاق قال له القوم : لغيرك الجهل يا ابا الخطاب ! قال : اني سمعت والله ما لم املك معه نفسي ولا عقلي .^(٥) وغنته جميلة مرة صوتاً لها في شعره :

ميهات من امة الوهاب مترلنا اذا حللنا بسيف البحر من عدن

فدمعت عينه حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته .^(٦) وغنته مرة أخرى في شعره :

ولقد قالت لجاراتها كلما يلعبن في حجرها

فطرب وصاح : ويلاه ! ويلاه ! ثم عمد الى جيب قميصه فشتمه الى اسفله فصار قباء ، ثم عاد اليه عقله فندم واعتذر وقال لم املك من نفسي شيئاً .^(٧)

(٢) الاصبهاني ١ : ٩٣

(١) الاصبهاني ١ : ٩٥

(٦) " ١٦ : ١٤١

(٣) " ١ : ٧٨ و ٨٠ : ٥٥

(٦) " ٧ : ١٣٤

(٥) " ٧ : ١٢٦

وكان عمر - على الحاحه وما يقتضيه هذا الخلق من الجرأة والوقاحة في بعض الاحيان - خجولاً ، حدث قدامة بن موسى الجمحي قال : خرجت باختي زينب الى العمرة فلما كانت بسرف لقيني عمر ابن ابي ربيعة على فرس فسلم علي ، فقلت له : الى اين اراك متوجهاً يا ابا الخطاب ؟ فقال : ذكرت لي امرأة من قومي برزة الجمال فاردت الحديث معها . فقلت : هل علمت انها اختي ؟ فقال : لا ! واستحيا وثني عتق فرسه راجعاً الى مكة .^(١)
ولعبر من شعر يخاطب فيه احدي صاحباته فيصف نفسه فيه بالحياء والعفة والتكرم :
فكفي اسيراً يا عثيم فانه خلط الحياء بفضة وتكرم^(٢)

جواد

وكان عمر سخياً جواداً يُنفق عن سعة ، وليس غريباً ان يكون كذلك وهو ابن ذلك الصحابي الكريم الذي عرفنا ، وسليل من زعموا انه كان يكسو الكعبة في الجاهلية من ماله سنةً وتكسوها قريش من اموالها سنةً أخرى ، فكان عدلاً لهم جميعاً . وقد عرفت عشيرته من قبل بالكرم ، وكان منها عمارة بن الوليد الذي كان لا ير عليه احدٌ فيما يزعمون الا قراه واحسن ضيافته وزوده ما يحتاجه لسفره ، حتى لقبوه باحد ازواد الركب .^(٣) وكان لعمر فوق هذا كله نسبٌ شهر بالكرم هو مصعب بن الزبير والد صهره ، وصديقان عُرفا في تاريخ الاسلام انهما من اجود العرب هما عبدالله بن جعفر الملقب ببجر الجود وخالد القسري الذي انفذ وهو في السجن الى بعض مادحيه سبعين الف درهم فيما يزعمون كان قد جمعها ليدفعها الى ساجنيه ذلك اليوم .^(٤) بل لم يكن صديقه الحميم ابن ابي عتيق بالرجل اليسير سخاءً وكماً كما راينا .^(٥)
ولعل القارى قد لمس شيئاً من هذه الناحية من خلق عمر في بحثنا عن تيهه ودله وحبّه للمساعدة وعطفه على الناس ، ومن الطبيعي ان يقرن السخاء الى مثل هذه الصفات في الانسان .

ونرى اثر جوده في بعض اخباره مع صاحباته ورسله اليهن ، فقد روى ابو الفرج ان

(٢) ابن ابي ربيعة (ج) ٤٩٩

(١) الاصبهاني ١ : ٤٤ و ١٤ : ٤٩

(٣) ابن خلكان ١ : ٢٤٠

(٤) ١٥٨ : ١٦

(٥) ١ : ٨٩ و ١٠٩ والمبرد ١ : ٢٧٤

عمر اعطى الرسول الذي بشره بقدوم بنت محمد بن الاشعث لزيارته مئة دينار.^(١) وروى
ايضاً انه ارسل الى والدتها حين بعث يخطب الفتاة خمسمئة دينار.^(٢) ولعل القارى لا يزال
يذكر ما رويناه من ان عمر اهدى جميلة بعد استماعه غناءها في المدينة عشرة الاف درهم
وعشرة اثواب كانت معه،^(٣) وانه ردّ على فاطمة بنت عبد الملك ما لها او قل اشترى به
حللاً وطيباً واهداها اياها،^(٤) وانه اعتق الامة التي استخدمها لتوصل رسالته الى كاهن،^(٥)
واعتق عبيداً تسعة بعد مساعدته القرشي عدد ابياته التي نظمها في حادثته تلك،^(٦) واعتق
عبدًا في حادثة له مع فاطمة بنت عبد الملك واعطاه خمسمئة درهم.^(٧)

ويصعب جداً ان تصور اميراً مثل عمر يستصحب معه اشهر المغنين كابن سريج
والغريض ولا ينفق عليهم بسخاء. زعموا انه ارسل الغريض الى عائشة ليغنيها بشعره واعطاه
خمسة الاف درهم، فذهب وغناها، فامرت له عائشة بخمسة الاف درهم أخرى، ثم انصرف
الغريض من عندها فاتى عمر واعلمه امره، فامر له بثل ذلك، ورووا ان الغريض قال :
ما انصرف احد من ذلك الموسم بثل ما انصرفت، بنظرة من عائشة وهي اجمل نساء
العالم وبنا منحه منها ومن ابن ابي ربيعة وغيرها.^(٨) واعطى عمر مرة فيا يروون ثلاثئة
دينار لابن سريج.^(٩) وكان مجود في بعض الاحيان بما هو عزيز عليه وقد عرض على
الوليد بن عبد الملك كما أسلفنا عبيده اللذين كانا يحفظان شعره فاستمع اليهما الوليد
وردهما.^(١٠)

ولم يخل شعره من اظهار هذه الناحية فقد كان يقتخر مجوده وكرمه. قال :

ولو سلت بنا البطحاء قالت هم اهل الفواضل والسيوب^(١١)

وقال :

اما استحسن مني المكارم والعلا اذا طرحت اني لمالي بذا^(١٢)

- | | |
|---------------------------|-----------------------------|
| (١) الاصبهاني ١ : ٤٣ | (٢) الاصبهاني ١ : ٤٣ |
| (٣) " ٢ : ١٣٤ | (٤) " ٨ : ٥٥ |
| (٥) " ١ : ٨٣ | (٦) " ٦٤-٦٥ والجاحظ (م) ٣٤٠ |
| (٧) " ١ : ٧٧ | (٨) " ٣ : ١٠٥ |
| (٩) " ١ : ١٠١ | (١٠) " ١ : ٥٣ |
| (١١) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦ | (١٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦٤ |

جبه للحديث والسر

ولعلّ اظهر ناحية من نواحي خلق عمر ، واقوى ظاهرة في اخبار حبه ، هي ميله للتحدث والسر لا سيما مع النساء ، وشغفه باستماع حديثهن . فقد كان فيما نرى حلو الحديث ، انيس المجلس حسن الاستماع ، يتكلم فيرضي ويصغي فيشوق ، يحبّ مجلس المرأة ويحفظ لها مكانتها فيه . ولقد اكسبته هذه الصفة صداقة النساء ، فكان معجباته بظرفه وحديثه ، يتشوقن اليه ويتمنين لقياه ويذكرن حلو سره وأنس مجلسه .^(١) ويذهب الدكتور طه حسين الى ابعد من هذا فيزعم ان عمر كان يريد للمرأة من الحرية مثل ما يريده للرجل ، وكان يريد ان تكون صلة الغزل بين الرجل والمرأة صلة ظاهرة لا حرج فيها ولا جناح ، وكان يريد ان تظهر المرأة غفراها بجالها وروعتها كما يظهر الرجل غفره بشجاعته وبأسه ، وكان يريد ان تستفيد الجماعة الانسانية من خلال المرأة كما تستفيد من خلال الرجل ، بل يذهب الدكتور الى ان عمر كان يريد ان تزل الفروق بين الجنسين والا يكون بينهما حجاب .^(٢) ومهما يكن من امر فائلاً لا نظن ان الدكتور طه مخطئ . حين قال : وكان كل شيء في حياة عمر وسيلة الى الاتصال بالمرأة وذكرها والتحدث اليها .^(٣) ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان عمر من هذه الناحية كان اعظم سمير عرفته المرأة في تاريخ العرب . ولسنا نعرف رجلاً من رجال العرب على الاطلاق روى له الرواة قصصاً واخباراً لعب فيها الحديث والسر هذا الدور الذي لعبه في اخبار عمر . ولسنا نعرف شعراً لشاعر عربي افتن فيه صاحبه بوصفه لحديثه للمرأة وحديثها اليه والى رفيقاتها واتراها افتنان عمر بوصفه لهذه الامور في شعره . قال ياقوت عنه وهو يشرح بيتاً من شعره : « لانه كان كثير المخاطبة للنساء . »^(٤) وروى ابو الفرج الاصبهاني اخباراً كثيرة تشير الى ان النساء كن يتشوقن الى مجلس عمر وسماع حديثه ، وذكر ان احداهن بعثت اليه مرة رسلاً ان يوافيهن الى موضع عيّته ، في ليلة سَمَتها ، فوافاهن على رواحه من بلد بعيد وحديثهن حتى طلوع الفجر .^(٥) وروى ايضاً ان نسوة من قريش واعدنه الى العقيق ليتحدثن معه

(٢) طه حسين ٢ : ١٤٤

(٤) ياقوت ٢ : ٢٨١

(١) الاصبهاني ١ : ٤٧ و ٢ : ١٣٦

(٣) طه حسين ٢ : ١٤٤

(٥) الاصبهاني ١ : ٤٧ و ٢ : ١٣٦

ويسمرن ، فخرج عمر اليهن ومعه مُغْتِيهِ الغريض ، فتحدثوا ملياً ثم مطروا ، فقام الغريض وجاريتان للنسوة واطلوا عليهن بمطرف ويردين لعمر بحيث استترن من المطر الى ان سكن ثم انصرفن .^(١) ولقد قال عمر في ليلته هذه شعراً لم يفته ان يشير فيه الى اهمية الحديث والسمر في نظره ، والى حبه الى هذا الضرب من اللهو وقصر هذا الليل الذي انقضى فيه :

سمون يقن الا ليتنا نرى الليل دائماً اشهر
ويغفل ذا الناس عن هونا ونسمره كله مقمر
غفلن عن الليل حتى بدت تابشر من واضح اشقر
وقمن يغيبن آكارنا باكسية الحز ان تفقر
وقمن يقن لو ان النهار م مد له الليل فاستأخر
لقينا به بعض ما نشتهي وكان الحديث به أسورا^(٢)

وكانت الكثيرات من السيدات يرغبن في لقاءه لكي يتحدثن اليه ويستمعن الى حديثه ، فقد روي ان ام محمد بنت مروان بن الحكم اتت عمر بعد ان قضت حجبها ونسكها وقد اخفت نفسها بين نسوة ، فحدثته وحدثها ملياً .^(٣)

وحدث مولى لعمر انه كان مع عمر مرة ايام الحج ، فاجتاز بسيدته نسوة من جواري بني امية حاجات ، فتعرض لهن وحدثهن وناشدهن مدة ايام الحج .^(٤) وحدث هذا المولى ايضاً انه كان مع سيده وقد اسن وضعف فخرج يثشي متوكئاً على يديه حتى مر بعجوز جالسة كانت من صاحباته القدييات فعدل اليها وجلس عندها وجعل يحادثها .^(٥)

وروي انه بينما كان عمر يطوف بالبيت رأى امرأة عراقية فاعجبه جمالها ، فجعل يمشيها حتى عرف موضعها ، ثم زارها فحادثها وناشدها وانشدته ، وخطبها فوعده العراق ، فسافر معها الى هناك يسير بسيرها ويحادثها طول الطريق ويسايرها وينزل عندها .^(٦)

وروي في موضع آخر خبر مثل هذا عن فتاة عراقية من آل الاشعث ، كانت معها امها ، وقد سمعت الفتاة بعمر فبعثت وراءه ، فجاء ، وارسلت بينها وبينه سترأ تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يحادثها حتى استنشده فانشدها ، فاستخفها الشعر ورفعت السجف فراها

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٩٧

(١) الاصباني ١ : ٦٦

(٣) الاصباني ١ : ٧٠

(٣) " ١ : ٦٩ و ٨ : ٥٥ - ٥٦

(٦) " ١ : ٧١

(٥) " ١ : ٧١

وخطبها ، فابت والدتها عليها ذلك في الحجاز فسأله الفتاة ان يشيعها ورجته ان يخطبها الى ذوبيا في العراق .^(١)

وقد رَوَوْا ان عمر وهو منصرف من المزدلفة يريد منى في ايام الحج لقي في طريقه امرأة في رحالة ، ففتن ، وسمع عجوزاً تسألها ان تستر لثلاً يراها عمر فيفضحها . وتنتهي الرواية في ان عمر تبعها وتزل الى جنب مضربها ولم يزل يتلطف حتى جلس معها وحادثها واعجبها وجهها ومنطقها .^(٢) وزعموا ان امرأة من بني امية يقال لها ام الحكم قدمت قبل اوان الحج معتمرة ، فبينما هي تطوف على بغلة لها اذ مرت على عمر في نفر من بني مخزوم وهم يتحدثون ، ثم مالت اليهم وتزلت عندهم وتحدثت معهم طويلاً ثم انصرفت ولم يزل عمر يتردد اليها حتى انقضت ايام الحج .^(٣)

وكان عمر حريصاً على ان لا تفوته فرصة يتحدث فيها الى صاحباته او يستمع الى حديثهن حتى انه كان يقرن لذة الحديث الى لذة السماع (الغناء) فيقول : انه صوت الغريض وحديث النسوة ليس له مثرك ولا عنه محيص .^(٤)

وكان عمر فيما يظهر من اخباره وشعره يخلط حديثه مع صاحباته بشي . من انشاد الشعر سواء أكان من شعره ام من شعر غيره . وكانت النساء تحب هذا منه بل كن يطلبنه . ويقول عمر في حادثة وقعت له مع بعض النساء : ثم اتيتن فسلمت عليهن ، ثم وقفت بقريبن ، فسألنني ان انشدن واحدين ، فانشدتن لكثير وجميل والاحوص ونصيب وغيرهم .^(٥) وذكر في شعره ان هنداً وصاحباتها تمنين لقاءه مرة كي يقضين بعض اللهو معه او يستمعن اليه ينشدن الاشعار :

تقول ليت ابا الخطاب وافقنا كي نلهو اليوم او ننشد اشعاراً^(٦)

وكان الرواة احتسوا بهذه الميزة في عمر من حيث قدرته في سرد الحديث ، ومهارته في مخاطبة النساء ، وكسب انتباههن والتفاتهن ، وجعلن يتشوقن حديثه وظرفه ، فاسندوا اليه كثيراً من الروايات الجذابة التي زعموا انها وقعت له ، وجعلوه يقصها عن نفسه ويحدث

(٢) الاصبهاني « د » ١ : ١٥٩

(٣) " د » ١ : ٨٦

(٤) ابن أبي ربيعة (ع) ٢١٥

(١) الاصبهاني ١ : ٤١

(٣) " د » ١ : ١٦٠

(٥) " ١ : ٧٣

فيها عن وقائع حبه . ومن الخير ان نورد من هذه القصص واحدة على الاقل فيها تصريح عن حبه للسمر والتحدث وميله للاستماع .

روى ابو الفرج باسناد ينتهي الى عثمان بن ابراهيم الخطابي قال : « اتيت عمر ابن ابي ربيعة بعد ان نسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم ، فانتظرت حتى تفرق القوم ، ثم دنوت منه ومعني صاحب لي ظريف ، وقد كان قال لي تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل فننظر هل بقي في نفسه منه شيء ، فقال له صاحبي : يا ابا الخطاب ، اكرمك الله ، لقد احسن العذري واجاد فيما قال . فنظر عمر اليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال :

لو جذَّ بالسيف راسي في مودعها لمر جوي سرياً نحوها راسي

قال ، فارتاح عمر الى قوله ، وقال : هاه ! لقد اجاد واحسن ! فقلت : والله در جنادة العذري ! فقال عمر : ماذا يقول ؟ ويحك ! فقلت : يقول .

سرت لعينيك سلمي بعد مغناها فبتُ مستنبهاً من بعد مسراما

.

قال ، فضحك عمر ثم قال : وايبك لقد احسن واجاد وما اساء ولقد هيجتا علي ساكناً ، وذكرتماني ما كان عني غائباً ، ولا حدثكما حديثاً حلوا : بينا انا منذ اعوام جالس اذ اتاني خالد الحزيت : فقال لي : يا ابا الخطاب مرت بي اربع نسوة قبل العشاء يردن موضع كذا وكذا لم ار مثلهن في بدو ولا حضر ، فيهن هند بنت الحرث المرية ، فهل لك ان تاتين متنكراً فتسمع من حديثهن وتستمع بالنظر اليهن ولا يعلن من انت ؟ فقلت له : ويحك ! وكيف لي ان اخفي نفسي ؟ قال : تلبس لبسة اعرابي ، ثم تجلس على قعود ، فلا يشعرن الا بك قد هجمت عليهن . ففعلت ما قال ، وجلست على قعود ، ثم اتيتهن فسامت عليهن ، ثم وقفت بقربهن ، فسألني ان انشدن واحدتهن ، فانشدتهن لكثير وجميل والاحوص ونصيب وغيرهم ، فقلن لي ؛ ويحك يا اعرابي ما املحك واضرفك ! لو تزلت وتحدثت معنا يومنا هذا فاذا امسيت انصرفت في حفظ الله . فانحنت بعيري ثم تحدثت معهن وانشدتهن ، فسررن بي وجذلن بقربي واعجبهن حديثي ، ثم انهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعض : كأننا نعرف هذا الاعرابي ما اشبهه بعمر ابن ابي ربيعة . فقالت احداهن : فهو والله عمر ! فدَّت هند يدها فانترعت عمامتي فالقتها عن رأسي ، ثم قالت : هيه يا عمر ! اراك خدعتنا منذ اليوم ، بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بجالد فارسلناه

لثانيها في اسوأ هيئة ونحن كما ترى ^(١). وقد ذكر الجاحظ القصة نفسها مع بعض الزيادات في آخرها مسندة الى رجل باسم ابراهيم بن قدامة زعم ان عمر نفسه حدثه حديثها ^(٢). وقد قصها عمر في شعره بقصيدة عينية تقرن في كثير من المواضع برأيته المشهورة . ويصف عمر في هذه القصيدة ما جرى له مع النسوة ، ويذكر حديثهن وحديثه معهن ، ويشير الى ان الفتيات بدعوتهن اياه قد قربن اسباب الهوى اليه . قال في بعض ابياتها :

فلما تفاوضنا الحديث واسفرت وجوه زهاها الحسن ان تتقنا
تباهن بالعرفان لما عرفني وقلن امروا باغاً كلّ واوضعا
وقربن اسباب الهوى لمتيم يقبس ذراعاً كلما قسن اصعبا
فلما تنازعن الاحاديث قلن لي اخفت علينا ان نقرّ ونخدعا ^(٣)

ونحن وقد اكتفينا بتدوين هذه القصة الآن لا يفوتنا ان نشير الى ان القصة التي روينها عن حب عمر للساعدة والتي وقعت له مع ابي مسهر العذري قد اسندها الرواة الى عمر نفسه ^(٤). والقصة التي زعموا انها وقعت له مع الفضل بن عباس اللبي واوردناها في فصل سابق قد اسندها الرواة ايضاً الى عمر نفسه ^(٥). وهناك حديث وجيز عن عمر وفتاتين اسنده الرواة الى عمر ^(٦). وكذلك زى ان القصة التي رويها انها وقعت لعمر مع فاطمة بنت عبد الملك أسندت الى عمر ^(٧). وترى في كل هذه القصص التي قصها عن نفسه فيما يزعم الرواة ذكراً لحبه الى التحدث مع النساء .

واذا تركنا هذه القصص التي رواها الناس عنه او تلك التي رواها هو عن نفسه فيما يزعمون ، وعُدنا الى شعره زى الادلة الكثيرة على ان عمر كان قوكةً ظريفاً مولعاً بالحديث الشهي يلقيه على مسامع صاحباته او يستمع اليه من افواههن ، محباً للسمر اللذيذ ، موقفاً بواسطة فنه هذا الى كسب قلوب الفتيات ، بل لعل هذا الحديث كان من العوامل التي سهّلت له سبل اللهو مع صاحباته ؛ ومن يدري فلعل غايته في كثير من وقائعه الحية كانت لذّة الحديث فحسب ، وما كان حب الكثيرين من العذريين ان صحت اخبارهم الاحديثاً يلتذذونه او انساً يكتفون به ^(٨). وقد قال عمر في احدى صاحباته :

- | | |
|-----------------------------|-------------------------|
| (١) الاصبهاني ١ : ٧٢ | (٢) الجاحظ (م) : ٢٢٩ |
| (٣) ابن ابي ربيعة (ع) : ٢٢٦ | (٤) ابن عدي ربه ٣ : ٤٥٢ |
| (٥) الاصبهاني ١٥ : ٨ | (٦) الاصبهاني ١ : ٢٦ |
| (٧) " ١ : ٧٦ و ٧٧ | (٨) ابن عدي ربه ٣ : ٤٥١ |

يا وهب ان يك قد شطّ البعاد بكم
فكم وكم من حديث قد خلوت به
وفرق الشمل منا صرف ذا الزمن
في مسمع منكم او منظر حسن^{١)}

وقال :

رب لهو لهوته
ليس في ذاك محرم
بيوار ربائب
واله المفارب
ر بذرو التعائب^{٢)}

وقال :

فيا طيب ما هو هناك لهوته
بستمع منها ويا حسن منظر^{٣)}

وقال :

وترى لها دلاً اذا نطقت
كتساقط الرطب الجني من الـ
تركت بنات فؤاده صمرا
قنوان لا كثراً ولا نزرأ^{٤)}

وقال :

وحديث بئله تنزل العصم م رخم يشوب ذلك حلم^{٥)}

وقال :

ليت حظي كطرفة العين منها
او حديث على خلاه يسلي
وكثير منها القليل المنيأ
ما بين الفؤاد منها ومنأ
كبرت ربي نعمة منك يوماً
ان اراها قبل المات ومنأ^{٦)}

وقال :

رب ليل سمرت فيه قصير
ورفيق قد كان كفتاً كريماً^{٧)}

وقد التفت القدماء من نقدة الشعر الى هذه الميزة في شعر عمر : قال مصعب الزبيري :

- | | |
|---------------------------|-------------------------------------|
| (١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٣٨ | (٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٦٠ |
| (٣) " " " " ١٩٩ | (٤) " " " " ٣٨ |
| (٥) " " " " ٥١١ | (٦) " " " " ٥٥٣ غير انا آكرنا قراءة |
| (٧) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٠٤ | [الاصبهاني ١ : ٦٣] |

ان عمر ابن ابي ربيعة راق الناس وفاق نظراءه بيزات منها جنيه للحديث حيث يقول :

وجوار مساعفات على اللهو م مسرات باطن الاضغان
صيد للرجال برشغن بالطرف م حسان كخذل الغزلان
قد دعاني وقد دعاهن للهو م شجون مهمة الاشجان
فاجتئينا من الحديث ثماراً ما جنى مثلاً لعمر ك جاني^(١)

ومنها ضربه الحديث ظهراً لبطن حيث قال :

في خفاء من الانيس وامن فشتينا غلينا واشتينا
وضربنا الحديث ظهراً لبطن واتينا من امرنا ما هويتنا
فمكثنا بذاك عشر ليالٍ في قضاء لدينا واقتضينا^(٢)

ومنها اذلاله صعب الحديث حيث قال :

فلما افضنا في الهوى نستينه وعاد لنا صعب الحديث ذلولاً
شكوت اليها الحب اظهر بعضه واخفيت منه في القواد غليلاً^(٣)

ويقول مصعب في آخر تلك القطعة الكبيرة (او الخبر الطويل كما يسميه ابو الفرج)
في ميزات شعر عمر : وكان (والضمير يعود الى عمر) بعد هذا كله فصيحاً شاعراً مقولاً^(٤) .
ولسنا نقالي اذا قلنا ان اقوى ظاهرة في شعره انما هي وصف هذا الحديث الذي كان
يدور بينه وبين صاحباته . قلت ، فقالت ، فقلت ، فقلن الخ . وقد زعم الرواة ان جميلاً
زعيم الشعراء العذريين اجتمع مع عمر بالابطح ، فانشد جميل قصيدته التي يقول فيها :

لقد فرح الواشون ان صرمت حيلي بثينة او ابدت لنا جانب البخل
يقولون مهلاً يا جميل واتي لأقسم مالي عن بثينة من مهل

حتى اتى على آخرها ، ثم قال لعمر : يا ابا الخطاب هل قلت في هذا الروي شيئاً ؟
قال : نعم ! قال : فانشدنيه ! فانشده قوله :

جرى ناصح بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب الى قتلي
فطارت بحد من فؤادي وقارنت قرينتها حبل الصفاء الى حبلي
فلما توافقتا عرفت الذي جسا كمثل الذي في حدوك النمل بالنمل

(٢) الاصبهاني ١ : ٦٣

(٤) " ١ : ٦٣

(١) الاصبهاني ١ : ٦٣

(٣) " ١ : ٦٣

فقلن لها هذا عشاء واهلنا
 فقالت فما شئتن قلن لما انزلي
 نجوم^١ دراري^٢ تكفن صورة
 فسلمت واستأنست خيفة ان يرى
 فقالت وارخت جانب الستراغما
 فقلت لها ما بي لهم من ترقب
 فلما اقتصرنا دونن حديثنا
 عرفن الذي صوى فقلن انذني لنا
 فقالت فلا تلبثن قلن تحدثن
 فقمين وقد افهمن ذا اللب اغما

قريب الما تسامي مركب البغل
 فلأرض خير من وقوف على رحل
 من البدر وافت غير هوج ولا عجل
 عدو^٣ مقامي او يرى كاشح فعلي
 معي فتكلم غير ذي رقبة اهلي
 ولكن سري ليس يحمله مثلي
 وهن طيبات بجاجة ذي الثبل
 نطف ساعة في برد ليل وفي سهل
 اتيناك وانين انسياب مها الرمل
 اتين الذي ياتين من ذاك من اجلي

فقال جميل : هيهات يا ابا الخطاب ! لا اقول والله مثل هذا سجييس الليالي . والله
 ما يخاطب النساء مخاطبتك احد وقام مشمراً .^{١)}

وتناقش الاقدمون في هاتين القصيدتين فقال الحرمي ابن ابي العلاء : من الناس من
 يفضل قصيدة جميل اللامية على قصيدة عمر ، وانا لا اقول هذا ، لان قصيدة جميل مختلفة
 غير مؤلفة فيها طوابع النجد وحوالد المهدي ، وقصيدة عمر ابن ابي ربيعة ملساء المتون مستوية
 الابيات آخذ بعضها باذنان بعض ، ولو ان جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لارتج عليه
 وعثر كلامه به .^{٢)}

موضوع هديره

اما درس هذا الحديث الذي كان يقع بين عمر وصاحباته ، وان يكن في الظاهر
 خارجاً عن سياق بحثنا ، فانه ليعكس شيئاً من خلق عمر ونفسيته اللذين نحاول تصويرهما
 في هذا الباب ، كما وانه بالوقت نفسه يشرح لنا شيئاً من روح مجتمعات النساء ومجالسهن
 مع الشبان في ذلك العصر سواء أكان من الناحية الاجتماعية ام من الناحية الادبية .
 ولقد كان يدور هذا الحديث بين عمر وصاحباته في اكثر الاحيان على وقائع حبه مع
 النساء واشعاره فيهن ، هذا اذا استثنينا احاديثه الخاصة مع بعضهن وما يتخللها من عتاب
 او بث شكوى او مغازلة وما الى هذه الامور .

(١) الاصبهاني ١ : ٥١ وانظر ابن ابي ربيعة (ش) ق ١٦٨ (٢) الاصبهاني ٢ : ١٣٤

ويظهر ان النساء اللواتي كن يجلسن معه ليتحدثن وايه كنَّ يطلبن اليه ان يقص عليهن شيئاً من وقائع حبه مع فلانة او غيرها ، والنساء بطبعهن طامعات يربغن في ان يعرفن اخبار بنات جنسهن واسرارهن وقصص حبهن . ويظهر ان عمر كان يدرك هذه الناحية في خلق النساء فكان ياتيهن بما يتطلعن اليه ، وقد كانت اكثر هذه القصص مما وقع له معين او بما كان له علم او شأن فيه . وكنَّ فيما يظهر ايضاً يسمعن شعر عمر ببعضهن فيربغن في ان يعرفن خبر هذا الشعر . ومنهن من كانت تناقشه في امر وقوع ما يزعم فتسكره ، او تتحدث معه في مضمونه وتفصيله فتعلق على ذلك ، او تعاتبه لاجله او تنعى عليه موقفه فيه . فقد زعم الرواة ان فاطمة بنت عبد الملك احتالت عليه في ان اتت به معصب العينين الى مضربها ، ذلك انها ارسلت احدى جواريا تدعو عمر الى محادثة احسن الناس وجهاً واتهم خلقاً واكلمهم ادباً واشرفهم حسباً ، فقال عمر ما احب اليّ ذلك ! قالت الجارية : على شرط تمكيني من عينيك حتى اشدّها واقودك حتى اذا توسطت الموضع الذي اريد حلت الشد ، ثم افعّل ذلك بك عند اخراجك . وتنتهي الرواية في ان فاطمة سألته عن ابيات نظمها ثم نعت عليه تصريحه بالفسق .^(١)

ولكن فاطمة على ذاك طلبت اليه ان يكلمها ويحدثها وينشدّها ، وقالت له : لولا وشك الرحيل وخوف القوت ومحبتى لمناجاتك والاستكثار من محادثتك لاقصيتك .^(٢) وذكر الرواة ان كلّم بنت سعد الخزومية عيّرتّه بالفاسق مداعبة اياه وذكرته بفساد مبدئه في الحب في قوله الذي فيه :

لا تجعل احداً عليك اذا احبته وهوته ربّاً^(٣)

وروا ان البغوم عندما سمعت قوله فيها وفي صاحبها أسماء :

ولقد قلت ليلة الجزل لما اخضلت ريطتي عليّ^(٤) السماء

قالت : ما رأيت اكذب منك يا عمر ! ترعم انك بالجزل وانت في جنيد محمد بن مصعب ، وترعم ان السماء اخضلت ريطتك وليس في السماء قرعة . قال : هكذا يستقيم هذا الشأن .^(٥)

(٢) الاصبهاني ١ : ٧٦ - ٧٧

(٤) " ١ : ٦٨ - ٦٩

(١) الاصبهاني ١ : ٧٦ - ٧٧

(٣) " ١ : ٨٣

ومنهن من كانت تعاتبه على امور قد بدرت منه او ظهرت في شعره ، كتخلفه عن موعد ضربه لها ، او كتصريحه باسمها الخ . فقد قال :

رب هو لهوته بجوار ربائب
ليس في ذاك محرم واله المغارب
غير ان نشفي الصدو ر بذرو العتاب^{١)}

وقال :

ان تجودي او تبخلي فيحمد انت من واصل لنا لا تذمي
او تقولي ما زلت في الشعر حتى بحت للناس غير ان لم تسم
فالمحل الذي حللت به وال حسن ابدى عليك ما كنت اكلمي^{٢)}

وقال :

فلما التقينا سلمت وتبسمت وقالت كفول المعرض المتجنب
امن اجل واش كاشح بنمية مشي بيننا صدقته لم تكذب
قطعت وصال الحب فينا ومن يطلع بذى وده قول المحرش يعتب^{٣)}

وقال :

قالت لجارية لها قولي له مني مقالة عاتب لم يعتب
ولقد علمت ان عدت ذنوبه ان سوف يزعم انه لم يذنب
المخبري اني احب مصافيا داني المحل ونازحا لم يصقب
لو كان بي كلفا كما قد قال لم يجمع بعادي عامدا وتجنبي
فجعلت الثلجها يميناً برة بالله حلقة صادق لم يكذب
ما زال حبك بعد ينمي صادقاً عندي وارقب فيك ما لم ترقبي^{٤)}

وقال :

ثم قالت ودمعها يغسل الكحل م مراراً يخال دراً نظماً
لا يكونن آخر العهد هذا يا ابن عمي ولا تطيعن غوما
ثم قالت لترجما ان قلبي من هواه امسى مصاباً كلياً^{٥)}

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٦٠

(٢) " " " " ٩٣

(٣) " " " " ٥٠٤

(٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٠٩

(٥) " " " " ١٠٦ - ١٠٧

وترى في شعره ان صاحباته كن ينقلن له بعض احاديثهن عنه او عما له علاقة فيه او في محبوباته قال :

زعموها سألت جاراعا وتعمرت ذات يوم تبتد
اكما ينعتني تبصرني عمركن الله ام لا يشد^(١)

وقال :

ودعاني ما قال فيها عتيق وهو بالسن عالم يطار
قول نسواها اذا حفل النسوان (م) في مجلس وقل الامار
انما عفة عن المثلث الواضع والطعمة التي هي عار
نعتوها فاحسنوا النعت حتى كدت من حسن نعتها استطار^(٢)

وقال :

خبروها باثني قد تزوجت م فظلت تكاتم النيط سراً
ثم قالت لاختها ولأخرى جزعاً لينة تزوج عسراً
واشارت الى نساء لديها لا ترى دونهن للسر سراً
ما لقلبي كأنه ليس مني وعظامي اخال فيهن قترا
من حديث غي الي فطيع خلت في القلب من تلطيحه جراً^(٣)

وقال :

فقال لا تراب لها ابرزن اني اظن ابا الخطاب منا بمحضر
قريباً على ست من القوم تنقي عيونهم من طائفين وسر
له اختلجت عيني اظن عشيته واقبل ظلي سانح كاللبشر
فقلن لها لا بل غنيت منية خلوت جاً عند الهوى والتذكر
فقال لهن امسين اماً نلاقه كما قلت او نشفر النفوس فتعذر^(٤)

وان ديوانه مترع بمثل هذه الاشعار التي يذكر فيها احاديث صاحباته فيما بينهن ، او احاديثهن اليه ، او حديثه اليهن ، ومحاوراتهن وجدلن في بعض الامور وشيئاً من عاداتهن في الكلام والقسم وغير ذلك ، وقد كان عمر قديراً في تضمين هذه الاحاديث في شعره او تمثيلها او تصويرها حتى لكانك تسمعها الآن من لم قائلاتها بعد هذا الزمن الطويل .

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٣٤

(٤) " " " " ١٩٨

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٤٥

(٣) " " " " ٢٠٩

وهناك تعابير لا تزال مألوفة عند العامة حتى الآن ، واسمع قوله الذي ذكرنا منذ حين عن صاحبه التي نقلوا اليها ان عمر تزوج :

خبروها بانني قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لاختها ولاخرى جزءاً ليته تزوج عسرا

تشعر كأنك تسمع هذه العبارة الآن من فم فتاة عربية كادها حبيلها فتزوج من غيرها ، واسمع هذا الكلام :

فقلت : فلا تلبثن . قلن : تحديني اتيناك . وانسبن انسياب ما الرمل

ترانه يكاد يكون نقله بالحرف كما سمعه من صاحباته وهن يخاطبن محبوبته . تقول لمن : لا تلبثن . اي لا تبطنن في الرجوع ، فيجبنا : تحديني اتيناك . اي سوف لا نلبث طويلاً .

ومن هنا نرى ان شعر عمر هو من خير المصادر لمعرفة شيء عن لغة المرأة الحجازية وتعابيرها ، وبعض ضروب حديثها وانواع مواضعه ، ومع انه يجوز ان يكون صاحبنا عمر قد صقل بعض تعابيرها عند ذكرها في شعره او غيرها فلا نظن انه كان بعيداً عن تمثيل لغة المرأة الحضرية في ذلك العصر وحديثها وهناك بين ادبائنا العصريين من يذهب الى ابعد من هذا فيزعم ان شعر عمر خير مصدر على الاطلاق لدراسة الحياة الاجتماعية التي كانت تحياها المرأة الارستقراطية في الحجاز في العصر الاموي . قال طه حسين : والمؤرخ الذي يريد ان يدرس حياة المرأة العربية المترفة في هذا القرن الاول يجب ان يلتبس هذه الحياة في شعر عمر ابن ابي ربيعة فلن يظفر في مصدر آخر من مصادر الادب والتاريخ بمثل ما يظفر به في هذا الشعر .^(١)

عليه بزوق الكلام

ولكن عمر كان فيما يظهر يتعرض في حديثه مع النساء وعنهن وفي محاولاته الى اظهار حبه لمن وردّه على عتابهن الى شيء من تزويق الكلام ، وربما الى اكثر من التزييق - الى التحريف والكذب - ولم يفت النساء زمناً ان يلحسن هذا في حديثه وشعره ،

فقد اتهمنه بسرد الكلام وتزويقه والكذب فيه ، ولعله كان فيهن من لم تر بأساً في بعض هذا التزويق والكذب . وقد ذكر الرواة ان كلثم بنت سعد الخزومية قالت عنه : انه خدّاع مَلِيق وليس لما شكاه اصل . ^(١) وان الثريا قالت عنه : انه لَوَقَّاحٌ صَنَعَ بلسانه ولئن سلمت له لاردن من شأوه ، ولأثنين من عنانه ، ولا عرفنه نفسه . ^(٢) وقالت عندما سمعت وصفه لرملة بنت عبدالله بن خلف الخزاعية وقوله :

وجلا بردها وقد حسرتة نور بدر يضي للناظرينا :

افّر له ما اكذبه أو ترتفع حسناء بصفته لها بعد رملة ؟ ^(٣)
ولقد رووا عنه ايضاً انه لقي مرة عائشة بنت طلحة بمكة وهي تسير على بغلة لها ، فقال لها : قني حتى اسمعك ما قلت فيك . قالت : أو قد قلت يا فاسق ! قال : نعم ! فوقفت فانشدها :

يا ربة البغلة الشهباء هل لك في ان تشري ميتاً لا ترهقي حرجا
قالت بدائك مت او عش تعالجه فما ترى لك فيما عندنا خرجا
قد كنت حملتنا غيظاً نعالجه فان بعدنا فقد عنيقتنا حرجا
حتى لو اسطيع ما قد فعلت بنا اكلت لحملك من غيظ وما نضجا

فقات : لا ورب هذه البنية ما عنيقتنا طرفه عين قط ! ثم قالت لبغلتها : عدس !
وسارت . ^(٤)

ولقي سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف فانشدها شعره فيها ، وزعم فيه انها قالت له شيئاً ، ولكتها بعد فراغه من انشاده قالت له : اخزالك الله يا فاسق ، ما علم الله اني قلت مما قلت حرفاً ! ولكنك انسان بهوت . ^(٥)

وكذلك لم يفت الكثيرين من معاصره ان يحسوا بهذه الظاهرة في اقواله . ^(٦) فقد روي ان نصيباً زعم مرة ان عمر اكذب الشعراء . ^(٧) وان ابن ابي عتيق قال عنه : انه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون . ^(٨) وروي ايضاً انه لما هجرته الثريا وسعي ابن ابي

(٢) الاصبهاني ١ : ٨٦

(٤) ٨١ : ١

(٦) ٤١ : ١

(٨) ٨٩ : ١

(١) الاصبهاني ١ : ٨٣

(٣) ٨٨ : ١

(٥) ١٣ : ١٦

(٧) ١٤٦ : ٢

عتيق فاصلح بينهما ، قال عمر شعراً يصف فيه هذا الصلح ، ويذعم ان ام نوفل جارية الثريا دعت الثريا لتجيبه ففعلت ، ولبتته :

حين قالت لما اجيبي فقلت من دعائي قالت ابو الخطاب

ويظهر ان الزبير بن بكار شك في صدق كلام عمر فقال : وما دعيتها ام نوفل الا لابن ابي عتيق ولو دعيتها لعمر ما اجابت .^(١)
وفي شعره مواضع كثيرة تشير الى معاتبة النساء له على كذبه ، او على حشته بوعوده ، او تزويقه الكلام ، قال بلسان احدى صاحباته :

غير ان قد غدرتي قبل خبر فوجدناك كاذباً اذ خبرتنا
ابن ايمانك الغليظة عندي وموائق كلها قد نقضنا
لا تخون الرباب ما دمت حياً يا ابن عمي فقد غدرت وخنتنا

وفيها يقول :

من كلام تحذه ويجلف من كلام تحذه ويجلف
ثم لم توف ان حلفت بهد بش ذو موضع الامانة انتا^(٢)

وقال يذكر قول احدى صاحباته لرسولها اليه :

ثم قولي كفرت يا اكذب الناس م جميعاً من حاضرين وبادي^(٣)

كثير القسم

والذي يقرأ ديوان عمر يرى اكثره من القسم في شعره سواء كان متكلماً بلسانه او بلسان احدى صاحباته ، وهو يدل على كثرة استعانتهم بالأيمان في احاديثهم واشعارهم في ذلك العصر ، وربما نعرض لهذه الظاهرة عند درسنا شعر عمر والصور الاجتماعية التي يعكسها ، فلنكتف بذكر بعض الامثلة هنا . قال :

لقد حلفتُ مينا غير كاذبة صبراً اضاعفها يا سكن مجتهدا
بالله ما غت من نوم تفر به عيني ولا زال قلبي بعدكم كمدا^(٤)

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١١١

(٤) " " " " ١٤١

(١) الاصبهاني ١ : ٨٩

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ١٧٤

وقال :

فجملت اثلجها يميناً برةً باؤه حلفة صادق لم يكذب
ما زال حبك بمد يمني صاعداً عندي وارقب فيك ما لم ترقى^{١)}

وقال :

واؤه والبيت العتيق لقد ساويت عندي جنة الخلد^{٢)}

وقال :

هي واؤه الذي هو ربي صادقاً احلف غير الكذاب^{٣)}

وقال :

لا والذي بعث النبي محمداً بالنور والاسلام دين القيم
وبما اهل له الحجيج وكبروا عند المقام وركن بيت المحرم
والمسجد الاقصى المبارك حوله والطور حلفة صادق لم ياثم^{٤)}

وفي اشعار عمر شواهد كثيرة على هذه الناحية . ولم يفته ايضاً كما ذكرنا ان يثبت
بعض الأيمان التي كانت تحلفها النساء وصور هذه الايمان وانواعها .
قال :

قالت وعيش ابي وحرمة اخوتي لأنهن الحي ان لم تخرج
فخرجت خوف يمينها فتبسمت فعلمت ان يمينها لم تخرج^{٥)}

وقال :

قلت مهلاً غفواً جميلاً فقالت لا وعيشي ولو رايتك متاً^{٦)}

وقال :

ولعمداً ردني فاجتهدت يمين حلفة عند الغضب
اشهد الرحمن لا يجمعنا سفه بيت رجياً حتى رجب^{٧)}

(٢) ابن أبي ربيعة (ع) ١٥٣

(٤) " " " " ٤٩٩

(٦) " " " " ١٠٩

(١) ابن أبي ربيعة (ع) ١٠٧

(٣) " " " " ٩٧

(٥) " " " " ١١٩

(٧) " " " " ٥٦

وفي خبر هذه الابيات ان صاحبه هذه وعدته ان تزوره ، وبعثت احدى جواريسها تضرب الباب ، فوجدت عنده جاريته ، فعادت وبلغت سيدتها ، فاقسمت لا تزوره حوالاً . فكبر عليه ذلك ، وبعث اليها امرأة كانت تختلف بينه وبين معارفه ، وما زالت بها حتى صرفتها عن رأيها ، ذلك انها اقسمت لها انه لم يكن عنده الا جاريته فرضيت ورجعت عن ميعنها .

محب الدعابة والمزح

وكان من طبع عمر فيما يظهر ميل للدعابة والمزح والمفاكة ، وقد كان يخط احاديثه مع النساء في شيء منها . ذكر بديع عن نفسه كيف خدعه عمر ذات يوم واستطاع ان يرسله الى بنت محمد بن الاشعث الكندية في حيلة لطيفة . قال بديع : فلما رايتها مقبلة عرفت انه خدعني ، فقلت له : يا عمر ! صدقت التي قالت :

فهذا سحر ك النوان م قد خبرني خبرك

قد سحرتني وانا رجل ، فكيف برقة قلوب النساء وضع رأيهن ؟ وما آمنك بعدها ! ولو دخلت الطواف ظننت انك دخلته بليّة ، قال : وحدثها بجديتي فما زالا ليلتهما يفصلا حديثهما بالضحك مني .^(١)

وفي ابياته التي ذكرنا منذ قليل عن قسَم صاحبه في ان يخرج والأى نهت اهلهما ، وكيف خرج فتبسمت فعاد ، ضرب من ضروب هذا المزاح بينه وبين صاحباته . وقد كلفته مداعبته مع الثريا مرة شيئاً عظيماً فقد رووا انه اتى يزورها مستصحباً صديقاً له ، فكشفت الست لتقابل عمر فلما رأت صاحبه رجعت ، فقال لها عمر : انه لا يجتمع هذا الصديق ولا يخفي عنه شيئاً ، واستلقى من الضحك . فخرجت اليه فضرِبته بظاهر كفها ، فاصابت الحواشم ثنيتيه العليين وكادت ان تقلعهما ، ثم ثبتتا واسودتا .^(٢) وحج الوليد بن عبد الملك واستصحب عمر يدله على اموال الطائف ، فذكروا انه كان يقص عليه من اخباره ما كان يضحكه .^(٣)

(٢) الاصبهاني ١ : ٩١

(١) الاصبهاني ١ : ٤١

(٣) " ١ : ٥٠

ونسب اليه بعض الرواة انه اصلح مأدبة اثر استلامه هدية بعثت بها له احدى نساء بني امية . وان اقل ما يقال في هذه المأدبة ان المزح فيها خرج عن دائرة الحشمة والادب الى شي . من المجون . ويقول ابو الفرج في آخر خبرها : فخدشهم عمر بالخبر ، فتعجبوا وما زالوا يمازحون بذلك دهرأ طويلاً ويضحكون منه .^(١)

وليس غريباً على مثل عمر ان يحب المزح والدعابة وقد كان صديق ابن ابي عتيق الذي شهر بالمزح والدعابة واللهو .

ولم يخلُ شعر عمر من آثار هذه الناحية في خلقه وخلق صاحباته او ان شئت فقل لم يفت عمر ان يشير الى بعض ما كان يتخلل مجالسه مع صاحباته من ضروب اللهو والمزح والمفاخرة قال :

ابو . بذني اني قد ظلمتها واني بباقي ذنبيها غير بائع
هي الشرّة الاولى فان عدت بعدها احدث سرّاً او فكاهة مازح
فلا تغفريها واجعلها جنابة تمرغت فيها في حماة مائع^(٢)

وقال يصف ضرباً من ضروب مزاح حبيسته في كلامها معه :

حدثونا انما لي نقشت عقداً يا حبذا تلك العقد
كلما قلت متى ميعادنا ضحكك هند وقالت بعد غد^(٣)

وقال :

من لقلب غير صاح في تصاب ومزاح^(٤)

وقال :

فهنرت رأسها عجباً وقالت مازح مزحاً^(٥)

وقال بلسان صاحبه :

قلت لي قول مازح تستيني بلسان مقول اذ حلفتنا^(٦)

وقد رووا عن عمر ما يفيد انه ظل يحب المزاح حتى آخر عمره . حدث مولى له قال :

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١٣٣

(٤) " " " " ١٣١

(٦) " " " " ١٠٨

(١) الاصبهاني ٧٠ :

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ١٤٧

(٥) " " " " ١٣١

كنت مع عمر وقد أسنَّ وضعف ، فخرج يوماً يثني متوكئاً على يدي حتى مرَّ بعجوز جالسة فقال لي : هذه فلانة وكانت إلغاً لي . وعدل إليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يحادثها ، ثم قال : هذه التي أقول فيها :

ابصرها لبلا ونسوتها يمسين بين المقام والحجر

• • • • •

... قال : وجلس معها يحادثها فاطلعت رأسها الى البيت وقالت : يا بنياتي ، هذا ابو الخطاب عمر ابن ابي ربيعة عندي ، فان كنتن تشتهين ان ترينه فتعالين . فجئن الى مضرب قد حجزن به دون بابها فجعلن يثقبنه ويضعن اعينهن عليه يبصرن فاستسقاها عمر ، فقالت له : اي الشراب احب اليك ؟ قال : الماء . فاتي باناء فيه ماء ، فشرب منه ، ثم ملأ فمه فبجته عليهن وفي وجوههن من وراء الحاجز ، فصاح الجواري وتهايرن وجعلن يضحكن ، فقالت له العجوز : ويلك ! لا تدع مجونك وسفهك مع هذا السن ! فقال : لا تلوميني ، فما ملكت نفسي لما سمعت من حركاتهن ان فعلت ما رايت^(١).

عن مقال

ومهما يكن من كذبه او مزحه او تزويقه الكلام ، فالذي لا شك فيه انه كان محتشماً في حديثه عفيف القول في شعره ، فليس في كل ما قرأنا له او عنه انه تفوه بلفظ فاحش بذي . وليس في كل ما تحدّر اليينا من شعره اثر من هذا . نعم ليس في كل الديوان الذي بين ايدينا بيت واحد فيه لفظ فاحش ، بعكس ما زى في اشعار الكثيرين من معاصريه كالفرزدق وجورج والعرجي والاحوص وغيرهم . ويظهر انه نشأ نشأة فيها احترام لمثل هذه العفة في اللفظ شأن الكثيرين من الاشراف ، روى السيوطي في تاريخ الخلفاء ان الاشراف من الناس لا تتكلم الفحش ، وان الحسن كان منهم^(٢) وروى النويري في نهاية الارب ان عبدالله بن الزبير تكلم رفثاً لامرأة من النساء ، فقال صديق له كان معه : ما ظننت ان احداً يلي شيئاً من امور المسلمين ، يتكلم بشيء من هذا^(٣).

(٢) السيوطي ٧٣

(١) الاصبهاني ١ : ٧٠-٧١

(٣) النويري ٣ : ١٦٠

ولعله قد تأثر بلغة القرآن وأساليبه ، والقرآن حين يعرض لذكر علاقات الرجال مع النساء . ينجح الى الكناية ويرغب عن اللفظ الخسيس المفحش الى ما يدل على معناه من غيره . وشواهد ذلك كثيرة .^(١)

وقد ذكر مصعب الزبيري ان من المزايا التي راق فيها عمر ابن ابي ربيعة الناس وفاق نظرائه ، عفة المقال ، وذكر من عفة مقاله :

طال ليلى واعتادني اليوم سقم	واصابني مقاتل القلب نعم
حرة الوجه والشمال والجو	هر تكليمها لمن نال غنم
وحدث بمنله تزل العصم	م رخيتم يشوب ذلك حلم
هكذا وصف ما بدا لي منها	ليس لي بالذي تغيّب علم
ان نجودي او تبخلي فيحمد	لست يا نعم فيها من يذم ^(٢)

وبعثت اليه عائشة عندما وافقها وهي تستلم الركن ان يتقي الله والا يقول فيها هجراً ، فارسل اليها يقول : ابن عمك لا يقول الا حسناً . ولعمر من شعر يقول فيه عن نفسه مخاطباً جبينته :

فكي اسبراً يا عثيم فانه خلط الحياء بعفة وتكرّم^(٣)

وليس غريباً ان تكون هذه الناحية من آدابه في حديثه وشعره قد يئّرت عليه امر تردده الى النساء . فلن اليه ولم ينفرن منه ورغب بعضهم في ان يسمعن شعره فيهن . ولعل هذه الناحية ايضاً من خلقه هذا قد دفعت بالرواة الى ان يقولوا عنه : انه كان عفيفاً . قال الزبير : لم يذهب على احد من الرواة ان عمر كان عفيفاً يصف ولا يقف ويحوم ولا يرد .^(٤) وقال الحصري : وكان عمر على غزله وما يذكره في شعره عفيفاً .^(٥) حتى محبوباته فقد احسن بعضهم بذلك كما اشرفنا فذكرن او ان شئت فقل ان الرواة جعلوهن يذكرن ان عمر كان عفيفاً . ذكروا انه لما وفدت الثريا على الوليد بن عبد الملك قال لها : اتروين من شعر عمر ابن ابي ربيعة شيئاً ؟ قالت : نعم ! اما انه يرحم الله كان عفيفاً عفيف الشعر .^(٦)

(٢) الاصبهاني ١ : ٥٣ و ٥٥

(٣) " ١ : ٥٣

(٤) الاصبهاني ١ : ٩٣ والحصري ١ : ٢٩٣

(١) المبرد ١ : ٤١٣

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٩٩

(٥) الحصري ١ : ٢٩٨

فسقى

عن عبد العزيز بن عبد الله بن عيساش ابن ابي ربيعة قال : اشرف عمر ابن ابي ربيعة على ابي قيس ، وبنو اخيه معه وهم محرمون ، فقال لبعضهم : خذ يدي ، فاخذ بيده وقال : ورب هذه البنية ما قلت لامرأة قط شيئاً لم تقله لي ، وما كشفت ثوباً عن حرام قط ! قال : ولا مرض عمر مرضه الذي مات فيه جزع اخوه الحارث جزعاً شديداً ، فقال له عمر : احسبك انما تجزع لما نظنته بي ، والله ما اعلم اني ركبت فاحشة قط ! فقال : ما كنت اشفق عليك الا من ذلك وقد سلّيت عني .^(١)

اخبرني علي بن صالح قال : حدثني ابو هفان عن اسحق عن الزبيري قال حدثني ابي عن سمرّة الدوماني من حبيب قال : اني لأطوف بالبيت فاذا انا بشيخ في الطواف ، فقيل لي : هذا عمر ابن ابي ربيعة ، فقبضت على يده وقلت له : يا ابن ابي ربيعة ، فقال : ما تشاء ؟ قلت : أكمل ما قلته في شرك فعلته ؟ قال : اليك عني ، قلت : اسألك بالله ، قال نعم واستغفر الله .^(٢)

ولست ادري كيف اوفق بين هذين الرأيين المتناقضين ، بل لعل من الخير الاّ اسعى في التوفيق بينهما . ولقد استطاع اصحاب الرأي الاول ان ينجّدوا الكثيرين من مؤرخي الادب في العصور القديمة فصدّق هؤلاء ما نقل اليهم ، وقبلوه ، وارتاحوا الى ان عمر لم يكن بالآثم الفاسق ، فهو لم يركب فاحشة قط ولم يقل شيئاً لامرأة لم تقله له ، ولقد سلّي عنهم كما سلّي عن الحارث اخيه . ومن الغريب ان بعض المؤرخين والرواة الذين رووا اخبار فسق عمر ومجونه لم يستطيعوا المرور بمثل هذه الرواية دون ان يدوّنوها او يعلّقوا عليها بشي . من القبول ، بل هناك من يزعم ان الرواة كانوا يعرفون هذه العفة فيه وان كلامه لم يكن غير كلام شاعر يقول ما لا يفعل . قال الحصري : وكان عمر على غزله وما يذكره في شعره عفيفاً .^(٣) وقال الزبير بن بكار : لم يذهب على أحد من الرواة ان عمر كان عفيفاً يصف ولا يقف ويحوم ولا يرد .^(٤)

ولا اضل ان عمر نفسه يريدنا ان نصدّق ما تقوله عنه من انه لم يقل لامرأة شيئاً لم

(٢) الاصبهاني « د » ١ : ٧٥ وانظر الاصبهاني ١ : ٦٧

(٤) الاصبهاني ١ : ٥٢

(١) الاصبهاني ١ : ٢٦

(٣) الحصري ١ : ٢٩٨

تقله له ، بل لا نظن ان هؤلاء الرواة يريدوننا ان نصدق ان عمر كان عفيفاً في جميع وقائعهم مجوم ولا يرد . ويكفي ان نعلم ان هذه الشهادة التي تبرئ عمر من الاثم قد صدرت عن قريب له من آل ابي ربيعة ، وان كلام عمر الذي نرى به المنكر عن نفسه قد قاله لبني اخيه ولاخيه .

كذلك لسنا نذهب الى ان الرأي الثاني يجب ان يقبل بحرفه ، اذ لسنا نزعم ان عمر كان من الصديق بحيث كان يصف في شعره ما فعله في حياته دون ان يلجأ الى الخيال او المبالغة . ولقد مر معنا ان كثيرات من النساء نعين عليه كذبه . وقد حاول صديقه ابن ابي عتيق ان يدافع عنه مرة فقال : انه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون .^(١) غير انه مهما يكن امر كذبه فان في اقاربه - ان صح - لدليلاً على ارتكابه الاثم . ولم يفت القدماء من معاصري عمر وغيرهم ان يشيروا الى شعره الذي يصرح فيه بفسقه ومجونه ، روى الاصبهاني انه لما انشد عمر ابن ابي ربيعة ابن ابي عتيق قوله :

ثم قالت لأختها قد ظلمنا إن رجمناه خائباً واعتدنا
في خلاء من الانيس وامر فشفينا غليله واشتفينا

قال ابن ابي عتيق : امكنت للشارب الغدر ، من عال بعدها فلا انجبر .^(٢)
فلما بلغ الى قوله :

فمكنتا كذاك عسراً تباعاً فقضينا ديوتنا واقتضينا

قال : اما والله ما قضيتها ذهباً ولا فضة ولا اقتضيتها إياه فلا عرفكما الله قبيحاً .^(٣)
وزعم ابن ابي عتيق مرة ان الله جل وعز ما عصي بشعر اكثر مما عصي بشعر ابن ابي ربيعة^(٤)

وكان ابن جريج يقول : ما دخل على العواتق في حجابهن شيء اضر عليهن من شعر عمر ابن ابي ربيعة .^(٥)

(٢) الاصبهاني « د » ١ : ٢٢٩ يريد ان يقول لقد

(٣) " " " " "

(٥) " " ١ : ٢٥

(١) الاصبهاني ١ : ٨٦

امكنتك الفرصة فاتهنها .

(٢) الاصبهاني ١ : ٤٨

وزعم الرواة ان كثيرات من النساء نعين عليه فسقه ولمنه على شعره الذي وصف عبته فيه ^(١) . وقد منحه بعضهن لقباً عرف به وذكر له في كثير من المراجع التي بين ايدينا ، الا وهو « الفاسق » . ولنا نعلم من منهن كانت الأولى في منحه هذا اللقب ، انما نعرف ان عائشة بنت طلحة لُقِّبَتْ به غير مرة ^(٢) ، وان فاطمة بنت عبد الملك نعتته به فيما يزعمون ^(٣) . وكذلك فعلت كلثم بنت سعد الخزومية وجاريتها التي بعثها رسولاً الى كلثم هذه ^(٤) . وقد شاع لقبه هذا فيما يظهر فنعتته به اخوه الحارث ^(٥) ، ونعتته به ايضاً الخليفة عبد الملك بن مروان ^(٦) .

ولقد قصّ الرواة بعض اخبار مجونه فحدثوا عنه انه كان لابي العباس الشاعر الاعمى جارية وكان عمر يحبها ويأامها ببناقد الغالية ^(٧) ، فبلغ ذلك ابا العباس فقال لقائده : قفني على باب بني مخزوم فاذا مرّ عمر ابن ابي ربيعة فضع يدي عليه . فلما مرّ عمر وضع يده عليه فاخذ بخنجرته ^(٨) وقال :

الا من يشتري جاراً نووماً يجارٍ لا ينام ولا ينيمُ
وبليس بالنهار ثياب ناسٍ وشطر الليل شيطان رجيمُ

فنهضت اليه بنو مخزوم فامسكوا فمه وضمنوا له عن عمر ان لا يعاود ما يكرهه ^(٩) . وحدثوا عنه انه حين سار مع الوليد بن عبد الملك يدلّه على اموال الطائف حرّك رداءه ليصلحه على كتفه ، فرأى الوليد على منكبه اثرأ ، فقال : ما هذا الاثر ؟ فقال : كنت عند جارية لي اذ جاءتني جارية برسالة من جارية اخرى فجعلت تسارّني ، فقارت التي كنت احديثها فعضّت منكبي فما وجدت الم عضتها من لذّة ما كانت تلك تنفث في اذني حتى بلغت ما ترى ^(١٠) .

وقصّوا عنه قصصاً اخرى كثيرة بعضها اقرب الى قصص الف ليلة وليلة منها الى الحقيقة ، ولكن هذه القصص على غرابتها وزخرفها ليس فيها تصريح ظاهر لارتكاب عمر إثماً

- | | |
|-------------------------------------|---------------------------|
| (١) الاصبهاني ١ : ٧٧ و ٨٠ و ٨١ و ٨٣ | (٢) الاصبهاني ١ : ٨٠ و ٨١ |
| (٣) الجاحظ (م) ٢٢٥ | (٤) " ١ : ٨٣ و ٨٣ |
| (٥) الاصبهاني ١ : ٩٢ | (٦) المرزباني ٣٠٢ |
| (٧) أخلاط من الطيب | (٨) الحجرة معقد الازار |
| (٩) الاصبهاني ١٥ : ٦٣ | (١٠) الاصبهاني ١ : ٥٠ |

مُنْكَرًا كالذي يُروى عن زميليه الاحوص والعرجي . أما الذي يدفعنا الى اتهامه فهو اقراره على نفسه في بعض شعره واعلانه عن إتيانه الاثم . ونحن وان كنا نعلم ان عمر كان شاعراً والشاعر يلبس الحقيقة في اغلب الاحيان ثوباً من الخيال ، لا نرى ما ندفع به الاثم عنه وهو يُقر مثل هذا الاقرار في عصر لم يكن من الشائع فيه ان يصرح المرء في ارتكابه الموبقات ان لم يكن قد ألفها . وقد زعم بعض الرواة ان مَشِيخَةً من قريش كانت تستحسن من عمر ما تستبجحه من غيره من مدح نفسه والابتتيار في شعره . والابتتيار ان يفعل الانسان الشيء فيذكره ويفخر به ^(١) .

ولنذكر ايضاً ان الجواري اللواتي وقعن في ايدي العرب بعد الفتح وانقطعن عن الحياة العائلية التي كنَّ يحيينها في بيوتهن الاولى في بلادهن قد يسرن سبل الفسق والاثم وساعدن على انتشاره ، وقد بلغ الامر ببعضهن ان اتخذن منازل خاصة يقصدها الرجال للفسق . وقد روى الرواة ان جارية كانت تلعب ببدياجة الحرم تولت ابطلح مكة مرة وافترشت فيه البسط والناق ووضعت في المكان حشايا عليها فغطت عليها ثم بعثت في تلك الليلة رسولاً خاصاً يسعى بينها وبين زيد بن عمرو بن عثمان كي يحبسها فجاءها ^(٢) . وقد اتهمت هذه الجارية في اخلاقها ^(٣) . وكان عمر من عشاقها ، وقد فاتته مرة زيارتها فقال في ذلك :

ذهبت ولم تلم ببدياجة الحرم	وقد كنت منها في عناه وفي سقم
جنت بما لم اسمعت بذكرها	وقد كنت بمنوناً بجارحها القدم
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى	فكن حجراً بالحزن من حرة أمم ^(٤)

وكان بعض الجواري يتوسطن بين العشاق فكنَّ يحملن الرسائل ويصلحن بين المتجافين ويعرين النساء ، وكان لعمر منهن عدد يسعين بينه وبين عشيقاته قال في احدهن :

فاتتها طبة عالة	تخلط الجدة مراراً باللب
تنظ القول اذا لانت لها	وتراخي عند سورات الغضب
لم تزل تصرفها عن رأجا	وتأناها برفق وادب

وزعموا انه انشد هذا الشعر امام ابن ابي عتيق فقال له : الناس يطلبون خليفة في

(١) الاصبهاني ١ : ٥٢ - ٥٣

(٢) الاصبهاني ١٧ : ٩٣

(٣) " ١٧ : ٩٣

(٤) ابن أبي ربيعة (ش) ق ٤١٦ والاصباني ١٧ : ٩٤

صفة قوادتك هذه يدبر امورهم فما يجدونه ^{١)} .
ولعل أكثر حوادث عبثه وقعت في شبابه . قال :

تذكرت بالشري ايامها	وايامنا بكثيب الأمر
ليالي يجري بأسرارنا	امين لنا ليس بفشي لسر
فاعجبها غلواء الشبا	ببر تثبت في ناضر مسكر
واذا انا غرأ اجاري ددا	أخولذة كصر يع السكر ^{٢)}

وقد مر معنا انه قضى أكثر شبابه في المدينة وضواحيها يتردد الى دور الغناء . واما كن اللهو ويقصد مع بعض اصحابه متنزّهات العقيق ، فليس غريباً ان تكون الخلوات في ذلك الوادي البهيج قد يسرت لعمر سبل الاثم . ولم يفت عمر حين كان يزور الطائف ان يعيث ويلهو ، فقد كانت الطائف مصيفاً لسراة الحجاز ، وكان هذا المصيف مزوياً عن عيون العمال والرقباء فرح به اهل اللهو وعبثوا . وكذلك لم يفته ان يلهو بمكة لاسيما بعد انتهاء موسم الحج . ولندكر ان اكثر صواحب عمر كن يقضين الشتاء بمكة والضيف بالطائف . ويظهر ان نظم الحياة الاجتماعية عند بعض نساء الحجاز في ذلك العصر كانت تيسر لعمر الاختلاط بالمرأة واللهو معها ، وكانت تدفعها الى ان تتودد اليه وتتهالك على قربيه ، وقد زعموا ان امرأة عراقية اسمها الملاة بنت زرارة قالت عن عمر مرة : أما والله لو كنت كبعض من يواصل لما رضيت منه بما يرضين ، وما رأيت ادنى من نساء اهل الحجاز ولا اقر منهن بحسب ، والله لأمة من امائنا آتف منهن ^{٣)} .

وقد كان لعمر في بوادي الحجاز مجال للاجتماع ببعض صواحيبه ، ولعله قد اتخذ بعضهم من البدويات . وان شعره الذي يصرح فيه بفسقه يعجّ بذكر أسماء الكشبان والاوذية والفدر البعيدة عن أكثر مدن الحجاز .

اما شعر عمر الذي يقرّ فيه بفسقه فليس كثيراً ، ومن يدري فلعلّ بعضه قد ضاع فيما ضاع من شعره ، او ان الرواة او المتخرجين منهم بنوع خاص قد اسقطوا ما استطاعوا اسقاطه من شعر العبث والمجون . ومهما يكن من امر فان القدر الذي بين ايدينا منه

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٩٩ أما الدد فبو

(١) الاصبهاني ١ : ٥٩ - ٦٠

اللهو واللب . واقرأ الايات الاخيرة في هذه القصيدة حيث ترى إقراره بعبثه ومجونه .

(٣) الاصبهاني ١٢ : ٧٨

يكفي لتجريم عمر ، واستميج القاري عذراً اذا ضربت صفحاً عن بعض هذا الشعر
واكتفيت بالإشارة اليه دون ان يفوتني الاستشهاد بما لا ارى كبير خطر في ذكره ، قال :

لَمَّا الْمَتْ بِاصْحَابِي وَقَدْ هَجَمُوا	حسبت وسط رجال القوم عطّاراً
مَنْ طِيبَ نَشْرَالِي نَامَتْكَ إِذْ طَرَقَتْ	ونفحة المسك والكافور اذ ثارا
فَقُلْتُ مَنْ ذَا الْمُحِبِّي وَاتَّيَهَتْ لَهُ	ام من محدثنا هذا الذي زارا
قَالَتْ حُبٌّ رَمَاهُ الْحُبُّ آوَنَةً	وهيئته دواعي الحب اذ حارا
.....	ان شئت واجزي محباً بالذي سارا
فَقَدْ تَجَشَّعْتُ مِنْ طَوْلِ السَّرَى تَعَباً	وفي الزيارة قد ابلت اعذارا
اَنْ الْكُوكُوبَ لَا يَشْبَهُنْ صُورُهَا	وهن اسوأ منها بعدُ أخباراً ^(١)

وقال :

ثُمَّ ابَدْتُ إِذْ سَلَبْتُ الْإِلَاحَ	حُرْطُ مِيضاً هَضْباً
فَلَهَوْنَا اللَّيْلَ حَتَّى	هَجَمَ الصَّبِيحُ هَجُوماً
قُلْنَ قَدْ نَادَى الْمُنَادِي	وَبَدَأَ الصَّبِيحُ فَقُوماً
قَمْنَ يَرْجَبِينَ غَزَالاً	فَاتَرَ الطَّرْفَ رَحْباً
وَلَقَدْ قَضَيْتُ حَاجَا	تِي وَلَاقَيْتُ النِّعَمَا ^(٢)

وقال :

ولست بناس طوال الحياة م ليلتنا بكثيب الغدر
ولا قولها لي اذ ايقنت بما قد أريد بها استقر^(٣)

وله في رائيته المشهورة موقف يصف فيه زيارته لصاحبه ليلاً ويذكر كيف بلغ خيمتها
متسللاً فباغتها فيها فارتفعت اول الامر ثم اخذ يهدي روعها فسكنت وهنا يقول :

فَقَالَتْ وَقَدْ لَانَتْ وَافْرَخَ رُوعَهَا	كَلَاكَ بِحَفْظِ رُبُّكَ الْمُتَكَبِّرُ
فَانَتْ أَبَا الْمُطَّابِ غَيْرِ مُتَارِعِ	عَلِيٍّ أَمِيرٍ مَا مَكُثْتُ مُؤَمَّرُ
فَبَتْ قَرِيرَ الْعَيْنِ أَعْلَيْتُ حَاجَتِي	أَقْبَلَ فَاغَا فِي الْخَلَاءِ فَكَثِيرُ
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصِرُ طَوْلَهُ	وَمَا كَانَ لِيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ
وَيَا لَكَ مِنْ مَلْهٍ هُنَاكَ وَمَجْلِسُ	لَنَا لَمْ يَكْدُرْهُ عَلَيْنَا مَكْدُرُ
.....	

(٢) ابن أبي ربيعة (ع) ٣٠

(١) ابن أبي ربيعة (ع) ٣١٦

(٣) ابن أبي ربيعة (ع) ٣٠٠ و ٣٠١

فلما تفضى الليل الآ اقله وكادت توالي غبه تنغور
اشارت بان الحى قد حان منهم هبوب ولكن موعدك لك عزور
فلما راعني الآ مناد برحلة وقد لاح مفتوق من الصبح اشقر
فلما رأت من قد ثور منهم وايضاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقلت اباديهم فاما افوهم واما ينال السيف ثارا فيثار
فقلت التحقيق لا قال كاشح علينا وتصدقا لا كان يؤثر
فان كان ما لا بد منه فغيره من الامر ادنى للخفاء واستر

وهنا يزعم عمر ان الفتاة رأت ان تحب اختيا بالامر ، فذهبت اليهما وقصت عليهما خبرها وهي تبكي ، فاقبلتا وارتاعتا ثم اخذتا تهونان عليها الامر وارتأت احداها ان تعطيه بعض ثيابها ليلبسها ويشي متكرراً فلا يفشو سرهن . وهنا يقول عمر :

فكان مجنني دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر^{١)}

وله قصيدة اخرى يذكر فيها ان صاحبه هي التي قصده وقد ضربت له موعداً في الليل فيقول :

لم يرعني بعد اخذي هجمة غير ربح المسك منها والفطر
قلت من هذا فقلت هكذا انا من جشمة طول السهر
ما انا والحب قد ابلغني كان هذا بقضاء وقدر

الى ان يقول :

فتقضت ليلي في نعمة مرة الثمها غير حصر
فلو انا ليلنا حتى اذا طرب الديك وهاج المدكر
حركني ثم قالت جزعا ودموع العين منها تبندر
قم صني النفس لا تفضحني قد بدا الصبح وذا برد السحر

ثم يذكر في آخر القصيدة كيف عادت من زيارته هي ورفيقات كن ينتظرنها .^{٢)}
وله قصيدة يذكر فيها بعض حوادث فسقه مع صاحبه نعم تكاد تتفق في معانيها مع بعض ما تقدم من شعره .^{٣)}

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٨٦ - ١٨٩ وراجع سائر آيات القصيدة

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٥٩ - ٢٦٢ (٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٢٥ - ٢٢٨

ولعل في هذا القدر من شعره كفاية ، فلنشر الى قصائده الاخرى التي يعرض بها
بارتكابه الاثم غير ناسين ان نذكر ان التشابه بين اكثر القصائد يدفعنا الى الظن ان عمر
ربما قال في حادثة واحدة قصائد عديدة ^(١) ولا بد لنا في ختام هذا الباب من ان نشير
الى ان بعض مؤرخي الادب القدماء قد اصدروا حكمهم على عمر وجرّموه ، قال ابن
قتيبة : وكان عمر فاسقاً يتعرض للنساء الخواج في الطواف وغيره من مشاعر الحج ^(٢) .
وقال ابن خلكان عنه : وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة ^(٣) . ولكن
أقضى عمر حياته كلها في المجون والخلاعة ؟ سنرى !

(١) ابن أبي ربيعة (ع) ٣٢ و ١٥٤ و ٢٠٩ و ٢٤٤ - ٢٤٥ و ٢٩٦ و ٢٠١ و ٢٣١ و ٢٣٦ و ٢٥٦

و ٢٧٧ و ٤٥٩ (٢) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩

(٣) ابن خلكان ١ : ٥٣٨

توبته ونسكه

واللهُ يُريدُ ان يتوبَ عليكمُ ويريدُ الذين يتبعون الشهوات ان
يميلوا ميلاً عظيماً يريدُ اللهُ ان يخففَ عنكمُ وخلقَ الانسانُ ضعيفاً^(١)

روى بعض الرواة عن الامام ابن عباس انه قال : اذا بلغ المرء اربعين سنة ولم يتب
اخذ ابليس بناصيته وقال : حبذا من لا يفلح ابداً .^(٢) وروى ابن عبد ربه عن استاذ
محمد بن وضاح قوله : اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح ابليس بيده على وجهه
وقال : يا بني وجه لا افلح ابداً .^(٣)

ولابن خريم شعر في هذا المعنى يقول :

اذا المرء وافى الاربعين ولم يكن له دون ما يأتي حجاب ولا ستر
فدعه وما يأتي ولا تمذلته وان مدَّ اسباب الحياة له العمر^(٤)

وليس غريباً بعد هذا ان نرى بعض الرواة يشفق على صاحبنا عمر فينسب له التوبة
عند بلوغه الاربعين ويزعم انه فتك اربعين سنة ونسك اربعين .^(٥)
ولم يتفرد عمر بنيل هذه النعمة في عين الرواة بل شاركه فيها اكثر رجال المحبون
والخلاعة الذين تحدّرت لنا اخبارهم . ويظهر ان جماعة من رواتنا القدماء كان يسوءهم ان
يموت ابطال اخبارهم في الفسق والمجون فاشفقوا عليهم وانتشلوهم من حمأة الاثم وأتوهم الى
ربهم ليرضى عنهم . وليست التوبة بالامر الغريب بل الغريب في الامر انك تكاد لا
تعثر الآن على ذكر لشاعر فاسق مات في فسقه دون ان يتوب او ينسك ، ولو زعم الرواة
ان بطل اخبارهم الفاسق عاوده حلمه حين داهمه المشيب ففترت سورة اللهو والطيش فيه
لقلنا انه امر طبيعي ، ولكن ان يتوب او ينسك كل شاعر فاسق يدونون حياته شي . لا بد
من الاحتياط قبل الاخذ به ، ومن المستع ان نعرض للقارئ اسماء طائفة من هؤلاء الماجنين

(٢) الاصبهاني ١٦ : ٤٥

(٤) الاصبهاني ١٦ : ٤٥

(١) القرآن ٦ : ٢٢

(٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٧٧

(٥) الاصبهاني ١ : ٣٦

المشهورين في تاريخ الادب العربي ثم نذكر ما قاله الرواة فيهم ، فلقد زعموا ان آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز كان في اول امره خليعاً ماجناً منهو كاً في الشراب ثم نسك بعدما عثر ومات على طريقة محمود^(١) . وان محمداً بن حازم الباهلي كان من اخبث الناس لساناً واعجافهم وفسقهم ، لم يترك من اللذات شيئاً الا سلك سبيله ولكنه نسك وترك شرب النبيذ^(٢) . واتلوا مسلماً بن الوليد وزعموا انه ترك الشعر ورمى ديوانه بالبحر^(٣) . ولست ادري الآن كيف وصل الينا ديوانه الا ان يكون قد قذفه البحر كما قذف الحوت يونان^(٤) . واتلوا الدارمي الشاعر المغني وزعموا انه نسك آخر حياته وترك الغناء^(٥) . واتلوا سعيداً ابن وهب قالوا : وكان مشغوفاً بالعلمان والشراب ثم تنسك وتاب وحج راجلاً على قدميه ومات على توبة واقلاع ومذهب جميل^(٦) . واتلوا ابا نؤاس - لا غيره - وكان ابو نؤاس من نعلم ، ورووا عنه قصة ذكروا فيها تسع مقطوعات شعرية له يظهر فيها توبته ، وزعموا انه كان يتلو واحدة في كل يوم من ايام مرضه السبعة الاخيرة على صديق له ، وان المقطوعة الثامنة بعث بها يوم موته ، وان التاسعة كانت قد كتبت في رقعة وضعها بين مخدتيه^(٧) . وكذلك اتلوا الفرزدق فذكر بعضهم انه رآه يصلي في المسجد ليلة فاستغرب ذلك منه وسأله عنه ، فاجاب الفرزدق : اني والله ذكرت ذنوبي فאלقنتني ففرغت الى الله عز وجل . وزعم بعضهم انه رآه بعد موته في النوم فسأله ما فعل الله به ، فاجابه : قد غفر لي^(٨) . وما رأي القارئ في ان بعض الرواة زعموا ان المهدي ندم على قتله بشاراً ؟ قالوا : لما ضربه بعث الى منزله يفتشه ، وكان يُتهم بالزندقة ، فوجد في منزله طومار فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، اني اردت هجاء آل سليمان لبعثهم فذكرت قرباتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكت عنهم اجلالاً له صلى الله عليه وسلم . فلما قرأه المهدي بكى وندم على قتله وقال : لا جزى الله يعقوب بن داود خيراً فانه لما هجاه لقي عندي شهوداً على انه زنديق فقتلته ثم ندمت حين لا يغني الندم^(٩) .

تري أتأب او نسك هؤلاء . حقاً ام ان مصدر هذه التوبة والنسك هو اشفاق الرواة

(٢) الاصبهاني ١٢ : ١٥٨ - ١٦٤

(٤) " ٢ : ١٧٩

(٦) طه حسين ١ : ٥٧ - ٦١

(٨) الاصبهاني ٣ : ٧٢ - ٧٣

(١) الاصبهاني ١٦ : ٦٠

(٣) العباسي ٣ : ١٥

(٥) الاصبهاني ٣١ : ١٠٤ - ١٠٥

(٧) الاصبهاني ١٩ : ٤٧ - ٤٨

والمؤرخين؟ وما هي هذه التوبة ان كانت قد وقعت؟ أهى توبة ترجع الى شعور الفاسق بارتكابه الاثم فيكفر عن ذاك بالاقتلاع عن المحن والخلاعة والتعلق باذيال الفضيلة أم هي فتور في هذه النفس التي حطمتها الشهوات وذلك الجسم الذي هدمه اللهو؟ ان من شروط التوبة ان يتوب العبد عن الذنب ولا ينوي العود اليه وفي القرآن الكريم «وليس التوبة» للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال إني تبت الآن...»^(١)

ومهما يكن من امر هؤلاء الذين ذكرنا اسماءهم فان الباحث في اخبار عمر يرى ان هذه الرواية التي تذهب الى انه فتك اربعين ونسك اربعين لا تستند الى أساس، فعمر قبل كل شيء لم يعيش ثمانين سنة كما زعموا ولم ينقطع عبثه عند الاربعين، فقد نسبوا اليه وقائع حدثت في خلافة عبد الملك وكان عمر في اول خلافة عبد الملك قد جاز الاربعين واستمر في لوه حتى آخرها وكانت مدتها نحو عشرين سنة، بل هناك من يزعم ان عبث عمر استمر الى زمن الوليد بن عبد الملك والى زمن سليمان، وينسبون الى الاخير انه حج مرة ثم دعا بعمر واخرجه الى الطائف حتى قضى الناس حجهم^(٢). ولعل هذه الحوادث قد وقعت والوليد وسليمان اميران قبل ان يستخلفا، ويظهر ان هذا النسك الذي يشير اليه الرواة لم يتعد فترات خاصة في حياته كان يشتد اللوم فيها عليه من ذويه او اصحابه فيتوب الى حين راضياً او مكروهاً، والرواة يحدثوننا ان اخاه الحارث كان مشفقاً عليه ينصحه ويحاول ان يردعه عن الغواية وينهاه عن قول الشعر وان عمر وعده مرة انه سيرجع عن غيئه ولكنه لم يستطع ان يقلع عن التشيب، وسرعان ما بلغ شعره مسمع اخيه حتى قال: هذا والله شعر عمر قد فتك وغدر^(٣).

وهناك رواية في الاغاني تذهب الى ان عمر جدد توبة على يدي عمر بن عبد العزيز. قال الرواة: ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم تكن له همة الا عمر ابن ابي ربيعة والاحوص، فكتب الى عامله على المدينة: قد عرفت عمر والاحوص بالخبث والشر فاذا أتاك كتابي هذا فاشددهما واحملهما اليّ. فلما اتاه الكتاب حملهما اليه، فاقبل على عمر فقال: هيه!

فلم أر كالتجبير منظر ناظر ولا كليا لي الحج افلتن إذا هوى

(٢) المرزباني ٢٠٣ والاصماني ٨ : ٥٨

(١) القرآن ٢ : ٢٢

(٣) الاصماني ١ : ٤٩

وكم مالى عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فاذا لم يفلت الناس منك في هذه الايام فتى يفلتون؟ اما والله لو اهتمت بامر حجاج لم تنظر الى شيء غيرك . ثم امر بنفيه ؛ فقال يا امير المؤمنين أو خير من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال اعاهد الله الا اعود الى مثل هذا الشعر ولا اذكر النساء في شعر ابداً ، واجدد توبة على يديك . قال : أو تفعل قال : نعم . فعاهد الله على توبة وخلا .^(١)

ولست ادري كيف نستطيع ان نقبل هذه الرواية حين نعلم ان صاحبنا لم يدرك خلافة عمر هذا . ومن الخير ان نلاحظ ان راويها يذهب الى ان عمر قد ظل في فسقه حتى هذا الزمن بحيث لم يكن للخليفة من هم سوى عمر . وانه قد تاب قبلاً ورجع عن توبته وهو الآن يجدد توبة على يدي عمر .

وترى عمر في بعض هذه الفترات التي هدا فيها قلقاً متردداً يطلب الى صاحبه ان يُدِّه برأيه فيما يجب ان يعمل وقد تبدت له احدى صاحباته لتسليه حمله في زمن جاز فيه سنّ الطيش واصبح الصبا مستنكراً منه :

أشـر يا ابن عمي في سلامة ما ترى لنا وتبدّجنا لتسليني غلي
على حين لاح الشيب واستنكر الصبا وراجني حلمي واقصرت عن جهلي^(٢)

وتراه طوراً آخر متمرداً على عاذليه يذكر في شعره خبر توبته وهجره للهو والصبا ثم ثم يقص نبأ من تعرضت له وحاولت ان تصرفه عن هذه التوبة فلم يستطع ردّها ، وما هي الا لحظة ياتيه فيها رسوها حتى يجيبها الى طلبها عاصياً نصيح نصيحة :

اصبح القلب قد صحا وأنا با	هجر الله والصبا والربا با
كنت أهوى وصالحا فتجنّحت	ذنب غيري فإ تملّ العتابا
فتعزيت عن هواها لرشدي	حين لاح القذال مني فشابا
بعثت للوصال نحوي وقالت	ان فـه دره كيف تابا
من رسول اليه يعلم حقاً	اجمع اليوم هجرة واجتنابا
ان لم اصرفه للذي قد هونا	عن هواه فلا است شرابا
بعثت نحو عاشق غير سال	مع ثواب فلا عدمت ثوابا
بجدّث فيه ملام لصب	موجع القلب عاشق فاجابا
فاتاها للحين يعدو سريعاً	وعصى في هوى الرباب الصحابا

كنت اعصي النصيح فيك من الوجد م واهي الخليل ان يرتابا
فابتليت الغداة منها بشي * مل جسمي وعدت شيئاً عجاباً^(١)

وأونة أخرى يذكر نسكه وتعفقه ويزعم انه عف^٢ لا لنسك فيه بل لان للحب رقيباً
عليه :

يقولون اني لست اصدقك الهوى واني لا اراك حين اغيب
فما بال طرفي عفّ عما تساقطت له اعين من معشر وقلوب
عشبة لا يستكشف القوم ان يرى سفاه امرى * ما يقال لبيب
ولا فتنة من ناسك اومضت له بعين الصبا كسلى القيام لموب
تروّج يرجو ان تحطّ ذنوبه فآب وقد زادت عليه ذنوب
وما للنسك أسلاني ولكن للهوى على العين منّي والفؤاد رقيب^(٣)

ومهما يكن امر هذه التوبة او هذا النسك فلسنا نراه نسكاً بالمعنى الواسع ، وانما هو
همود في هذه النفس التي طاشت في شبابها وما هي الآن يدركها الهرم فيتهدم الجسم وينوء
بجعلها ولكتها تأتي على صاحبها ما ليس من طبيعتها فما هي الا ان يعرض لها ما يهيجها حتى
تندفع على سجيّتها ، ولنا في القصة التي اوردناها في بحثنا عن دعابته ومزحه^(٤) او القصة
التي اوردناها عن صديقه العذري ابي مسهر خير مثال .^(٥)

والذي يلوح لنا بعد هذا كله ان عمر قد انقطع آخر حياته عن اللهو والطيش واقصر
عن طلب الغي ولكن نفسه ظلت مَرحة جذابة محببة الى الناس ، وظلّ ينظم - ربّما في
فترات متقطعة - هذه الحواطر التي كانت تضطرب في نفسه شعراً يذيعه بين الناس يذكر
في بعضه ماضي لهو ويلج الى توبته ونسكه . وله قصيدة يذكر فيها ان صاحبة له
ضحكت حين رآته يتبع سبل الرشاد والحلم يقول فيها :

ضحكت ام نوفل اذ راتني وزهيرا وسالف بن سنان
عجبت اذ رأت لدائي شابوا وقتيرا من المشيب علاني
ان تربني اقصر عن طلب الغي م وطاوعت عاذلي اذ خاني
وتركت الصبا وادركني الحلم م وحرمت بعض ما قد كفاني
ودعاني الى الرشاد فؤاد كان للغني مرة قد دعاني

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٨٥

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٠

(٣) انظر الصفحة ١٧٨ من هذا الكتاب

(٤) " " " ١٦٥ " " "

ثم يمضي في قصيدته هذه ذاكراً سبل لهوه التي كان يسلكها في شبابه^(١). وجاء في رواية انه لما اسنّ تاب ونسك ونذر لله ان يعتق رقبة لكل بيت شعر يقوله ، ولكن هذه الرواية تذهب الى انه حدث له ذات يوم ما لم يستطع معه ان يصبر على ما عاهد نفسه به . ذلك انه رأى شاباً يكلم فتاة في الطواف فعاب ذلك عليه وانكره ، فاعتذر الشاب في ان الفتاة ابنة عمه وانه يحبها وانه خطبها الى ابيها فابى عليه الا بصدّاق كبير لا يطيقه ، وشكا اليه من حبها وكلفه بها امرأ عظيماً ، فسار عمر معه الى عمه وطلب الفتاة الى الشاب ودفع عنه صداقها وسعى في تزويجها ، وانصرف الى منزله ورمى بنفسه على فراشه يتقلب من طربه وهاجت هذه الحادثة بنفسه ذكريات حبه الماضية فتحرك فؤاده بالشعر وأرق فلم ينام ، وكانت وليدة له عند رأسه اقلقها امره قالت له : لا ادري ما دهمك ؟ فقال :

تقول وليدتي لما رأيتني	طربت وكنت قد اقصرت حيناً
اراك اليوم قد احدثت شوقاً	وهاج لك الهوى داء دفيناً
وكنت زعمت انك ذو عزاء	اذا ما شئت فارقت القريناً
بربك هل اتاك لها رسول	فشاقك ام لقيت لها خديناً
فقلت شكا اليّ اخ محب	كبعض زماننا اذ قلمينا
فقص عليّ ما يلقي جند	فذكر بعض ما كنّا نسينا
وذو القلب المصاب ولو تعزّى	مشوق حين يلقي العاشقين
وكم من خلّة اعرضت عنها	لاجلكم وكنت بها ضنيناً
اردت فراقها وصبرت عنها	ولو جنّ الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فاعتقهم لكل بيت واحد^(٢). ولا بد لنا في الختام من الإشارة الى رواية ذكرناها سابقاً جاء فيها ان عمر لما اسنّ وضعف قابل الوليد بن عبد الملك في مكة فسأله الوليد ان يروي له شيئاً من شعره فاجابه عمر انه قد ترك الشعر^(٣). ويذكر الحصري ان عمر نسك في آخر حياته وكان نسكه في

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٧٧

(٢) الاصبهاني ١ : ٦٤ وابن عبد ربه ٣ : ١٦٨-١٦٩ ويروي الابشبي ٢ : ١٥٢ هذه الفصة وينسب وقائها الى خليفة لا يسميه ويكتفي بابراد خمسة ابيات من الابيات التسعة . وقد آثرنا نقل الابيات عن ديوان عمر طبعة اوربة « ابن ابي ربيعة (ش) ق ٣٤٤ » (٣) الاصبهاني ١ : ٥٣

المدينة^(١) . واغلب الظن انّ ما أثر عن عمر من نقل الحديث وروايته قد وقع في هذا الشطر من حياته ، وقد كان له من نشأته العلمية والدينية ، واتصاله بالإمامين ابن عباس وابن المسيّب ، وقربته من بعض رجال الصحابة في ذلك العهد ما يساعده على مثل هذا الامر . ونحن بعد كل هذا لا نزيد ان ندين عمر على ماضي حياته ، بل ليس من شأننا ان ندينه ، فاذا كان قد تاب او نسك حقاً كما روى الاصبهاني وابن عبد ربه والقالبي والحصري^(٢) فانّ له من رحمه ربّه متسعاً فسيحاً : « يا أيّها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربّكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويُدخلكم جنّات تجري من تحتها الانهار » الآية .^(٣)

(٢) الاصبهاني ١ : ٥٢ و ٦٤ و ٧٢ وابن عبد ربه

(١) الحصري ١ : ٢٠٠

(٣) ١٦٨ والقالبي ٢ : ١١ و ٥٠ والحصري ١ : ٢٠٠ (٣) القرآن ٦٦ : ٨

موته

ولعل أخفى ما في تاريخ عمر امر موته وهو شي* غريب فالرواة والمؤرخون عودونا ان يختلفوا في امر ولادة بطل اخبارهم لان احداً من الناس لم يؤت النبوة ليعلم ان هذا الصغير السذي يُوضع سيكون له شأن ، اما ان يختلفوا في ظروف موت شاعر طبق العالم العربي صيته فامر ذو بال .

غريب جداً ان يكون شاعر مثل عمر ملاً الدنيا بحق وشغل الناس - نساء ورجالاً - ثم يموت فيجهل الرواة امر موته ويختلفون في سببه وموضعه ، فيزعم بعضهم انه قضى في الشام ، ويزعم آخرون انه مات غرقاً في دَهْلَك . ويذهب فريق الى انه مات من مرض اصابه ، ويذهب آخرون الى انه غزا في البحر فاحترقت السفينة به ، ويذهب غيرهم الى ان امرأة شَبَّب بها ظمأً فدعت عليه فقتله دعاؤها . ويضطرب جبل الرواة في تعيين سنة موته فيرى بعضهم انها كانت ثلاثاً وثمانين للهجرة ، ويرى آخرون انها ثلاث وتسعون ، ويمد فريق ثالث بعمره فيجعل سنة وفاته الواحدة بعد المئة . ولسنا نرى بدءاً بعد هذا الاضطراب والتشويش من عرض هذه الروايات المختلفة للدرس والنقد علناً نستطيع ان نتوصل الى الحقيقة .

اما اقدم هذه الروايات واكثرها انتشاراً في كتب السلف واشدها اثراً في نفوس الادباء العرب في هذا العصر واحضاها قبولاً عندهم فهي تلك التي تنص على ان الخليفة عمر ابن عبد العزيز نفى ابن ابي ربيعة الى دَهْلَك^(١) فغزا بالبحر فاحرقوا سفينته فاحترق . ولعل اقدم من ذكر هذه الرواية واطهر سبب وجود عمر في دَهْلَك ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء .^(٢) وقد سبقه الجاحظ فذكر في البيان والتبيين خبر احتراق السفينة بعمر^(٣) ولكنه لم يذكر من الذي دفع بعمر الى ان يغزو في البحر . ويظهر ان الجاحظ وابن قتيبة

(١) وهي جزيرة في البحر الاحمر قريبة من مصوع على الشاطئ الافريقي كان بنو امية اذا سخطوا على احد نفوه اليها . ياقوت ٢ : ٣٤٤

(٣) الجاحظ (ب) ٢ : ٩٤

(٢) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩

اشققا على عمر نغماً له بالشهادة على هذه الصورة وزعما ان عبدالله بن عمر قال : فاز عمر ابن ابي ربيعة بالدنيا والآخرة غزا البحر فاحرقوا سفينته فاحترق . وقد جرى الجاحظ وابن قتيبة في ما ذكراه عن استشهاد عمر في البحر كثيرون من المتأخرين نذكر منهم ابن خلكان^(١) والدميري^(٢) والسيوطي^(٣) والخبلي^(٤) والعيني^(٥) والبغدادى^(٦) . ولعلمهم قد ارتاحوا لجماع هذا الخبر فدوّنوه فرحين مطمئنين . أوليس حسناً ان تحتم حياة عمر في الجهاد ؟ اوليس عظيماً ان ترجع هذه النفس الضالة الى رشدها فيكفر صاحبها عن سيئاته بالغزو فيموت شهيداً ؟ والاغلب ان شيئاً من هذا لم يجر . وهذه الرواية في نظرنا ابعد الروايات عن الحقيقة . ذلك ان عمر بن عبد العزيز اعتلى عرش الخلافة سنة تسع وتسعين كما هو مشهور ، فلو فرضنا ان ابن ابي ربيعة قد عاش الى ذلك الزمن فقد دخل في السادسة والسبعين من عمره ، ونحن نعلم انه كان زمن الوليد بن عبد الملك شيخاً كبيراً مُسنّاً يتوكأ على مولى له لضعفه فكيف يخشى شر هذا فينفي وكيف يغزو مثل هذا في البحر . والغريب ان كثيراً من هؤلاء الذين دوّنوا هذه الرواية ذكروا ان موت ابن ابي ربيعة قد وقع سنة ثلاث وتسعين ، اي قبل استخلاف عمر بن عبد العزيز بست سنوات ، ولم يتصدّ احدٌ منهم لنفيها . زد على هذا ان روايتي الجاحظ وابن قتيبة تذهبان الى ان عبدالله بن عمر قصّ هذا الخبر عن ابن ابي ربيعة وزعم انه في موته شهيداً قد فاز بالدنيا والآخرة — كسب الدنيا حين تمتع بملذاتها والآخرة حين مات شهيداً — ولسنا نعلم كيف تورط الجاحظ وابن قتيبة في مثل هذا الخطأ قبلاً الرواية المدسوسة على عبدالله بن عمر وعبدالله بن عمر قد مات سنة اربع وسبعين^(٧) اي قبل ان يصبح ابن عبد العزيز خليفةً بخمس وعشرين سنة ، وقبل ان يموت عمر ابن ابي ربيعة بزمن طويل .

واذاً فرواية الجاحظ وابن قتيبة مضطربة ضعيفة ، ولندكر ان ابا الفرج كتب أوفى ترجمة لحياة عمر ولم يذكر هذه الرواية . واننا نذهب الى ابعد من نفي موته شهيداً في البحر فننفي ايضاً امر تسييره الى دهلك ، اذ ليس في كل اخباره ما يُفيد انه نُني الى دهلك غير

(١) ابن خلكان ١ : ٥٣٩

(٢) الدميري ١ : ٢٣٦

(٣) السيوطي (ش) ١٢

(٤) الخبلي ١ : ١٠١

(٥) العيني ١ : ٣١٥

(٦) البغدادى ١ : ٢٤٠

(٧) الازرقى ١ : ٢٣٣ والخبلي ١ : ٨١ وابن قتيبة (م) ٩٢

هذه الرواية التي تشير الى موته في البحر، ولعل مصدرها ان عمر بن عبد العزيز نفي الاحوص فيما يزعمون الى دهلك، والرواية يعلمون ان عمر لم يكن بالقاسق اليسير، واذن فلينف مع الاحوص، قالوا: فلم يكن لعمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة من هم سوى الاحوص وابن أبي ربيعة. وغريب ان ينفي مثل عمر الى دهلك ولا تحفظ عنه اخبار او أشعار في ذلك بينما يذكر لنا الرواة ان اهل دهلك يأترون عن الاحوص الشعر وعن عراك بن مالك الفقه.^(١) وقد خلط الرواة بين الاحوص وعمر كثيراً ونسبوا لهذا بعض ما وقع لذلك^(٢) فليس غريباً ان يجمعوا بينهما في المنى. ولكن الاحوص أعيد من منفاه^(٣) فما بقي لعمر الا ان يموت فاماتوه شهيداً. ومن المتع ان نعلم ان هناك من يزعم ان ابن حزم عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة هو الذي نفي الاحوص الى دهلك لا عمر بن عبد العزيز.^(٤) بل هناك من يزعم انه عامل سليمان.^(٥) ورواية ثالثة تذهب الى ان الاحوص نفي الى اليمن.^(٦)

ولرب معترض يقول ان عمر بن عبد العزيز كان والياً على المدينة للوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين^(٧) فما الذي يمنع ان يكون وهو وال قد نفى عمر الى دهلك؟ وهنا نجيب ان احداً من الرواة لم يزعم هذا الزعم وأن اخبار موته الاخرى تناقضه كما سيحيي معنا. وهناك رواية ثانية في موت عمر تذهب الى ان عمر نظر في الطواف ذات سنة الى امرأة شريفة من احسن خلق الله وجهاً فذهب عقله عليها وكلمها فلم تجبه فقال فيها:

الريح تسحب اذبالاً وتنشرها	يا ليتني كنت بمن تسحب الريح
كما تجرّ بنا ذيلاً فتطرحنا	على التي دونها مغبرة سوح
أنى بقربكُم ام كيف لي بكم	هيات ذلك ما امست لنا روح
فليت ضعف الذي الفى يكون جا	بل ليت ضعف الذي الفى تباريح
احدى بنيات عمي دون مترلها	ارض بغياعنا القيصوم والشبح

فبلغها شعره فجزعت منه، فقيل لها: اذكره لزوجك فانه سينكر عليه قوله، فقالت: كلاً والله لا اشكوه الا الى الله، ثم قالت: اللهم ان كان نوءه باسمي ظلاماً فاجعله طعاماً للريح، فضرب الدهر من ضربته، ثم انه غدا يوماً على فرس فبهت ريح فتزل فاستتر

(٢) الاصبهاني ٤: ١٦ و ١٣

(٤) " ٤: ٤٥

(٦) " ٤: ٤٠

(١) الاصبهاني ٤: ٥٣

(٣) " ٤: ٤٩

(٥) " ٤: ٤٨

(٧) الطبري ٢: ١٠٨٥ وابن سعد ٥: ٢٤٤

بَسَلَمَةَ فَعَصَفَت الرِّيحُ نَحْدَشَهُ غَضَنٌ مِنْهَا فَدَمِيَ وَوَرِمَ بِهِ وَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ .^(١) وقد قبل هذه الرواية فيما يظهر أبو الفرج الاصبهاني واكتفى بها ودونها في آخر اخباره عن حياة عمر . ونقلها عنه البغدادي صاحب خزانة الادب مثل ما نقل عن ابن قتيبة الرواية الاولى دون ان يؤثر واحدة على الاخرى .^(٢) ولعل صاحب هذه الرواية لم يكن مشفقاً على عمر بل اراد ان ينتقم الله من عمر لهؤلاء النساء الشريفات اللواتي كان يشبب بهن فاماته بدعاء واحدة منهن . ولو شئت ان اعدد للقارئ اخبار من مات من العرب بدعاء احد الناس عليه لطال لي المقام . ومهما يكن من الامر فالصنعة ظاهرة في هذه الرواية والاختراع بين في هذه المصادفات الغريبة التي تابعت على هذا النحو ليم دعاء هذه المرأة على عمر . زد على هذا ان ابا الفرج قد تفرّد بذكرها وقد اسندها الى رجل باسم ثعلبة بن عبدالله بن صغير . وفي هامش طبعة دار الكتب للآغاخي أن لهذا الرجل صحة ولابنه رؤية .^(٣) ونحن نستبعد ان يعيش الى اواخر القرن الاول للهجرة رجل كانت له صحة مع النبي ولابنه رؤية . ونستبعد ايضاً ان يقص مثل هذا الصحابي خبراً عن موت شاعر قضي في اواخر القرن الاول .

ورواية ثالثة يذكرها البلاذري تذهب الى ان عمر مات بالشام قال : فحدثت ان عمر ابن ابي ربيعة المخزومي لما نُعي ، وكان موته بالشام ، بكّت عليه مولدة من مولدات مكة كانت لبعض بني مروان فجعلت توجع له وتضع عليه وقالت : من لا باطح مكة بعده ، وكان يصف حسنها وملاحة نساها فقل لها : انه قد حدث فتى من ولد عثمان بن عفان يسكن بخرج الطائف شاعر يذهب مذهبه . فقالت : الحمد لله الذي جعل له خلفاء ، سريتم والله عني .^(٤)

وهذه الرواية تتفق مع رواية رواها الاصبهاني في اكثر اجزاها ، والاختلاف الوحيد هو ان الاصبهاني يروي ان الجارية حبشية وكانت بالمدينة فلما اتاهم موت عمر جزعت ، ولا تُعين رواية الاصبهاني اين حدثت وفاة عمر .^(٥) وقد ذكر الحصري الرواية نفسها ولكنه لم يذكر

(٢) البغدادي ١ : ٢٤٠

(١) الاصبهاني ١ : ٩٧

(٤) البلاذري « ١ » : ١١٣

(٣) الاصبهاني « د » ١ : ٢٤٧ انظر الهامش

(٥) الاصبهاني ١ : ١٥٤ وانظر العباسي ٣ : ٥٦ ففيه الرواية نفسها منقولة عن الاصبهاني بالحرف

ان موت عمر كان بالشام بل زعم ان الجارية كانت في الشام .^(١) وقد اورد الاصمعياني مضمون الرواية نفسها في موضع آخر غير ان الشاعر فيها الذي زعموا انه خلف عمر هو الحارث ابن خالد المخزومي لا العرجي .^(٢)

وسواء أكانت الجارية في الشام ام في المدينة ، وسواء أكان الذي خلف عمر في فته وغزله الحارث ام العرجي ، فان هذا الخبر - ان صح - يفيد ان عمر مات قبل خلافة عمر ابن عبد العزيز لان العرجي والحارث عرفا وشهرا قبل ذلك الزمن . يؤيد هذا اشارة في الاغاني الى ان الثريا صاحبة عمر وفدت على الوليد بن عبد الملك بعد ان مات زوجها ، فسألها الخليفة هل تحفظ شيئاً من شعر عمر فيها فقالت : اي نعم يرحمه الله ، وفي بعض الروايات رحمه الله ، وانشدته شيئاً من شعره .^(٣) ولعل في هذا القول اشارة الى ان عمر قد مات قبل آخر خلافة الوليد هذا .

وللاصمعياني رواية اخرى تذهب الى ان عمر مات موتاً يقول فيها : انه لما مرض عمر مرضه الذي مات فيه جنح اخوه الحارث الخ .^(٤) وهذه الرواية تشير الى ان عمر مات من مرض وان موته كان قبل موت اخيه . وقد كان اخوه شاباً مدركاً في خلافة ابن الخطاب . وهذا الخبر يُبعد احتمال وقوع موت عمر بعد سنة ٩٣ هـ . وقد اورد الاصمعياني ايضاً ان عمر مات وقد قارب السبعين او جاوزها .^(٥)

وهناك رواية تفرد بذكرها فيما نعلم ابو المحاسن بن تغري بردي لم يُشر فيها الى سبب موت عمر بل اكتفى بقوله ان عمر مات سنة مئة وواحدة اي سنة مات عمر بن عبد العزيز نفسه .^(٦) ولسنا نعلم من اين استقى ابو المحاسن هذا الخبر . والغريب انه نقل عن ابن خلكان شيئاً من كلامه عن ابن ابي ربيعة ولكنه لم ينقل سنة الوفاة عنه ولا هو اشار الى اختلافها عما ذكر هو نفسه . وليس لدينا الا فرض واحد نستطيع فرضه الآن وهو ان ابن خلكان ذكر في ترجمة حياة عمر التي تبلغ نحو صفحتين من طبعة بولاتي روايتين مختلفتين عن سنة حين مات ، واحدة تشير الى انه كان ابن سبعين ، واخرى انه كان ابن ثمانين ، وقد تلا ذكر هذه السنين خبر عن موت والد عمر سنة ثمان وسبعين ، فلا يبعد ان يكون

(١) الحصري ٢ : ٢٤٠

(٢) الاصمعياني ١ : ٩٣ والحصري ١ : ٣٩٣

(٣) الاصمعياني ١ : ٣٦

(٤) ابو المحاسن ١ : ٣٤٧

(٥) " ١ : ٣٤

ابو الحسن اراد ان يجمع سن عمر الى سنة مولده ليدكر متى مات فجمع خطأ سنة موت والده المذكورة ، وهي ٧٨ الى ٢٣ وهي سنة ولادة عمر فبلغ ١٠١ وهي السنة التي ذكرها . ولا بد لنا من القول ان ابا الحسن من المتأخرين وليس في كل المصادر التي طالعنا ما يسنده في روايته ، واذاً فاناً لا نرى داعياً لقبولها .

بقي رواية تشير الى ان عمر مات سنة ٩٣ للهجرة ذكرها حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عند ذكره ديوان عمر^(١) وهي تتفق مع اكثر الروايات القديمة في تعيين التاريخ ولعل حاجي خليفة قد نقلها عن بعض المصادر القديمة واكتفى بها دون ذكر سبب الموت . وقد ذكر الدميري رواية ابن قتيبة في ان عمر غزا في البحر واحترقت سفينته ، ولكنه جعل سنة الموت ثلاثاً وثمانين^(٢) ولعل الرق خطأ مطبعي او نسخي او لعل الدميري اخذ روايته عن كتاب ابن خلكان حيث نجد ان الهيثم بن عدي زعم ان عمر وُلد سنة ثلاث عشرة ، وقبل الدميري هذه الرواية واطاف اليها سن عمر - سبعين - وجعل سنة وفاته ثلاثاً وثمانين .

نرى بعد هذا كله ان نرفض خبر موته غرقاً او حرقاً والا نقبل انه مات بعد سنة ٩٣ هـ . وكذلك نستبعد خبر موته من غصن أدماه بعد ريح تهب عليه لكي يستجاب دعاء امرأة شَبَّ بها ، ونحن نعلم انه كان شيخاً ضعيفاً في آخر حياته يتوكأ على مولى له ، ولا يقوى مثل هذا على ركوب الخيل في الصحاري او ركوب البحر للغزو ، فلا يبقى لدينا الا انه مرض ومات وقد قارب السبعين . ولأنذكر ان عمر كانت تنتابه حمى البرداء وقد ارتحل مرة الى اليمن ومرض فيها واضطرتته الحمى ان يمكث هناك فنظم قصيدة يصف فيها مرضه ويشكو سوء حاله وحال رفاقه ويعتذر الى صاحبة له :

أرقت ولم بمس الذي اشتبه قريبا	وحملت من اماء اذ تزحت نصبا
لعمرك ما جاوزت غمدان طائفاً	وقصر شعوب ان اكون جاصباً
ولكن حمى اضرتني ثلاثة	بجرمة ثم استمرت بنا غباً
وجلس اصحابي كأن أنيهم	أنين مكاك فارقت بلداً خصباً
فانك لو ابصرت يوم سويقة	مقامي وجبني العيس مطوية حدياً

إذا لاقشعراً الرأس منك صبابةً ولا سفرغت عينك من عبرة سكباً ١

وظاهر من وصفه لهذا المرض انه البرداء ، تلك الحمى التي تأتي غباً اي تأخذه يوماً وتدعه آخر . وليس غريباً ان تكون هذه الحمى قد عاودته - ومن شأنها المعاودة - مات منها . ولكن اين مات ؟ ذلك امرٌ لا نستطيع الجزم فيه ، ويلوح لنا من اختلاف الرواة انه لو كان عمر قد مات في مكة او المدينة لكان من السهل على الرواة ان يعرفوا ذلك . ويظهر ان سبب اختلافهم يعود الى ان عمر قد مات بعيداً عن الحجاز ، ونستبعد ان يكون مات بالشام كما يروي البلاذري ، ولعل كلمة الشام في رواية البلاذري مصدرها ان الجارية المكية التي حزنت لموت عمر قد صادت الى بني مروان في الشام . واغلب الظن ان عمر قد مات في اليمن وقد كان له مزارع فيها ورثها امه او عن ابيه وكان ابنه جُوان ايضاً عاملاً على تبالة فليس بعيداً ان يكون عمر قد قضى آخر حياته في بلد امه واخواله او عند ابنه . وليس غريباً ان يكون اخوه الحارث معه كما تشير رواية مرضه ، ولندكر ان المصادر التي بين ايدينا لا تذكر شيئاً عن الحارث بعد زوال سلطة آل الزبير فلهذه قد انقطع عن السياسة او أقصي عنها فأثر ان يعيش بعيداً عن الحجاز في آخر حياته ، او لعل اخاه عمر قد بعث وراءه في مرضه الاخير ليكون عنده .

ولعمر ثلاثة ابيات شعر تقع في آخر بعض نسخ الديوان الخطية وفي آخر طبعة اوربة ربما كان وقوعها هناك إشارة الى انها آخر شعر قاله وفيها يشير الى مرضه بعيداً عن «أجياد» منازل قومه في مكة ويشكو فيها قلة عواده :

سقى سدرتي أجياد فالدومة التي الى الدار صوب الساكب المتهلل
فلو كنت بالدار التي مهبط الصفا سلمت اذا ما غاب غني معالي
هنالك لو اني مرضت فعادني كرام ومن لا يأت منهم يرسل

والخلاصة : ان الروايات متعددة ومتضاربة ، والخطأ في بعضها ظاهر ، واصحابها بعيدو العهد بعمر ، فان الجاحظ وهو اقدمهم بدأ حياته الادبية بعد موت عمر بنحو ثمانين سنة ولم يعن بدرس حياة عمر بل ذكر خبر موته عرضاً ، وقد كان هو وابن قتيبة قليلي التدقيق في هذا الامر . اما البلاذري فقد تفرّد بذكر موت عمر بالشام ولم يسند روايته

احد ، واما الاصهباني فبالرغم من انه كتب اخباره مسندة الى روايتها فانه قد تأخر اكثر من منتهي سنة عن عمر ويصعب علينا الان متابعة الاسناد في رواياته لقلة المعلومات التي لدينا عن رجال السند في الروايات الادبية فان احداً من الناس لم يُعنَ بهم عناية رجال الحديث برواته . اما المتأخرون فقد اخذوا عن الذين ذكرنا وليس هناك قيمة لاقوالهم في هذا الصدد . وفي مثل هذا الاضطراب في الروايات لا نرى شيئاً ينير سبيلنا سوى شعره الذي يؤيد رواية مرضه فاغلب الظن اذاً انه مات من مرض - ربما في اليمن - وكان موته كما تتفق اكثر هذه الروايات في حدود سنة ثلاث وتسعين للهجرة .

THE UNIVERSITY OF CHICAGO
LIBRARY
540 EAST 57TH STREET
CHICAGO, ILL. 60637
U.S.A.
TEL. 773-936-5000
FAX 773-936-5000

المآخذ حسب ترتيبها التاريخي

القرآن

ابن أبي ربيعة (ش) = Der Diwan des 'Umar Ibn Abi Rebi'a. Paul Schwarz = 1909-1901, Leipzig و ق. اصطلاحنا لاختصار « قصيدة »

ابن أبي ربيعة (ع) = ديوان عمر ابن أبي ربيعة المخزومي القرشي شرح محمد العناني . مطبعة السعادة مصر ١٣٣٠ هـ .

القرشي = جهرة اشعار العرب لابي زيد محمد بن الخطاب القرشي . مصر المطبعة الخيرية ١٣٣٠ هـ .

الواقدي (م) = كتاب المغازي لابي عبدالله محمد بن عمر الواقدي . طبع كلكته ١٨٥٥ م .
الواقدي (ف) = فتوح الاسلام لبلاد المعجم وخراسان للمؤلف نفسه . طبع مصر ١٨٩١ م .
ابن هشام = كتاب سيرة رسول الله لعبد الملك بن هشام عن ابن اسحق . غوتنجن ١٨٦٠ م .
الازرقى = كتاب اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لابي الوليد محمد بن عبد الله الازرقى . ليونك ١٨٥٨ م .

ابن سعد = كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد . ليدن ١٣٢٢-١٣٣٩ هـ .
ابن سلام = طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي . ليدن ١٩١٣ م .
اليعقوبي = تاريخ ابن واضح اليعقوبي . ليدن ١٨٨٣ م .
الجاحظ (ت) = التاج في اخبار الملوك لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . المطبعة الامبرية بالقاهرة ١٣٣٢ هـ .

الجاحظ (م) = المحاسن والاضداد للمؤلف نفسه . ليدن ١٨٩٨ م .
الجاحظ (ب) = البيان والتبيين للمؤلف نفسه . المطبعة العلمية مصر ١٣١١-١٣١٣ هـ .
الفاكهي = كتاب المتن في اخبار ام القرى وهي منتخبات من تاريخ مكة للامام

ابي عبدالله محمد بن اسحق الفاكهي . ليونك ١٨٥٩ م .
ابن قتيبة (ش) = كتاب الشعر والشعراء لابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة . ليدن ١٩٠٢ م .

- ابن قتيبة (م) = كتاب المعارف للمؤلف نفسه . غوتنجن ١٨٥٠ م .
- ابن قتيبة (ع) = كتاب عيون الاخبار للمؤلف نفسه . دار الكتب المصرية ١٩٢٥-١٩٣٠ م .
- ابن قتيبة (ا) = كتاب الامامة والسياسة للمؤلف نفسه . مطبعة الفتوح الادبية مصر ١٣٣١ هـ .
- البلاذري (ا) = انساب الاشراف لاحمد بن يحيى البلاذري . القدس ١٩٣٦ م .
- المبرد = الكامل لابي العباس محمد بن يزيد الازدي . ليون ١٨٧٦ م .
- الطبري = تاريخ الرسل والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري . لندن ١٨٧٩ - ١٩٠١ م .
- البيهقي = كتاب المحاسن والمساوي للشيخ ابراهيم بن محمد البيهقي . طبعة جيسن ١٩٠٢ م .
- ابن دريد = كتاب الاشتقاق للشيخ الامام ابي بكر محمد بن الحسن ابن دريد الازدي . غوتنجن ١٨٥٦ م .
- الوشاء = الموشى لمحمد بن اسحق الوشاء . لندن ١٣٠٢ هـ .
- ابن عبدربه = العقد الفريد لاحمد بن محمد بن عبدربه . المطبعة الاميرية مصر ١٢٩٣ هـ .
- الاصمهاني = كتاب الاغانى للامام ابي الفرج علي بن الحسين الاصمهاني . بولاق مصر ١٢٨٥ هـ .
- والجزء ٢١ لندن ١٣٠٥ هـ .
- الاصمهاني «د» = الاجزاء التي صدرت من الكتاب نفسه طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٧ وما بعدها
- القالى = الامالى لابي علي اسمعيل بن القاسم القالى . بولاق مصر ١٣٢٦ هـ .
- المرزباني = الموشح لابي عبيدالله محمد المرزباني . المطبعة السلفية ١٣٤٣ هـ .
- ابن الندم = كتاب الفهرست لمحمد بن اسحق الوراق المعروف بابن الندم . ليون ١٨٧١ م .
- الثعالبي = بتيمة الدهر في محاسن اهل العصر لابي منصور عبيدالله بن محمد بن اسمعيل الثعالبي . المطبعة الخفية دمشق ١٣٠٢ هـ .
- الحصري = زهر الآداب وثمر الالباب لابي اسحق الحصري الفيرواني . المطبعة الرحمانية مصر ١٩٢٥ م .
- البكري = معجم ما استعجم لعبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن عمر البكري . غوتنجن ١٨٧٦-١٨٧٧ م .
- علي بن ظافر = كتاب بدائع البداة لعلي بن ظافر الازدي . المطبعة البهية مصر ١٣١٦ هـ .
- علي بن ظافر = هاشم شرح شواهد التلخيص
- ياقوت = معجم البلدان للشيخ شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي . ليون ١٨٦٦-١٨٧٠ م .

- ابن الاثير (ص) = اسد الغابة في معرفة الصحابة للامام عز الدين بن ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الاثير . المطبعة الوهية مصر سنة ١٢٨٠ هـ .
- ابن الاثير = الكامل في التاريخ للمؤلف نفسه . لندن ١٨٥١-١٨٧٦ م .
- ابن ابي الحديد = شرح صحيح البلاغة لعز الدين المدائني الشهير بابن ابي الحديد . مصر ١٣٢٩ هـ .
- ابن خلّكان = وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لشمس الدين احمد بن محمد بن خلّكان . مصر ١٢٧٥ هـ .
- البيضاوي = انوار التتيريل واسرار التأويل للقاضي الامام ناصر الدين ابي سعد عبد الله بن عمر البيضاوي . طبع اوربة ١٨٤٨ م .
- النووي = تحذيب الامماء لابن زكريا يحيى النووي . غوتنجن ١٨٤٢-١٨٤٧ م .
- النوري = خاتمة الارب في فنون الادب لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النوري . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٣-١٩٣٧ م .
- ابو الفدا = المختصر في اخبار البشر للملك المؤيد عماد الدين ابي الفداء . دار الطباعة الشاهانية القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .
- الذهبي (مش) = المستبه في أسماء الرجال لشمس الدين محمد بن احمد الذهبي . لندن ١٨٦٣ م .
- الذهبي (ميز) = ميزان الاعتدال في نقد الرجال للمؤلف نفسه . مطبعة السعادة مصر ١٣٣٥ هـ .
- العمري = مسالك الابصار في ممالك الامصار لشهاب الدين ابن فضل الله العمري . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤ م .
- الدّبري = حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدّبري . المطبعة الميمنية القاهرة ١٣٠٥ هـ .
- الابشبي = المستطرف في كل فن مستظرف للشيخ شهاب الدين احمد الابشبي . مصر ١٢٩٢ هـ .
- ابن حجر = كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لقاضي القضاة شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكنتاني العمقلاني ثم المصري الشافعي المعروف بابن حجر . مطبعة السعادة مصر ١٣٢٣ هـ .
- العيني = المقاصد النجوية في شرح شواهد شروح الالفية للامام بدر الدين ابي محمد محمود العيني . بولاق ١٢٩٩ هـ . على هامش خزانة الادب .
- ابو المحاسن = النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين ابي المحاسن يوسف ابن تقري بردي . طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٩ م .
- السيوطي = تاريخ الخلفاء للامام جلال الدين السيوطي . المطبعة الميمنية مصر ١٣٠٥ هـ .
- السيوطي (ش) = شرح شواهد المغني للمؤلف نفسه . المطبعة البهية مصر ١٣٢٢ هـ .

- المباني = معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن احمد العباسي . المطبعة
البيئية مصر ١٣١٦ هـ .
- النهر والي = كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام للإمام قطب الدين النهر والي . ليبرك
١٨٥٧ م .
- حاجي خليفة = كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون . مصر دار السعادة ١٣١٠ -
١٣١١ هـ .
- البغدادي = خزانة الادب واب لباب لسان العرب للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي .
بولاق مصر ١٢٩٩ هـ .
- الحنبلي = شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن الفلاح عبد الحلي بن العماد الحنبلي . طبع
مكتبة القدسي مصر ١٣٥٠ هـ .
- وستنفلد = Genealogische Tabellen der Arabischen stämme und Familien. by Dr. Ferdinand Wüstenfeld. Göttingen 1852.
- شفارز = 'Umars Leben, Dichtung, Sprache und Metrik. by Paul -
Schwarz, Leipzig, 1909.
- لامنس = مقالاته في الموسوعة الاسلامية حسب مواضيعها المذكورة في الهوامش ومقالته في
المشرق ١٩٣٦ ج ١ .
- زترشتين = مقالة في الموسوعة الاسلامية عن عطاء للمستشرق زترشتين
- طه حسين = حديث الاربعاء للدكتور طه حسين . مصر مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥
- ١٩٢٦ م .
- جبور (ع) = عمر ابن أبي ربيعة الجزء الاول (عصر ابن أبي ربيعة) لجبرائيل جبور . المطبعة
الكاثوليكية ١٩٣٥ م .
- حسين هيكل = في منزل الوحي للدكتور حسين هيكل . طبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٦ هـ .

فهرس مفصل حياة عمر ابن ابي ربيعة

- ١ توطئة للبحث عن حياته .
- ٢ ولادته ليلة قتل عمر بن الخطاب .
- ٣ قبيلته ومكاتها في الجاهلية والاسلام
— هو من قريش .
- ٤ هو من مخزوم — غنى قومه .
- ٥ تجارعتهم وتقوؤهم — المنيرة والد جدّه —
ابناء المنيرة .
- ٦ اخبار عن عزهم وبأسهم .
- ١١ اهله — والده عبدالله — مكانة عبدالله
في الجاهلية والاسلام .
- ١٦ لم يكن اتصال بين والد عمر وعمر .
- ١٧ لم يدرك عمر آخر خلافة عثمان الا صبياً .
- ١٨ أمّه مجد — الغزل الى عمر من اليمن من
ناحية أمّه .
- ٢٠ لعمر اخوان هما عبد الرحمن والحارث .
- ٢١ الصداقة بين عمر وابن ابي عتيق .
- ٢٢ بين عمر وبين الحارث علاقات .
- ٢٣ يذكر بعضهم ان له اخاً ثالثاً .
- ٢٤ فاة المؤرخين ان يذكروا اسم البلد
التي ولد فيها — والده وال على الجند — هو
مكّي الوالد والعشيرة والموطن — يرجّح
ان مولده في المدينة .
- ٢٥ جدّته تسكن المدينة — ام اخيه الحارث
ماتت بالمدينة — في الليلة التي قتل فيها
الامام عمر ولد عمر — اكثر اخباره
- ٢٦ سُمي عمر باسمه لموافقة ولادته ليلة مقتل
عمر — روى بعضهم انه ولد زمن عمر بن
الخطاب — هو اكبر من عطاء .
- ٢٧ ليس ضبط زمن ولادته بالامر الجبّين —
ليس هناك داع لرفض الرواية التي تشير
الى انه ولد ليلة قتل عمر — نسبته تابعة
للتصادف المذكور .
- ٢٨ الاسم لم يكن غريباً عن بني مخزوم — في
شعر عمر ذكر لكنتيته « ابي الخطاب » .
- ٢٩ ولد على الارجح في ٤ تشرين ثاني سنة
٦٤٤ م . — نسب الى قبيلته فقييل فيه
القرشي — والى عشيرته فقييل فيه
المخزومي — والى جدّ والده فقييل فيه
المغيري — كُنّي بابي حفص .
- ٣٠ نسبة كاملاً .
- ٣١ هيئته — عمر جميل — جماله من العوامل
التي جعلته معجباً بنفسه — ابوه جميل —
شبهته صاحبه بالقمر .
- ٣٢ له شعر يصف به دله بجماله — طويل —
جدّه طويل — عمر ناحل الجسم — اسمر
اللون .
- ٣٣ في فمه علامة فارقة هي سواد اللثتين —
سببها ضربة من يد فتاة — غير لذلك —

ليس غريباً ان يكون زار اخواله في صباه .

٤٢ تاجر شاعراً يعرف بمعد بني المسحاح - قضى اكثر صباه في المدينة - تردد مع ابن ابي عتيق وابن جعفر الى بيوت المغنين فيها .

٤٣ نشأته العلمية والادبية - من الطبيعي ان يكون تردد الى المساجد والكتاتيب .

٤٤ ثقف القراءة والكتابة - الحارث اخوه اول من تنبه الى الملكة الشعرية فيه - انشد شعره لابن عباس فمدحه - قرأ القرآن وحفظ بعض الحديث ورواه - الادلة على معرفته القراءة والكتابة - يقرأ كتاب الثريا اليه - يكتب الى امرأة .

٤٥ يدعو بدواة ويكتب شعراً - صاحباته يقرآن رسائله اليهن - المواد التي كتب عليها - عمر والقرآن - شعره يدل على معرفته للقرآن .

٤٦ يستعين بعمالي القرآن وتعاليم الاسلام في شعره - عمر والحديث - تقل بعض الحديث عن الامام سعيد بن المسيب - مصعب بن شيبة وعطاف بن خالد روي عنه .

٤٧ الحارث اخوه محدث - عمر يشهد حلقة ابن عباس وحلقة ابن المسيب - ابن المسيب معجب بشعره - ابن عباس يروي بعض شعره .

٤٨ اخبار تشير الى ثقافته الدينية .

٤٩ عمر وعلوم التجارة - رحلته الى اليمن - لديه سبعون عبداً في الحرك .

٥٠ ثقافته الادبية - نشأ نشأة ادبية راقية - لم يشعر الكثيرين من معاصريه واسلافه .

٥١ كان يعارض جميلًا - اطلع على شعر مالك ابن أمية - اقتبس من طائفة كبيرة من

لبسه وهندامه - اشعث اغبر حين يؤوب من سفره .

٣٤ يتزين ايام الحج باحسن الثياب - بلبس الحلال والوشى ويسبل لمتة - يطيل الازار ويسبق رفاق البرود - من اعطر الناس واحسنهم هيئة - يخضب نحائيه بالحناء - موقف له في الحج .

٣٥ امرأة تعرفه من هندامه - مصعب يجديه اثواباً - اهدى جميلة المغنية عشرة اثواب - بعث اليه احدى الاميرات الامويات الف دينار فاشترى بها حلاً وطيباً واهداها اليها .

٣٦ يحب العطر والطيب - جدته تتاجر بالطيب - ياتها من اليمن فتبيعه بالمدينة - يمشي مشية خاصة - يتنكر مرة فتعرفه الثريا من حركته ومشيته .

٣٨ غناه وثروته - يتقلب في احضان اليمر - ابن تاجر موسر - يرث ثروة عظيمة - له علاقات تجارية في اليمن - له سبعون عبداً يعملون في الخوك .

٣٩ اعتق كثيراً من الرقيق في مناسبات شتى - كان غناه عاملاً في صيانة كرامته - لم يقبل هدية امرأة عراقية .

٤٠ نشأته - يعني القدماء بسيرته - لابن بسام كتاب في اخباره - للزبير بن بكار كتاب آخر - الاصبهاني افرد له في اغانيه نحو ٦٥ صفحة .

٤١ عمر خلف لنا ديواناً كبيراً - الاصبهاني اطلع على دواوين لعمر رواها المدنيون والمكيون - قدر كبير من شعره قد ضاع - درس نشأته مصعب - مدني - النشأة - ليس غريباً ان يكون استرضع في البادية عند بعض القبائل - يجب البادية - له اصدقاء من الاعراب -

- الشعراء - متضاع من اللغة .
 ٥٢ حياته في المدينة - مات والده وهو صغير - نشأ على شيء عظيم من الدلال - اندفع مع الشباب في اللهو والعبث .
 ٥٣ تردد الى حفلات الفناء .
 ٥٤ حاول اخوه ان يردعه عن سبيل اللهو فلم يُفلح - كان له في المدينة اصحاب من خيرة اشرافها هم خالد القسري وعبدالله بن جعفر وابن ابي عتيق - كان لصداقتهم معه اثر ظاهر في خلقه وشعره .
 ٥٥ ذكر خالد القسري بشعره وكان خالد يثني معه وينقل رسائله الى النساء .
 ٥٦ علاقته بخالد لم تنقطع وله معه اخبار كثيرة .
 ٥٧ ابن ابي عتيق رفيقه الثاني - حبه له شديد - حادثته طريقة بينهما .
 ٥٨ ابن ابي عتيق متعصب له يفضل على شعراء عصره - يثني على شعره .
 ٥٩ الحارث بن خالد يلوم ابن ابي عتيق على حبه لشعر عمر وتفضيله على غيره من الشعر .
 ٦٠ خالد القسري وابن ابي عتيق يسيران الى عمر - الثريا تحجر عمر فيصلح بينهما ابن ابي عتيق .
 ٦١ عمر يسير الى الفناء برفقة ابن ابي عتيق وابن جعفر - الاول يساعده على حبه .
 ٦٢ ابن ابي عتيق يذكر له احدى الجميلات فيبيحه على الحب - عمر يقدر نظر ابن ابي عتيق للجمال .
 ٦٣ عمر يذكر ابن ابي عتيق كثيراً في شعره - يتزل ضيقاً عليه حين يزور المدينة - عبدالله بن جعفر صديقه الثالث .
 ٦٤ ابن سريج مغني عمر كان قبلاً منقطعاً الى عبدالله بن جعفر .
 ٦٥ عمر وابن ابي عتيق وعبدالله بن جعفر يترددون الى دور الفناء - يقصدون العتيق - لصداقة عبدالله اثر في نفس عمر وفي شعره .
 ٦٦ لجود عبدالله اثر في حياة عمر كما يظهر من شعره - لعمر في المدينة اصدقاء آخرون منهم الاحوص وجميل ونصيب .
 ٦٨ عمر يعارض جميلًا في الشعر - عمر يقابل بثينة صاحبة جميل - يسلك سبلاً للهو .
 ٦٩ انتقال عمر الى مكة .
 ٧٠ يقصد المدينة احياناً مشيماً صاحبه او ملياً دعوة أخرى - زار المدينة ومكث فيها مدة .
 ٧١ لم تختلف حياته في مكة عنها في المدينة - له في مواسم الحج نصيب واقر من اللهو - له رفاق في مكة اشهرهم ثلاثة اولهم ابن سريج مغني .
 ٧٢ ابن سريج شاهد لبعض وقائع حبه - لعل عمر تعرّف الى هذا المنفى حين كان هذا يتردد الى المدينة .
 ٧٣ ابن سريج احد هؤلاء الذين ساعدوا على ان يشهر شعر عمر - قرن شعر عمر الى الحان ابن سريج فكانا فتنة قريش .
 ٧٤ كل منهما محتاج الى فن صاحبه - الغريض صديق عمر الثاني .
 ٧٥ الغريض رفيق عمر في كثير من وقائع حبه .
 ٧٦ الغريض رسول عمر الى صاحباته .
 ٧٧ الغريض يحب الفناء في شعر عمر .
 ٧٨ الحارث بن خالد المخزومي صديقه الثالث - الحارث يقول عن عمر انه كان مهيأ معظماً لا يقدم عليه سلطان ولا غيره - الحارث يدعو عمر الى مجلس نسوة والى سماع الغريض .

عبد الملك - الرواية عن عمر ورملة -
رحلاته الى اليمن - ابوه عامل في الجند -
ليتهم علاقات تجارية في اليمن - اخذ
عمر مالا من اخيه وخرج عند اخواله
بالحج وايين - يقول الشعر وهو في
اليمن .
٩٤ مسعدة ابن عمرو اخبره الى اليمن -
الثريا تزوج وعمر غائب في اليمن -
عمر يمكث في اليمن مدة طويلة .
٩٥ شعر عمر في وصف رحلاته لا يتفعا
كثيرا في تحقيق المواضع والبلدان -
وصفه مختصر .
٩٦ عمر والخلفاء - يقول سليمان انا لا امدح
الرجال انما امدح النساء - علاقة اهل
عمر مع الزبيريين .
٩٧ اخبار كثيرة عن وفود عمر على الخلفاء
- اكثرها ملفقة - مروان لم يزوج من
احدى بنات عمر - عمر لم يزوج من
رملة اخت عبد الملك - لم يفد عمر على
معاوية او يزيد .
٩٨ عبد الملك والوليد ابنه اكثر الخلفاء
اتصالا بعمر .
٩٩ عبد الملك يزور الحجاز فيفد عليه عمر
- عتاب بينهما .
١٠٠ خبر اجتماع كثير وجليل وعمر عند
عبد الملك - خبر زواج عمر برملة اخت
عبد الملك وتقده .
١٠١ اخبار اتصال الوليد بن عبد الملك بعمر -
عمر دليل الوليد الى الطائف - عمر يحج
وهو شيخ ويقابل الوليد على ظهر الكعبة
- غلامان لعمر ينشدان الوليد شعر عمر
- سليمان بن عبد الملك يبعث وراء عمر .
١٠٢ سليمان ينفية الى الطائف - الراجح ان
اتصال عمر بالخلفاء انقطع في اواخر خلافة

٧٩ الحارث بنافس عمر في صحبة الغريض
- لعمر رفاق آخرون .
٨٠ لعمر قريب كان بينه وبينه جفاء .
٨١ رحلات عمر - لم يكن بالشاعر الكسل
- يعرف اكثر بقاع الجزيرة العربية -
لا يتبع بنعم الحياة الحادثة .
٨٢ طاف اكثر اقطار العالم العربي -
رحلاته في الحجاز - تنقل بين المدينة
ومكة والطائف .
٨٣ يعود مع حجاج المدينة الى المدينة - يرافق
جميلة الى المدينة عند عودها من الحج .
٨٤ يزور المدينة اثر دعوة من سكينه -
رحلاته الى الطائف .
٨٥ ابن ابي عتيق يأخذه معه الى الطائف -
الوليد ابن عبد الملك يستصحبه الى الطائف
- سليمان بن عبد الملك ينفية اليها .
٨٦ عمر يتردد الى بادية الحجاز - له اصدقاء
من العذريين - جمع بين شاب عذري
وصاحبه - رحلاته الى العراق - يزور
الكوفة والبصرة .
٨٧ زيارته للبصرة في خلافة معاوية - الغرض
منها معالجة سنيه - وراء عراقية .
٨٨ يشبعها فتعرض عليه الزواج فيعدها رحلة
ثانية .
٨٩ يعد فاطمة بنت محمد بن الاشعث بزيارة
العراق - رحلاته الى سوريا - التقاؤه
بجميل .
٩٠ يتناشدان الاشارة - سفره الى فلسطين
والشام - شعره في ذلك عند رجوعه .
٩١ هل سار عمر الى حرب ومع من ؟ بحث
في هذا .
٩٢ الغالب انه كان مع نسيبه مصعب -
قصائده الاخرى في سفره لفلسطين .
٩٣ سار الى ضواحي الشام وراء فاطمة بنت

والاحوص وابن ابي عتيق - يقصدها من مكة .

١١٤ وصف مجلس غناء كان فيه .

١١٥ لم يفته ان يطلب الغناء في رحلاته - يسمع مفتنين بالكوفة ويعجب بغنائهما - حبه للغناء كما يظهر من شعره .

١١٦ عمر والشراب - لم يألف تعاظمي الحمرة .

١١٧ اخبار الزواة عن ذلك - قصته مع الحزين الكنتاني - قصته عن موقف له في مئى .

١١٩ خبر مناقضته للفضل بن عباس اللبي .

١٢٢ وفوده مع ابن ابي عتيق والاحوص على جميلة ودعوتها ضيوقها الى الشراب - نقد هذه الاخبار جميعها .

١٢٥ ليس في ديوانه اشارة صريحة الى شربه الخمر .

١٢٦ استنتاج - عمر والصيد - سكن الطائف والمدينة حيث ألف الناس الصيد .

١٢٧ عمر في الحج - يطلب اللهو - موكل بالجمال .

١٢٨ يرقب النساء - يزين هيئته وبأخذ للامر عدته - يرقب فاطمة بنت عبد الملك .

١٢٩ يقول فيها الشعر - الشعر يصلها - عمر ينتقل بين المواكب - مقابلته لفتاة جمجية - شعره فيها .

١٣٠ عمر وعائشة بنت طلحة - قلبه مقسوم في كل مكان .

١٣١ عمر عند انتهاء الموسم - النساء تعرف ميله الى العبث فيخشاها بعضهن - خبره مع امرأة في الحج .

١٣٢ منهن من كانت تريد ان تراه وتتحدث معه - خبره مع بنت محمد بن الاشعث - عمر حريص على الا تفوته فرصة تيسر له اللهو - يعرض للجواج في الليالي .

١٣٣ يراقبن في النهار - يرصدن عند سعين

الوليد - اخبار عن اتصال عمر بعمر ابن عبد العزيز - يزعمون ان عمر بن عبد العزيز نفي عمر الى دهلك - خلط الرواة .

١٠٣ مسألة مقابلة عمر ليزيد بن عبد الملك - هناك اضطراب وتشويش في الرواية - كان اجتماع عمر بالخلفاء على الغالب في ارض الحجاز .

١٠٤ عمر والاشراف من معاصريه - اواصر القرني بين عمر وآل الزبير - محمد بن مصعب صهره - علاقة عمر مع عبد الله ابن العباس وسعيد بن المسيب وطلحة بن عبد الله بن عوف ومحمد بن الحجاج والحارث بن خالد .

١٠٥ عمر وازواجه واولاده - له نساء وابناء - امرأته كلثم بنت سعد .

١٠٦ له منها ابنان احدهما جوان - اخباره مع كلثم .

١٠٧ امرأته الجمحية تلد له - شعره فيها - يزعمون ان هذا الشعر قاله في رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية .

١٠٨ اشارة الى قصته مع رملة اخت عبد الملك - عمر يخطف عراقية فتعذر - عمر ينتقم لنفسه من عراقية اخرى - بنته أمة الواحد - حياته الزوجية .

١٠٩ سبل اللهو التي سلكها - عمر والسباع .

١١١ عمر يحب الغناء - رفاقه الى مجالس الغناء - المواضع التي كانوا يجتمعون فيها .

١١٢ عمر ورفاقه في العتيق وفي مجالس عزة وجميلة المفتين - عمر والدلائل المفتي - عمر يختار حين انتقل الى مكة اثنين من اشهر المفتين ليكونا مفتيهيها ابن سريج والغريض .

١١٣ لم ينس مجالس جميلة - يزورها هو

١٤٥ الخاحه - سأل ملحف - هذه الظاهرة في خلقه اثر من آثار تيه ودله - حوادث تدل على الخاحه - قصته مع كلثم - مع اخت عبد الملك .

١٤٦ مع فاطمة بنت عبد الملك - مع فتاة حمجية - خبره مع رمة بنت عبد الله بن خلف وتعليق للثريا عليه - رأي ياقوت .

١٤٨ رأي الرياشي - رأي الاصهاني - صاحبه يعرف هذا الخلق فيه - شعره في هذا .

١٤٩ حذق ماهر في الوصول الى غرضه - اثر هذا الخلق في شعره .

١٥٠ بعض مزايا خلقه الطيبة - حسن المعشر - سهل الطبع - سامي الشعور - محب الى الناس .

١٥١ لطيف المعشر - بطيء الغضب .

١٥٢ شفق - عطفه على غلامه وجواريه - عطفه على حصانه الكوكب - مساعد .

١٥٣ مساعدته لفتى محب - دفعه مهر الفتاة - مساعدته لآخر من بني عذرة .

١٥٤-١٥٥ قصته مع العذري هذا .

١٥٨ حساس شديد التأثر - حزنه على مصرع اخوان له - خبره مع الثريا وجزعه حين مرضت - وداعه للثريا حين ارتحلت من الحجاز .

١٥٩ شعره في ذلك - اخباره مع المنين والمنيات وتأثره واقعاله حين يطرب .

١٦٠ خجول - جواد - صداقته مع ثلاثة عرفوا بالجود - اثر جوده .

١٦١ خبره مع بنت محمد بن الاشعث - مع فاطمة بنت عبد الملك - مع كلثم بنت سعد - مع الوليد بن عبد الملك - شعره الذي يذكر فيه جوده .

١٦٢ حبه للحديث والسر - هذه الصفة

وطوافهن ورمين الجسار ويزاحمن عند تقبيل الحجر الاسود - شعره يعج بوصف حياته في الحج - لهوه على نوعين - لهوه البري .

١٣٤ يحفظ للمكان حرمة وللموسم مهابة - لهوه الذي تقلب فيه الدعابة والمجون - لم تكن كل النساء اللواتي تعرضن لمن عمر من بنات الحسب والشرف .

١٣٥ شعره في وصف هذا اللهو .

١٣٦ عمر يشعر في ارتكابه الاثم في الحج .

١٣٧ اخلاقه - دله واعجابه بنفسه - نشأ تيمها مغروراً .

١٣٨ اخبار تؤيد هذه الظاهرة في خلق عمر .

١٣٩ شعره الذي يذهب فيه الى ان النساء هن اللواتي كن يطلبنه .

١٤٠ يرى نفسه من صاحبته وهمها - يرى ان النساء كن يتالكن عليه ويستبقن الى حبه .

١٤١ يغلو في تيه بحيث يزعم ان صاحبه لم يكن لها حج لولاه - ويزعم انها اذا عثرت في مرطها هتفت باسمه وهي تنهض - القدماء يحسون بهذه الظاهرة في خلق عمر - خبره مع ابن ابي عتيق - مع كثير .

١٤٢ المفضل بن سلمة ينمى على عمر تيه ويضع من شعره - البندادي يصف طريقة عمر في الغزل - النساء تعرف هذا الدل في عمر .

١٤٣ سهولة خلقه - كان عمر على تيه سهل الخلق - اخبار تؤيد ذلك - شعره لم يخل من بعض المواقف التي يظهر فيها توددا لصاحباته والتماساً لرضاهن .

١٤٤ ذكر لبعض شعره في هذا الموضوع .

- وسعدى بنت عبد الرحمن بن عوف -
كذبه - رأي نصيب فيه - رأي ابن
ابي عتيق .
- ١٧٥ رأي الزبير بن بكار - النساء يعاتبه على
كذبه - عمر كثير القسَم .
- ١٧٦ امثلة من شعره على هذا .
- ١٧٧-١٧٨ يحب الدعابة والمزح - اخباره
وشعره في هذا الصدد .
- ١٧٩ عفة مقاله .
- ١٨٠ اثر هذا في شعره - اثره في علاقاته مع
النساء - رأي القدماء في عفته .
- ١٨٢ فقهه - الروايات المتناقضة في هذا
الصدد .
- ١٨٢ بحثها وتقدها - عمر يرتكب الاثم -
بعض معاصريه يعنون عليه فقهه ويرون
الخطر من انتشار شعره .
- ١٨٣ يلقب بالفاسق - بعض اخبار فقهه
ومجونه .
- ١٨٤ اقراره على نفسه واعلانه عن اتيانه الاثم
- السيئات واثرها في تيسير سبل الاثم .
- ١٨٥ المواضع التي كان يلهو بها - نظم الحياة
الاجتماعية في الحجاز تيسر لعمر الاختلاط
بالمرأة واللهو معها - عمر يقر بفقهه .
- ١٨٦-١٨٧ شعره في هذا الصدد .
- ١٨٨ القدماء يصدررون احكامهم عليه .
- ١٨٩ توبته ونسكه - الرواة يشفقون عليه
فيزعمون انه فلك اربعين سنة ونسك
اربعين .
- ١٩٠ الرواة يشفقون على اكثر الشعراء الفاسقين
فيقبوهم .
- ١٩١ بحث في امر هذه التوبة - عمر لم ينسك
اربعين سنة .
- ١٩٢ عمر يتوب في فترات من حياته ثم يعود
الى مجونه .
- تكسبه صداقة النساء - رأي الدكتور
طه حسين في مسألة نظر عمر الى المرأة -
النساء تنشوق الى مجلسه .
- ١٦٣ مجلس مع نسوة - مجلس مع ام محمد بنت
مروان بن الحكم - مع جوارى امويات
- مع امرأة عراقية - مع فتاة من آل
الاشعث .
- ١٦٤ تحدثه مع امرأة في رحالة - مع ام الحكم
- انشاده الشعر للنسوة في مجالس السر
- الرواة يسندون بعض الروايات اليه .
- ١٦٥ قصته حين نسك - اثر حبه للتحدث في
وقائمه .
- ١٦٦ قصص اخرى - الادلة في شعره على حبه
للسمر والحديث .
- ١٦٧ ذكر لبعض هذا الشعر - القدماء يلتفتون
الى هذه الميزة في عمر .
- ١٦٨ رأي مصعب الزبيري - رأي جميل بن
معمر .
- ١٦٩ رأي الحرمي ابن ابي العلاء - موضوع
حديثه - الحديث يدور على وقائع حبه
وعلى شعره فيها - يتخلله غتاب او شكوى
او مغازلة .
- ١٧٠ النساء يطعن اليه ان يقص عليهن اخباره
- خبره مع فاطمة بنت عبد الملك - مع
كلم - مع البغوم .
- ١٧١ معاتبة النساء له - اشعاره التي يذكر فيها
احاديث صاحباته .
- ١٧٢ ديوانه مترع بمثل هذه الاشعار .
- ١٧٣ التماير المألوفة التي ضمنها في شعره -
شعره من خير المصادر لمعرفة لغة المرأة
الحجازية وتمايرها وبعض ضروب
حديثها - مَلَقَ يزوق الكلام - النساء
يلمن هذه الناحية في خلقه .
- ١٧٤ اخباره في هذا مع كلم والثريا وعائشة

- امرأة شَبَّ بها .
 ١٩٩ الشك فيها - رواية ثالثة تذهب الى انه مات في الشام - تعليق عليها .
 ٢٠٠ رواية فيها ان عمر مرض ومات وقد قارب السبعين - رواية اخرى تذهب الى ان عمر مات سنة مئة واحدة - مصدر الخطأ فيها .
 ٢٠١ رواية حاجي خليفة - رواية الدَّيمري - استنتاج مبني على الروايات المختلفة - عمر تتابَه الحمى المعروفة بالبرداء - شعره في ذلك .
 ٢٠٢ ابن مات عمر وكيف مات - خلاصة الفصل .
 ٢٠٣ شعره يؤيد رواية مريضه - الظن في انه مات من مرضه - ربما في اليمن - كان موته في حدود سنة ثلاث وتسعين .

- ١٩٣ لم يكن نسكه غير همود في نفسه التي طاشت في شبابها - نفسه تظل مرحلة جذابة .
 ١٩٤ عمر ينذر الله ان يعتق رقبة لكل بيت شعر يقوله - ينظم الشعر فيكفر عن ذنبه باعتاقه تسعة ارقاء .
 ١٩٥ لعل ما أثر عن عمر من نقل الحديث قد وقع في الشطر الاخير من حياته .
 ١٩٦ موته - لعل اخفى ما في تاريخ عمر امر موته - الروايات متعددة ومضطربة - اقدم الروايات واكثرها انتشارا تذهب الى انه نُفي الى دهلك ، ففزا في البحر فاحرقوا سفينته فاحترق .
 ١٩٧ الرواة الذين ذكروا الرواية الاخيرة - الامور التي تمتع وقوع ما زعموا .
 ١٩٧ رواية ثانية تذهب الى ان عمر مات بدعاء

- داود النبي ٦١
 الدلال المغني ١١٢١٠٩٧٩٠٦٦
 دمشق (انظر الشام)
 الدمييري ٢٠١٠٩٧٠١٣١٠٣٧٠٢
 دَهْلَك (جزيرة) ١٩٨٠٩٧٠١٩٦٠١٠٢
 الدوحة (يوم) ١٥٥
 ديباجة الحرم (امرأة) ١٨٤
 الدَّيْل بن بكر (ق) ١٣١٠٦٠
 ديوان عمر (كتاب) ١٠٥٤١٠٦٠٥٩٠٨٧٠٤٩
 ٢٠١
 * ذ *
 ذات عرق (م) ١٢٨٠٣٤
 الذهبي ٤٦٠١١
 ذو الأثُل (م) ٩٣
 ذو خُشب (يوم) ٤٩
 ذو دُوران (م) ٨١
 ذو الرمح (انظر ابو ريعة)
 ذو المجاز (سوق) ٦
 * ر *
 الرباب (امرأة) ١٩٢٠١٧٠٥٦١
 رُيْجَة (المغنية) ١٠٩
 الرُّحْب (م) ١١٩
 رحمة (المغني) ١٠٩
 الردّة ٢٨٠١٠
 رَضِيًّا بنت عبدالله بن الحارث ١٥٨
 رَمْلَة بنت عبدالله بن خلف ١٧٤٠١٤٧٠١٠٧
 رَمْلَة أخت عبد الملك بن مروان ١٠٠٠٩٧٠٩٣
 ١٤٦٠١٠٧
 الروم ٩١٠٨٠١
 الرياشي ١٤٨
 * ز *
 زاد الركب ٨
 الزبرقان بن بدر
 الزبير (وآل الزبير) ١٠٤٠٩٨٠٩٧٠٩٦٠٩١٠٣١
 ٢٠٠٠١٩٩٠١٩٥٠١٩٤
 حضرموت ١٨
 الحطية ٥١
 حَقِير (بلدة) ٩٠
 حليس بن يعمر ١٣١
 حمص ٩١
 حماد الراوية ١٥٤
 حماد بن اسحق ١١٩
 حميدة (امرأة) ١٥٠
 حَمِير ١٨١٠١٨٠٦
 الحنبلي ١٩٧٠٦٣٠١٧٠١٦
 حنيف بن السجف ٢٢
 حُنَيْن (م) ١٤
 الحوادث (ماء) ١٥٥
 حوران ٩١
 حي التمارين ٨٧
 * خ *
 خالد بن العاص بن هشام ٥٨
 خالد القسري ١٦٥٠١٦٠٠٦٠٠٥٧٠٥٦٠٥٥٥٠٠٤٣
 خالد بن هشام بن المغيرة ١٣
 خالد بن الوليد ٣٧٠١٤٠٩٨٠٨٧٠٤٤
 خُثَم (ق) ١٠٦
 خراسان ٧٣٠٥٦
 خزائن الادب (كتاب) ٩٩
 خليفة (المغنية) ١٠٩
 الخندق (يوم) ٥
 الخشاء ٥١
 الخوارج ٤٨٠٤٧٠٣٤٠٣٢
 الخَوَرَنَق (م) ٨٨
 الحَيف (م) ١٣٤٠١٣٠٠٤٩٠٨
 * د *
 دار عقبة ١٣٥
 دار الكتب المصرية ٤٩
 الدارمي الشاعر ١٩٠

عبد الدار (ق) ٥٤٣
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ٢٠٤٨
عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبي ربيعة ٢١٧، ٢٢٠، ٢٣١
٩٦٩، ٩٧١، ٩٧٦، ٩٧٩
عبد الرحمن بن عوف ٢
عبد شمس ٩٩
عبد مناف ١١٨، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤
عبد المطلب (جدّ النبي) ١٢٠، ٥
عبد الملك بن عبد الله ابن أبي ربيعة ٢٣
عبد الملك بن مروان ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٥٦٧، ٦٤٦، ٧٨٩، ٩٣٤
٩٦-١٠٢، ١١٤، ١١٩، ١٢٢-١٢٥، ١٢٨، ١٣٨
١٨٣، ١٩١
عُبَيْد بن سَريج (انظر ابن سَريج)
عبد الله بن قيس الرقيات ٩٨، ٩٩
عثمان بن ابراهيم الحاطي ١٦٥
عثان بن حيان المرسي ٥٩
عثان بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبي ربيعة ٣٠
عثان بن عبد الله بن الغيرة ١٣
عثان بن عفان ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٤، ٢٥، ٢٢، ٢٣، ٥٢، ٥٥
١٩٩، ٢٣
عُثَيْم (امرأة) ١٨٠
عُثَيْم (احدى صاحبات عمر) ١٦٠
عذرة ٨١، ٩٣، ١٥٩
عذيلة ١٥٥
عذي (ق) ٣
عذي ٤٣
عذي بن زيد ٥١
عذرة (بنو) ١٦٨، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٦
العذريب (مَسِيل) ١١٩
العراق ١٨٨، ٩٣، ٩٦، ٩٨، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥

طارق ٤٨
الطبري ١—١٤٨٧—١٩١٥—١٢٣—٤٨، ٥٦،
١٩٨١٠١٤٩٨٩٣٨٧٦٣
طبقات ابن سعد (كتاب ٢٢
طلحة ٢٠٤١٠
طلحة بن عبد الله بن عوف ١٠٤
الطور (جبل) ١٧٦
طويس (المنفى) ١١٠٤٠٩
طه حسين ١٩٠١٧٣١٦٣١٣١٧٠
طيبة (انظر المدينة)
ع
عائشة بنت ابي بكر ٩٨٧٠٦٣٤٢٠
عائشة بنت طلحة ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢،

- العُمري ١٢٨
 عمارة بن الوليد ١٦٠، ١٣٤، ١٢٧
 عمان ٩٣
 عنبرة ٥١
 عياش ابن أبي ربيعة ٢٨، ٣٣، ١٢٨
 عوف ٢١
 العيني ١٩٧، ١٠٤، ٤٤، ٢٧٤
 الغريض المغني ١٠٧، ٤٧، ٥٧، ٧٦، ٧٧، ٨٧، ٧٩، ٨٤، ١٠١
 ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١٦١، ١٦٣
 * غ *
 غمدان (قصر) ٢٠١، ٥٨، ٩٤
 الغميم (م) ٤٣
 * ف *
 فارس ١
 فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ١٣٩، ١٢٨، ٩٣
 ١٤٧، ١٦١، ١٦٦، ١٧٠، ١٨٣
 فاطمة بنت محمد بن الأشعث الكندي ٨٨، ٩٨
 ١٠٨، ١٢٣، ١٤٩، ١٦١، ١٧٧
 الفاكهي ٢٣
 الفتح (عام) ١٥
 الفجار ٩
 الفرات ١٠٩، ١١٥
 الفرزدق ١٩٠، ١٧٩، ١٣٥، ٥١
 الفرس ١
 فرعة (المنية) ١١٠
 فزارة (قبيلة) ٦١
 الفضل بن عباس بن عتبة الليثي ١١٩، ١١٠، ١٣٤
 ١٢٥، ١٣٨، ١٦٦
 فكتوريا (الملكة) ١٣٧
 الفلافس النهشلي ٢٣
 فلسطين ٩٠-٩٢
 فيند (المنية) ١٠٩
 فيهر بن مالك ٢٩٨
 في مترل الوحي (كتاب) ٨٥
- ١٩٩، ١٣٧
 عرج الطائف (م) ١٩٩، ١٣٦
 العرجي (الشاعر) ٢٠٠، ١٨٤، ١٧٩، ١٣٦، ١٠٦
 عرفات ١٥٥
 عروة بن الورد ٥٠
 عزّة الميلاء (المنية) ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٣
 ١٠٩، ١١٤
 عُصفان (م) ١٤٣
 العصر العباسي ١١٣
 عطاء ٣٦، ٣٧
 عطاف بن خالد ٤٦
 عقراء ١١٩
 العقدة (كتاب) ١٥٧، ١٥٣، ٦٣
 العقيق (وادي) ١١١، ١٧٦، ٩٣، ٦٦، ٦٤، ٥٤، ٥٢، ٤٣، ٤١
 ١١٣، ١٦١، ١٣٦، ١٦٣، ١٨٥
 عقيلة (المنية) ١١٠
 عكاظ (سوق) ٦
 عكاظ (يوم) ٩٧
 عكرمة ابن أبي جهل ١٣٧، ٤٤
 علقمة الفحل ٥١
 علي ابن أبي طالب ١٤، ١٣، ٢٣، ٤٧، ٥٢، ٦٦
 علي بن صالح ١٨١
 علي بن ظافر ١٣٤
 علي بن عبد الله بن عباس ١٣٥
 عمان ١٩
 عمر بن الخطاب ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٣٦
 ٢٧، ٣٨، ٣٩، ٤٧، ٥٤، ٥٥، ٥٧
 عمر بن عبد الرحمن المخزومي ٢٠
 عمر بن عبد العزيز ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٧
 ١٩٨، ٢٠٠
 عمرة بنت النعمان ٤٨
 عمرو بن سعيد بن العاص ٩١
 عمرو بن العاص ١٢، ١٢٤
 عمرو بن مرثد ١١

نوفل (ق) ٦٩٣
نومة الضحى (المنسي) ١٠٩
الشوري ١٧٤١٦٢٨٢٠١٧٤١٦٢٨٢٠١٧٤١٦٢٨٢٠١٧٤١٦٢٨٢٠
شويري ١٧٩٧٧٣
* * *

هارون ٤٣
هاشم (ق) ١٣٤١٢١٢٠٠٩٩٧٣٦٦٥٣
هبة الله (المنسي) ١٠٩
هبيرة ابن ابي وهب ١٤
هذيل (ق) ١٥١٨٦٤١
هرمز ١٠٠
هشام بن المنيرة ١٢٠١٢٠١١٩٥٨٧٢٦
هصيص (ق) ١٠
هند ١٩٤١٧٨١٤٣١٢٧١٢٥١٢٣٧١٤٢٣٤
هند بنت الحرث المرتية ١٦٥
هوازن (ق) ٩
هيث (المنسي) ١٠٩
الحيثم بن عدي ٢٠١٢٧١٢٦
* و *

الواقدي ٢٩١٥١٤١٣١٠٠٥٣

ودان (م) ١٤٣
وستغند ٣٠٦٤٤
الوشاء ١٣٢٤٥٥
وفيات الاعيان (كتاب) ٣٧
الوليد بن عبد الملك ١٣٨١٠٢١٠١٩٨٨٥٧٥٥٦
٢٠٠١٩٧٤١٩٤١٩١٨٣١٨٠١٧٧٤١٦١٥٢
الوليد بن المغيرة ١١٠٧٦٤٤
وَهَب (امرأة) ١٦٧
* ي *

يا جج (م) ١١٨
ياقوت الحموي ١٩٦١٦٢١٤٧٨٨٧٥١
يئرب (انظر المدينة)
يزيد بن عبد الملك ١٥٤١٢٤١٢٣١١٩١٠٣٩٨
يزيد بن معاوية ٩٨٠٩٧٧٩١٢٦٩٢٥١٢٤٨
يعقوب بن داود ١٩٠
اليعقوبي ٢٩٠١٤
يفظة بن مرة ١٤٤
اليسن ٤٩٠٤٤٤٤٤٢٤١٩٨٣٦٢٨١٩٠١٨١٥١١٣
٢٠٣٠٢٠٢٠١٥٨٩٥٠٩٤٩٣٨١٢٧٥٥
اليهودية ٤٣

تصحيح خطأ

الصواب	الخطأ	ص ١	س ٢٢
٣٦٠	٢٦٨	" ٢٢	" ٢٢
٥٦ : ١	٥٦	" ٦٤	" ٨٢
النوي	النوي	" ٩٦	" ١١٢
شفا رز (شفا رتر)	شوا رز	" ١٢٧	" ١٢٨
١٦٥	٦٥		
فنفصنا	فنفصنا		
خير	خير		
خير	خير		

THE ART AND MYSTERY

OF THE ART AND MYSTERY

VOLUME I

THE ART AND MYSTERY

BY

THOMAS B. JEFFERSON

Second Professor of Art
in the American Academy of Art

Printed at the American Press, Boston, 1879

Philip H. Hitti
Beirut 1939

Oct 19 39

'UMAR IBN ABĪ RABĪ'AH

HIS AGE, LIFE, AND WORKS

VOLUME TWO

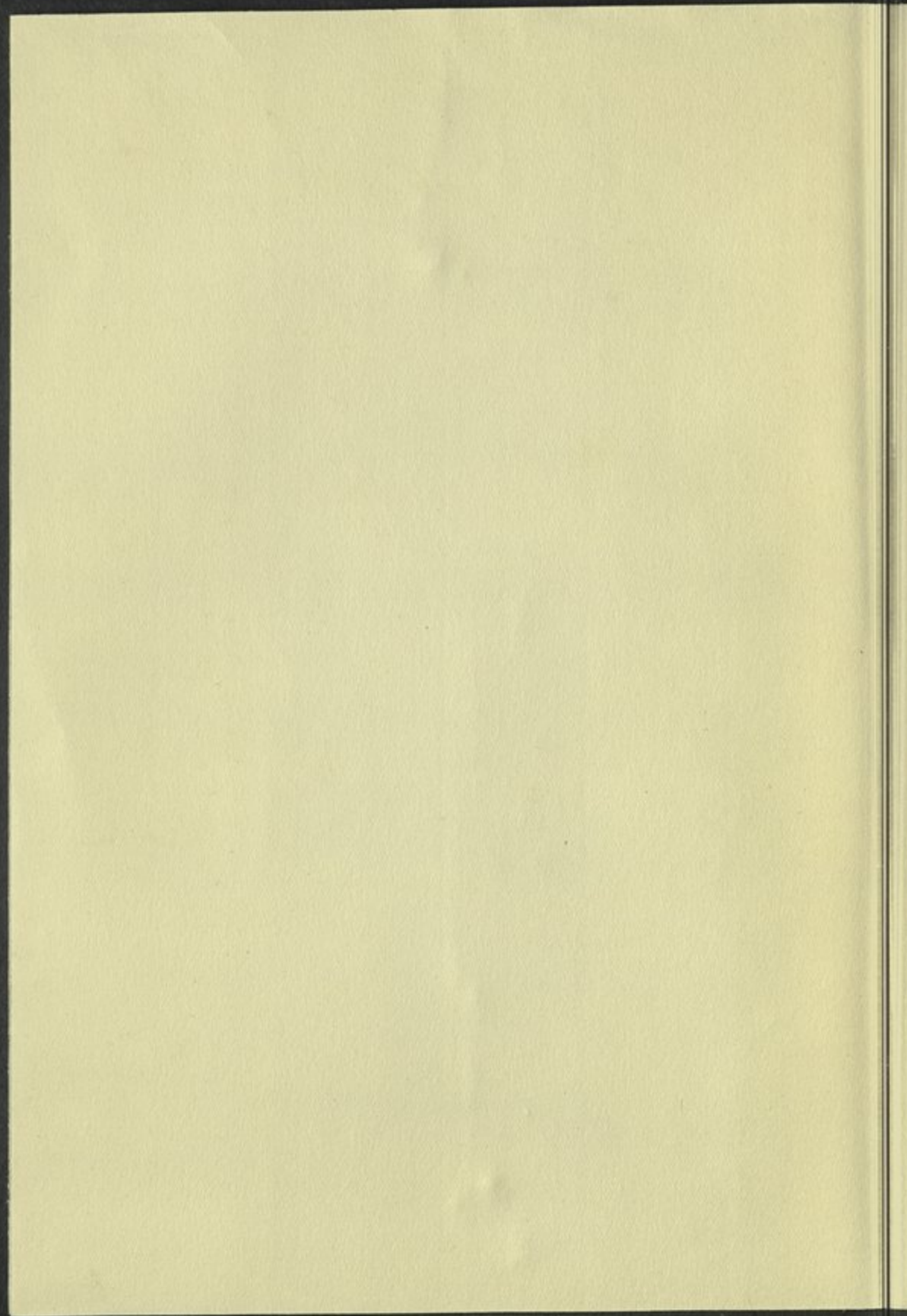
THE LIFE OF IBN ABĪ RABĪ'AH

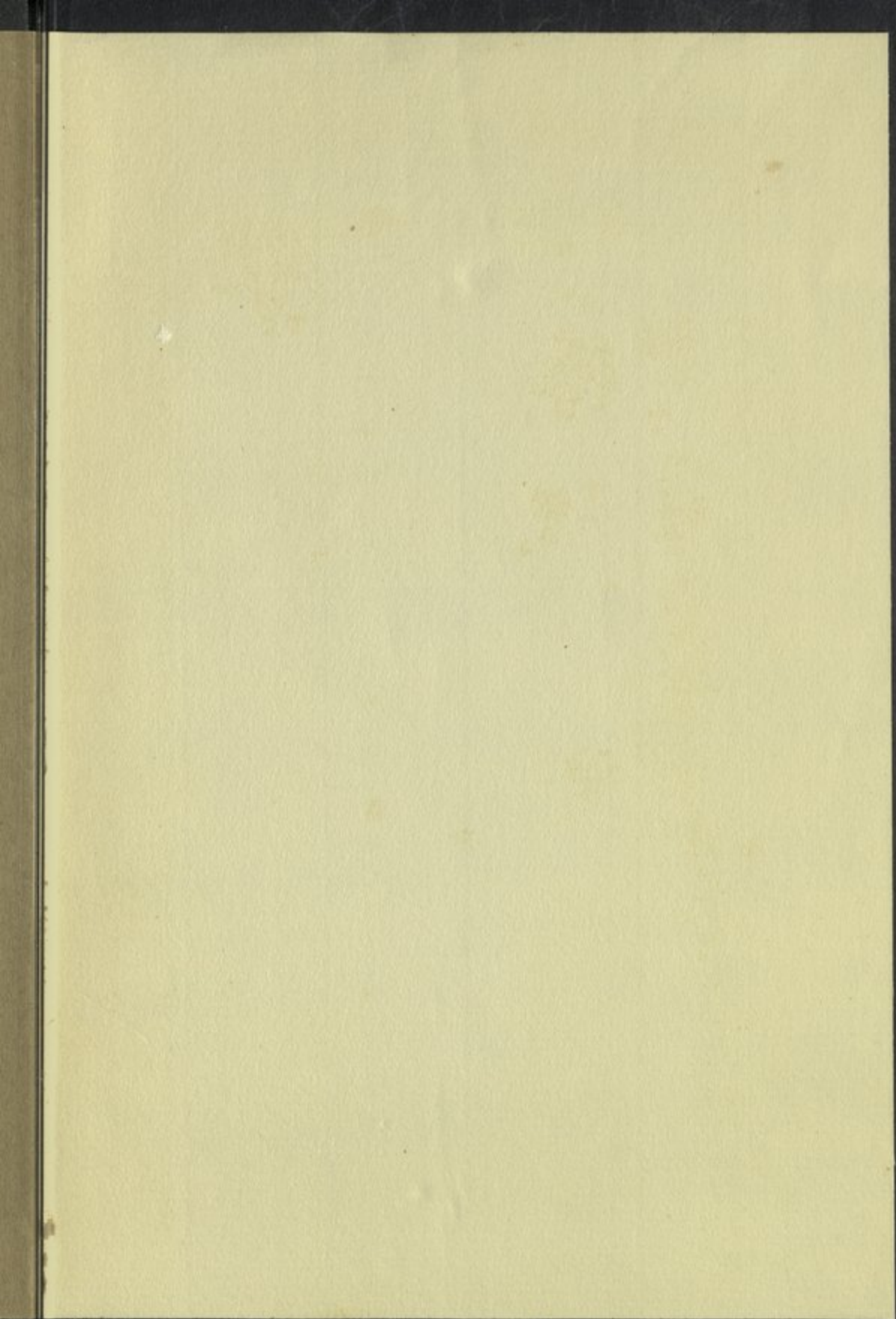
BY

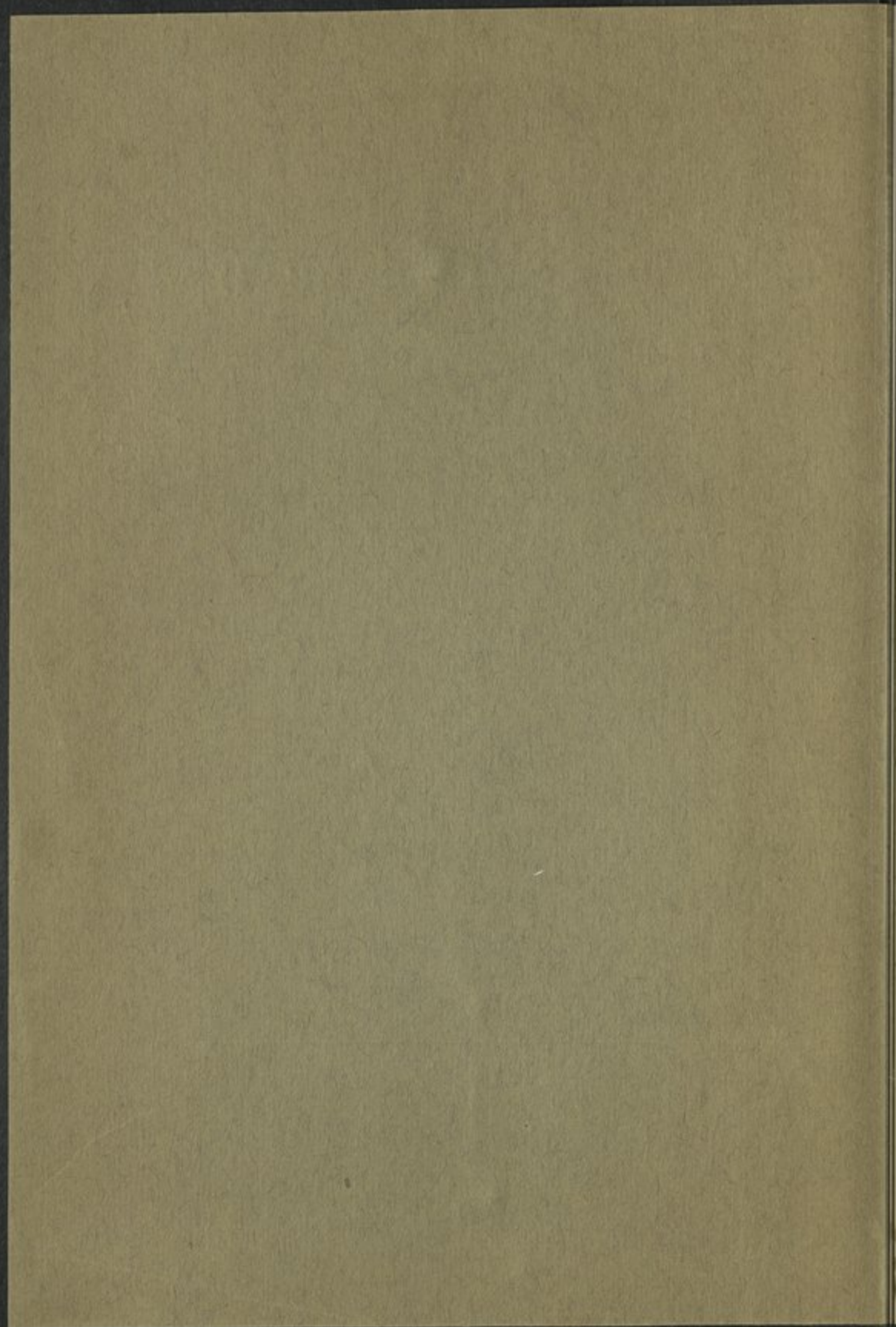
JIBRĀ'IL S. JABBŪR, M.A.

*Adjunct Professor of Arabic
in the American University of Beirut*

Printed at the American Press, Beirut — 1939







'UMAR IBN ABĪ RABĪ'AH

HIS AGE, LIFE, AND WORKS

VOLUME TWO

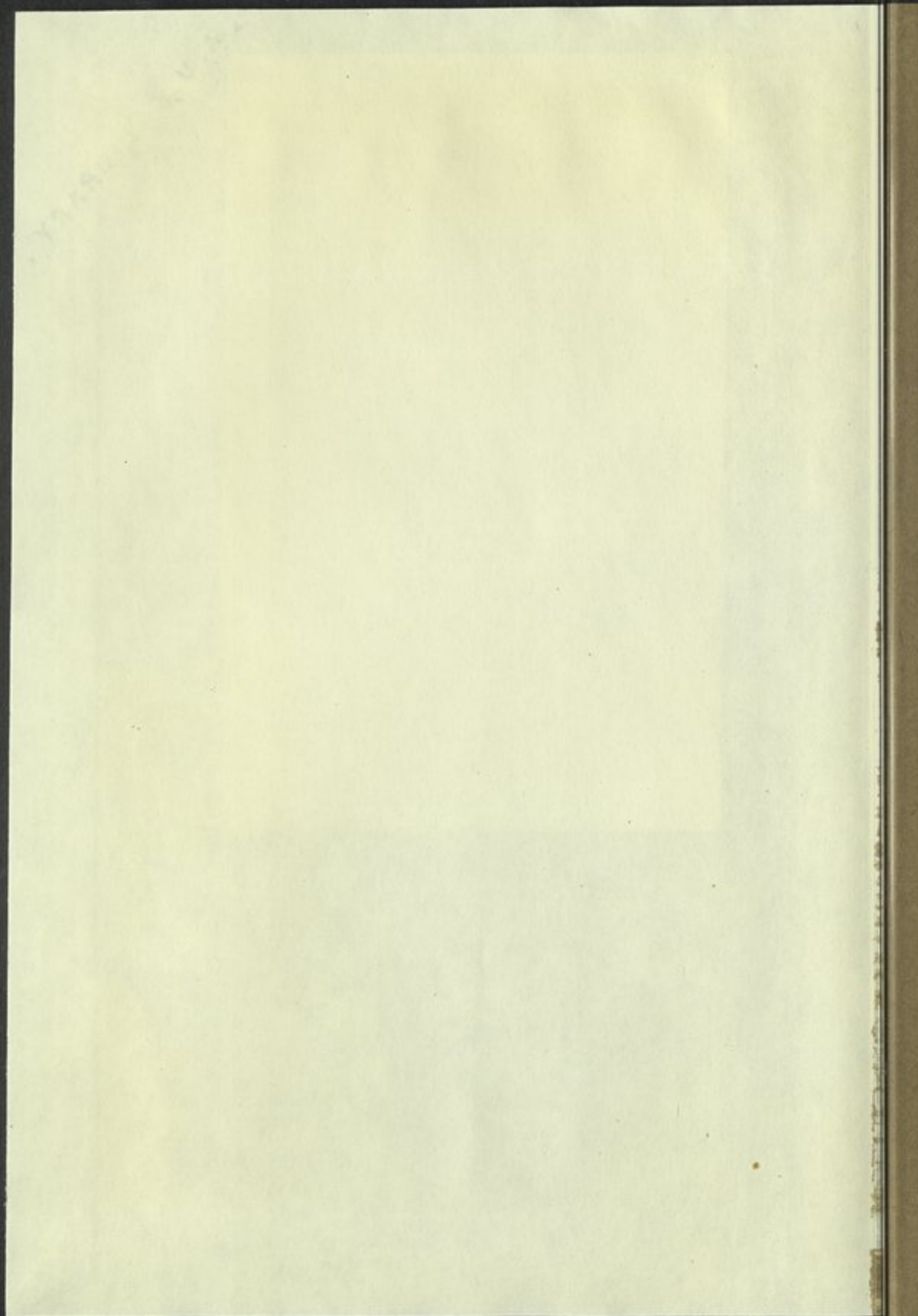
THE LIFE OF IBN ABĪ RABĪ'AH

BY

JIBRĀ'IL S. JABBŪR, M.A.

*Adjunct Professor of Arabic
in the American University of Beirut*

Printed at the American Press, Beirut — 1939



DATE DUE

[illegible]

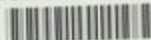
A. U. B. LIBRARY

A.U.B. LIBRARY

CA:AUB:892.78:U48YjA:v.2:c.1

جبور، جبرائيل سليمان
عمر بن أبي ربيعة: وهو دراسة تحليلية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01068653

CA:AUB:892.78:U48YjA

v.2

• جبور

عمر بن أبي ربيعة : وهو دراسة تحليلية في
ثلاثة أجزاء، تبحث في عصره وحياته وشعره.

CA
AUB
892.78
U48YjA
v.2

